السلطة وطول العمر

تأليف

حمدى الكُنَيِّسى

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة ـ ميدان حليم خلف بنك فيصل ـ شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا

٠١٠٠١٠٤١١٥ — ٠٢٢٧٨٧٧٥٧٤

٠١٢٩٩٦١٦٣٥ — ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : السلطة وطول العمر

المــــــؤلف : حمدي الكنيسي

رقم الإيـداع : ٢٠١٠/٤٣٨٣٧

مكتبة جزيرة الورد

ميدان حليم - خلف بنك فيصل الرئيسي - شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا .

ت: ٠٢/ ٢٧٨٧٧٥٧٤

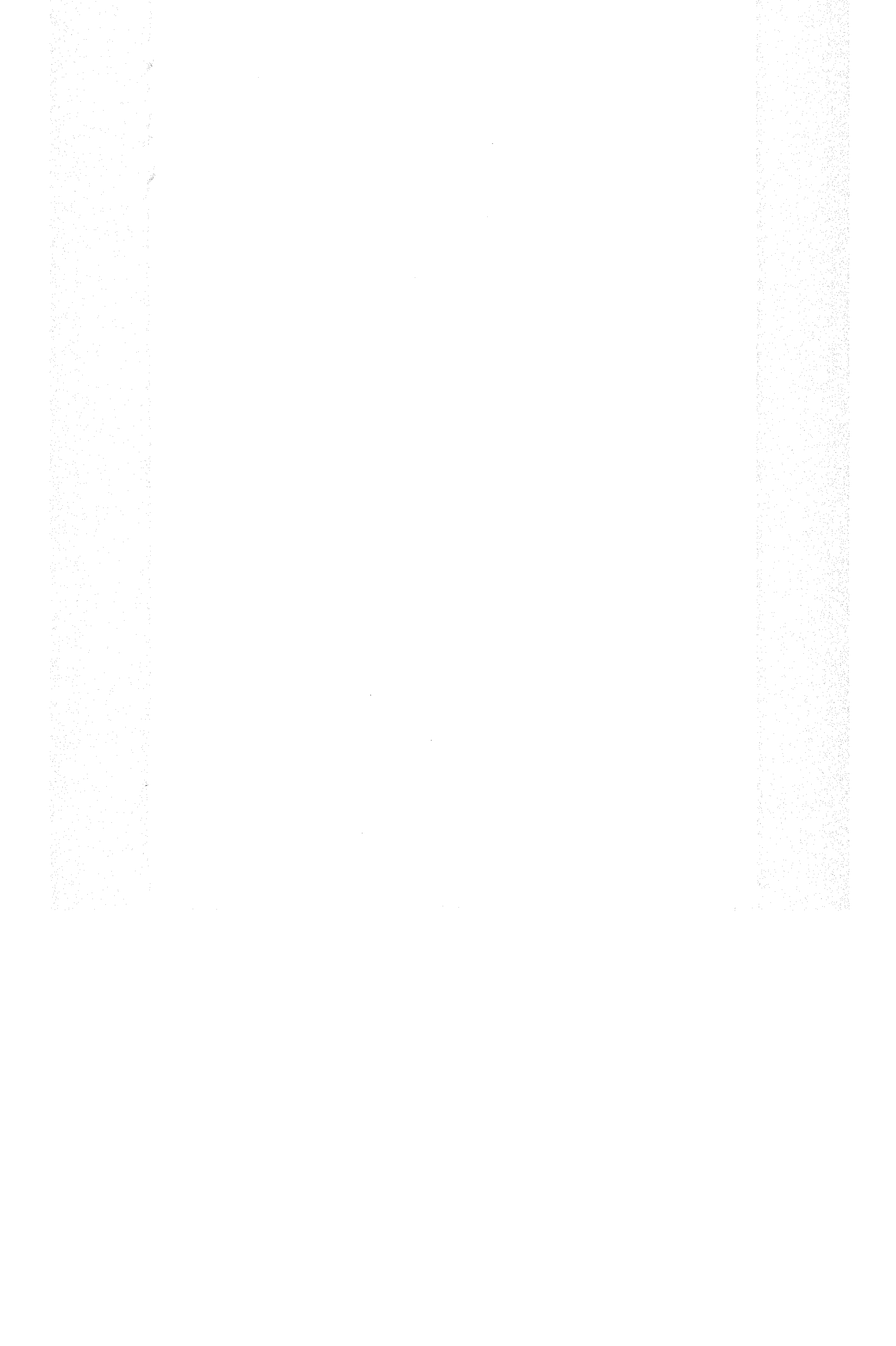
محمول : ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

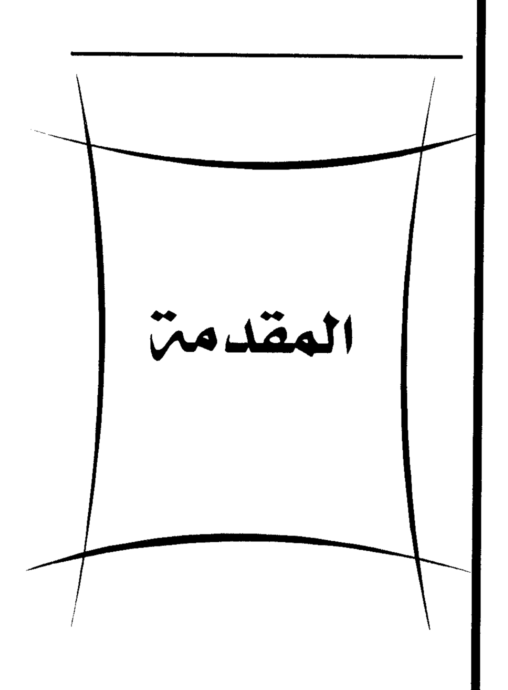
الطبعة الأولى ٢٠١٠

الإهداء

[إلى كل من تمتع أو يتمتع بالسلطة وطول العمر ، شريطة أن يكون قد متع شعبه بالحرية والديمقراطية والصحة والرخاء].

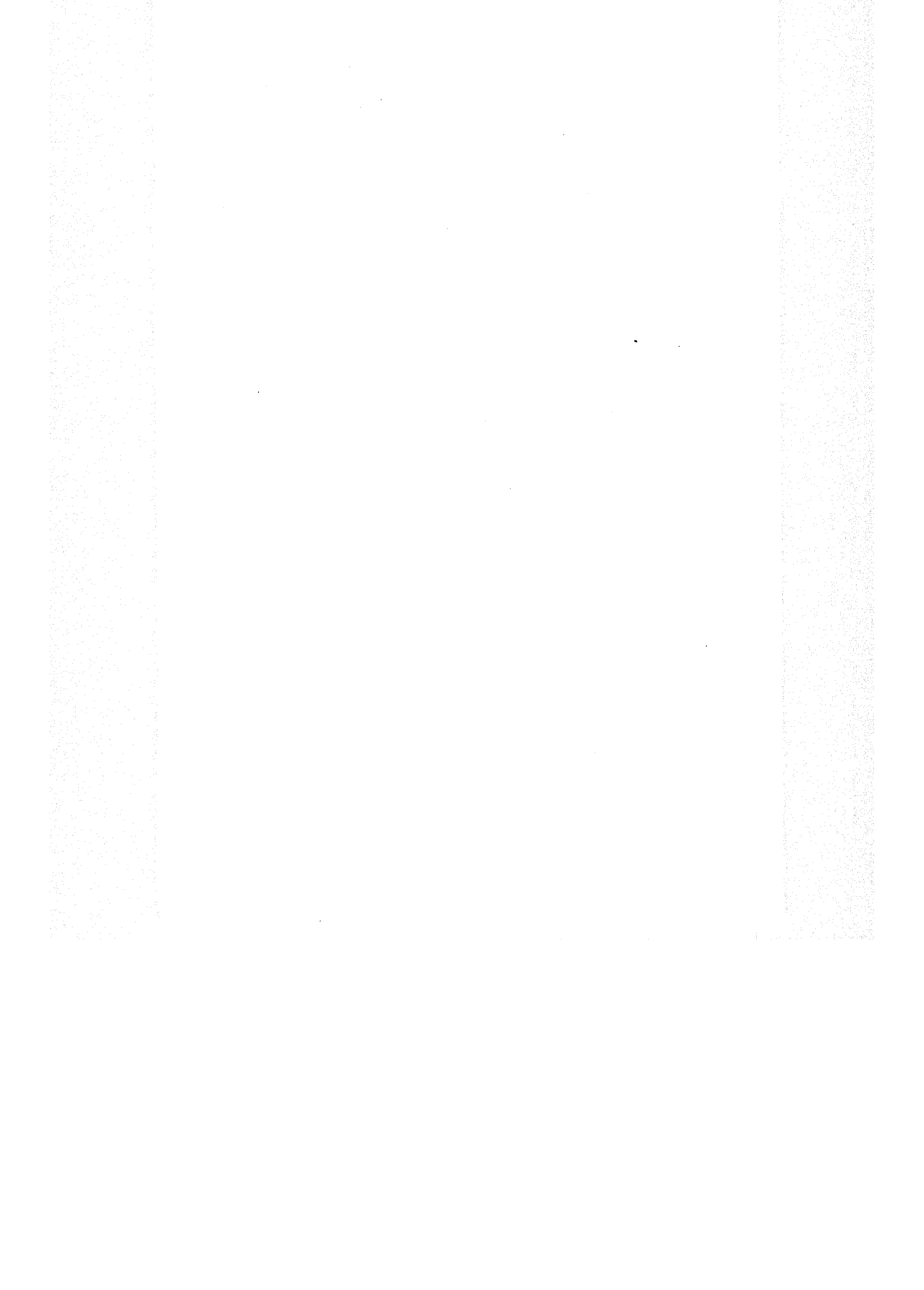
حمدي الكنيسي





المقدمة

◆◆◆



المقدمة

رب صدفة خير من ألف ميعاد ، والصدفة الطيبة كانت وراء هذا الكتاب ، فبالصدفة البحتة استوقفني خبر مثير نقلته إحدى القنوات التليفزيونية حيث شاهدت على الشاشة الرئيس الأمريكي الأسبق « بوش الأب » وهو يقفز بالمظلة (أي الباراشوت) من إحدى الطائرات على ارتفاع يزيد عن ثلاثين ألف قدم ، ووصل بسلام إلى الأرض حيث كان ينتظره أصدقاؤه وأقاربه ، وقال لهم إنه أراد أن يحتفل بعيد ميلاده الخامس والثمانين (٨٥ سنة) بطريقة غير تقليدية ، وعندما سأله صحفي عما إن كان من الممكن مستقبلا أن يكرر مثل هذه القفزة من الارتفاع الرهيب ، قال إنه سوف يكررها عندما يحتفل بعيد ميلاده التسعين (٩٠) ، وأضاف إن التقدم في السن لا يعني عدم الاستمتاع بالحياة (خاصة الحياة التي تمتع صاحبها بالسلطة العليا) وكان من الممكن أن يدخل هذا الخبر المصور تليفزيونيا وما ذكره صاحبه في دائرة الحديث السائد في هذه الأيام عن ارتفاع متوسط الأعمار بصورة كبيرة خلال السنوات الأخيرة ، كما أنه قد ينتهي عند تذكيري بالحكمة الصينية التي تقول : « إن العمر لا يقاس بعدد السنوات التي يحياها الإنسان ، وإنما بما تحفل به هذه السنوات من عطاء يثري الحياة ويطورها » .

وإن كنت قد تذكرت أيضا قول الشاعر العربي الشهير « زهير بن أبي سلمي » في إحدى قصائده : « ومن يعش ثمانين حولا .. لا أباً لك يسأم !! » يعني من يعش حتى يبلغ الثمانين سنة يصاب بالملل ويصل إلى مرحلة السأم من الحياة ، وبالمناسبة كانت « الثمانين » مصدر شكوى وقلق عند شاعر آخر هو « عوف بن محلب » الذي قال :

« إن الثمانين وقد بلغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان »

لكن هذا المفهوم الشعري يناقض ما فعله وما ذكره الرئيس الأمريكي الأسبق «بوش » (والد بوش الإبن) الذي ابتلانا به القدر عندما صار هو الآخر رئيسا لأمريكا بعد « كلينتون » الذي جاء بعد أبيه فما فعله الرجل يختلف كثيرا مع ما قاله الشاعران العربيان ، بينما يتفق مع الحكمة الصينية ، وإن كان ذلك ينطبق على «حالات خاصة » ، وهذا بالضبط ما دفعني إلى أن أستعيد ما نشر عن احتفال «هيلموت شميث » مستشار ـ أو « أيقونة » ألمانيا ـ كما أطلقوا عليه ـ بعيد ميلاده «التسعين » وقد اختاره استطلاع أخير كالشخصية الأكثر حكما في ألمانيا (شغل منصب المستشار الألماني لمدة ثمانية أعوام من ١٩٧٤ حتى عام ١٩٨٢) وفي عام ٢٠٠٧ تم اختياره كأفضل مستشار سابق ! .

وهكذا انطلقت إلى البحث عن السر الحقيقي في طول عمر « بوش » و«شميث » ثم آثرت أن أتوقف بالتفصيل أمام شخصيات مثل تشرشل وكارتر وكاسترو وبيرلسكوني ثم وجدتني ألتفت بالضرورة إلى عالمنا العربي والأفريقي ومنطقتنا بصفة عامة ، وأيضا آسيا وبقية دول قارات العالم ، وبسهولة اكتشفت أن طول العمر ليس مقصورا فقط على الرؤساء والملوك بل يمتد إلى رؤساء الوزارات ورؤساء البرلمانات والوزراء ، ومن يتمتعون بالسلطة العليا بصفة عامة ، وكانت الملحوظة الأولي هي أن « طول العمر » لأصحاب « السلطة » لا يرتبط ببقائهم فيها ، لكن مفعولها وسرها يستمر ويمتد حتى بعد الابتعاد عنها فتراهم ـ ما شاء الله ـ يتمتعون بالصحة والحيوية بالرغم من اعتزالهم السلطة ، وكانت الملحوظة الثانية هي أن ملوكنا ورؤساءنا ووزراءنا ما شاء الله ينافسون في طول العمر أقرانهم في امريكا وأوروبا رغم اختلاف الحياة والأجواء المحيطة بل إن طول العمر من نصيب

أصحاب السلطة في العالم الثالث أكثر وأوضح .

وهكذا عانقتني فكرة كتابي هذا الذي اخترت له عنوان (السلطة وطول العمر) وكان من الطبيعي أن أبدأ بحثي باستكشاف ما تحققه السلطة لأصحابها من مزايا ومقومات صحية ونفسية معتمدا على « مصادر علمية » أشار بها على مشكورين : العالم الصديق الدكتور علي النفيلي ، والدكتور محمد همام ، والصديق محمد بخاتي رجل الأعمال الذي يعيش في انجلترا وأمدني بمراجع عديدة .

هذا وأنا أعلم علم اليقين أن الكثيرين ممن اخترت الحديث عنهم ، وتقديمهم كنماذج تجسد قاعدة « السلطة وطول العمر » من عالمنا العربي لن يرحبوا بذلك ، وقد لا يغفرون لي ما فعلت ، ربما خوفا من الحسد « والنق » ، وربما الحرص على عدم كشف أعمارهم الحقيقية ، وربما خشية أن يقال عن الذين ما زالوا في السلطة «يكفي عليهم ما حققوه ، وليتركوا مواقعهم لأجيال أخرى » وبنظرية « الاستباق » أقول لهم لا مجال للخوف من الحسد « والنق » لأن الأعمار بيد الله ، وبالنسبة لكشف اعمارهم الحقيقية أعتقد أن انتشار وسائل الإعلام من خلال ثورة التكنولوجيا لم تترك سرا دون أن تزيح عنه الستار ، ثم يبقي الخوف من أن يقال لهم : «لقد كبرتم فاتركوا أماكنكم لآخرين» ، وأقول إن ذلك يتعارض مع ما هو معروف عن تحلي الكبار بالحكمة والخبرة بدليل أنهم يصلون إلى ذروة عطائهم مع ذروة نضجهم وتقدم أعمارهم .

تري هل بلغت ؟ وهل أوضحت حسن نيتي ، وسلامة مقصدي أرجو ذلك .

والآن ما رايكم - دام فضلكم - لو دعوتكم - للتعرف على جوانب وأبعاد هذه العلاقة المثيرة « بين السلطة وطول العمر » ، ومن ثم نتعرف على ما حققته هذه العلاقة لرؤساء وملوك ورؤساء وزارات ورؤساء برلمانات ، ووزراء ، علما بان

علينا جميعا أن نتذكر الحقيقة المطلقة وهي أن الأعمار أولا وأخيرا بيد المولي سبحانه وتعالي ، وإذا كان من يتبوأون كراسي السلطة تطول أعمارهم في الغالب الأعم فإن الله هو الذي يهيء لهم تلك المناصب ويتيح لهم الإستفادة بأهم نتائجها وهي طول العمر .

■ ■ ■

ما هي السلطة .. وما أشكالها ؟

من بين تعريفات عدة للسلطة ، يستوقفنا في البداية التعريف الذي وضعه المفكر الفرنسي « ريمون آرون » وقال فيه : « السلطة هي المقدرة على الفعل أو التدبير » ، ويتخذ هذا المفهوم بُعده الحقيقي عند ممارسة الفرد سلطته على الآخرين ، أما التعريف الثاني فيقول إن « السلطة هي العلاقة التي يسعى من خلالها كل فرد أو مؤسسة إلى تسخير الأفراد والمؤسسات الأخرى للعمل طبقا لإرادتهم »، ويقول «ماكس فيبر » : « السلطة هي الفرصة المتاحة أمام الفرد أو الجماعة لتنفيذ مطالبهم في مجتمع ما في مواجهة من يقفون حائلا أمام تحقيقها » وتقول الموسوعة الفلسفية ان السلطة هي النفوذ المعترف به كليا لفرد أو مؤسسة ، وهي تتفرع إلى عدة حالات مثل :

١ . السلطة النفسية : وهي ما يطلق عليها « السلطان الشخصي ، التي تتمثل في قدرة الإنسان على فرض إرادته على الآخرين نظرا لقوة شخصيته وشجاعته وقدراته العقلية المتفوقة » .

٢ . السلطة الشرعية : وهي السلطة المعترف بها في القانون كسلطة الحاكم والقائد والأب .

٣ . السلطة الدينية : وهي مستمدة من الوحي الذي أنزله الله على رسله وأنبيائه .

٤ . سلطة الأجهزة الاجتماعية : التي تمارسها السلطة ، كالسلطة السياسية والتربوية والسلطة القضائية .

وهذا تعريف آخر يقدمه « جان وليام لابيار » الذي يقول إن السلطة هي

الوظيفة الاجتماعية التي تقوم على سن القوانين وحفظها وتطبيقها ، ومعاقبة من يخالفها ، وهي التي تعمل على تغييرها وتطويرها كلما دعت الحاجة ، ولا يختلف عن هذا التعريف كثيرا التعريف الذي يقدمه « جون لوك » حيث يقول : إن السلطة السياسية هي الحق المتاح لمن يمارسها في سن القوانين والعقوبات المختلفة حتى عقوبة الإعدام بهدف تنظيم الأمور في المجتمع .

ونجد عند عالم الاجتماع الشهير « ماكس فيبر » تعريفا يستكمل به التعريف الذي أشرنا إليه حيث يري أن السلطة ثلاثة أنواع :

- <u>السلطة التقليدية</u> : وتستمد من العادات والتقاليد والأعراف والبناء الاجتماعي للمجموعات الممتدة على مدى القرون ، وهناك عائلات حاكمة يتوارث أبناؤها الحكم عبر الأجيال في الشرق والغرب .

- <u>السلطة الشرعية</u> : تستمد قوتها من قواعد رسمية تمت صياغتها في صورة قوانين بواسطة الدولة في إطار قواعد أشمل وتسمي « الدستور » كما هو قائم في الدول الحديثة وحكوماتها .

- <u>السلطة الكاريزمية</u> : بعض الناس يهبهم الله شخصية ذات جاذبية خاصة جدا ومؤثرة في من يحيط بهم من البشر فتجعلهم ينقادون لها ويطيعونها ، (ويظهر هذا النموذج في الأحزاب والجمعيات المدنية والنقابات ، ومن الممكن أن يكون للشخص المتمتع بالكاريزما تأثير يفوق ما تحققه السلطة التقليدية والسلطة الشرعية) .

هذا والغالب في الأنظمة الدستورية المعاصرة أن سلطات الدولة ثلاث : السلطة التنفيذية ، والسلطة التشريعية ، والسلطة القضائية ، ونتوقف أمام السلطة التنفيذية لأنها أكثر السلطات تشعبا وتغلغلا في كل مناحي الحياة ، وأكثرها التصاقا بحياة

الناس المعيشية .

وكما يقال فإن علاقة السلطة التنفيذية بالمواطن تبدأ منذ مولده ، وقيد إسمه وتاريخ ميلاده في السجل المدني ، وتستمر إلى يوم وفاته ، وقيد واقعة الوفاة في سجل الوفيات ، وبين الميلاد والوفاة لا تنقطع الصلة في أي يوم بين المواطن والسلطة التنفيذية التي تبدأ من رئيس الدولة سواء كان ملكا أو أميرا أو رئيسا ، وتتسلسل حتى تصل إلى أصغر موظف في أصغر قرية ، والدستور هو الذي يحدد ما إذا كان رئيس السلطة التنفيذية الذي هو رئيس الدولة ملكا أو أميرا أو رئيس جمهورية ، والدستور هو الذي يحدد أيضا ما يتمتع به أى من هؤلاء من سلطات واختصاصات كما يحدد طريقة وصولهم إلى الحكم ، والمدة التي يمارسون فيها السلطة كحكام ، وعادة ما يصل الملوك للحكم عن طريق الوراثة ، وقد يكون الوريث هو أكبر أبناء الملك ذكراً كان أم أنثي كما هو الحال في انجلترا ، وقد حدث أن الملكة « فيكتوريا »، والملكة « اليزابيث الثانية » ـ الحالية ـ هما أطول من تولي الملك في انجلترا منذ عدة قرون ، وقد يكون الوريث هو أكبر الأبناء من الذكور كما يحدد دستور بعض الممالك كالسعودية مثلا ، وقد يحدد الدستور طريقا آخر غير ذلك لولاية العرش .

أما رؤساء الجمهورية فعادةً يأتون عن طريق الإنتخاب الحر المباشر وذلك في الدول الديموقراطية بطبيعة الحال ، وفي بعض الدول التي تسمي شكلا ديموقراطية ، ولديها دساتير فعلا إلا أن رئيس الجمهورية قد يأتي عن طريق الإنقلاب «أو الوراثة ولكن ليس بالوسيلة الواضحة المباشرة كما يأتي الملوك ، إذ يتم ذلك بطرق مسرحية وانتخابات شكلية غير حقيقية» ، هذا والدستور هو الذي يحدد سلطات الملك وسلطات الرئيس ، وعادة في البلاد الديموقراطية يملك الملوك

ولا يحكمون حيث لا يكون للملك سلطة فعلية ، وأحياناً يتمتع الملوك ببعض السلطات المحددة كإختيار رئيس الوزراء من بين بعض المرشحين للمنصب ، وأحيانا لا يستطيع أن يختار إلا رئيس الحزب الفائز في الإنتخابات ، وذلك وفقا للقدر الذي وصلت إليه الدولة من الديموقراطية ، أما رؤساء الجمهورية الذين يأتون عن طريق الإنتخابات فإن سلطتهم تختلف وفقا لما إذا كان الدستور قد اختار النظام الرئيسي أو النظام البرلماني .

هذا وغني عن البيان أن المقصود في مؤلفنا هذا « أصحاب السلطات العليا » ، الذين رأينا أنهم الملوك والرؤساء ورؤساء الوزارات ، ورؤساء البرلمانات ، والوزراء .

■ ■ ■

«الصلة بين السلطة » و « طول العمر »

بعد أن تأكد لدي العلماء والدارسين أن ثمة صلة « واضحة » بين ممارسة السلطة وطول العمر ، كان من الطبيعي أن يتصدي بعضهم - وإن كانوا قلة حتى الآن - لبحث واستكشاف العوامل النفسية والبيولوجية التي تخلق هذه الصلة ، وقد استرعي انتباههم أن أصحاب السلطة - بأشكالها المختلفة - خاصة السلطة العليا في دول العالم الثالث يتمتع معظمهم بطول العمر بالرغم من أن التقدم الصحي ، والرعاية الصحية ، والظروف المحيطة ، عوامل لايمكن تجاهلها في ملاحظة أن متوسط الأعمار في تلك الدول أقل بكثير من متوسط الأعمار في الدول المتقدمة ، فبينما يصل متوسط الأعمار في دولة كالصومال أقل من ٥٠ عاماً ، يعيش آدم عبد الله أول رئيس لهذه الدولة بعد الاستقلال حتى ٩٩ عاماً أي أنه دق أبواب المائة عام ، وبينما يكون متوسط الأعمار في « زيمبابوي » ٤٠ عاماً يصل عمر الرئيس « موجابي » إلى ٨٦ عاماً ومازال يتحدي كل الظروف والمواقف داخل وخارج بلده ، ولعل هذه الحقيقة التي نتحدث عنها هي التي دفعت مجلة أمريكية واسعة الإنتشار (فورين بوليسي) لنشر قائمة بأسماء زعماء العالم العشرة الأكبر سنا (حالياً) وهم : « الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ملك السعودية ، روبرت موجابي رئيس زيمبابوي ، براسادا كورالا رئيس وزراء نيبال ، عبد الله واد رئيس السنغال ، الرئيس حسني مبارك ، صباح الأحد الجابر الصباح أمير الكويت ، راؤول كاسترو رئيس كوبا ، مواي كيبابي رئيس كينيا ، مانوها سينج رئيس وزراء الهند ، ثان شوي رئيس مجلس السلام والتطوير في بورما ٩٦ عاماً .. ولو أن المجلة حاولت حصر أسماء أكبر الوزراء والقيادات الأخرى لوجدت أمامها قائمة بالآلاف أو أكثر .

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى أن ارتباط السلطة بطول العمر لا يعني أن أصحاب السلطة وحدهم هم من يحظون بطول العمر ، إذ أنه حتى مع تدني مستوى متوسط الأعمار يوجد من الأشخاص العاديين من يكتب لهم عمر أطول بكثير ولكنهم يظلون حالات محدودة لا يقاس عليها ، ومن الطريف أن كاتبا فرنسيا متخصصا « جوستن جلاس » نشر بحثا حول هذه الحقيقة واستشهد بما يحدث في عالم الكائنات المختلفة فذكر مثلا : « أن متوسط عمر النحلة يتراوح ما بين أربعة أوخمسة شهور ، بينما تعيش ملكة النحل ثماني سنوات وأكثر ، رغم أنها ولدت من نفس البيضة التي تولد منها بقية النحل ، والفيصل هنا هو الظروف المتاحة لها وحدها والتي تلتقي مع بعض الظروف التي تتاح لأصحاب السلطة العليا من ملوك ورؤساء وزارات ورؤساء برلمانات ووزراء وقيادات كبيرة ، وقد حاول بعض العلماء حصر العوامل التي تشكل « الظروف » الملائمة لتحقيق طول العمر فنجد مثلا البروفيسور الأمريكي « جوزيف ألبرت ج ، أى » أستاذ الصيدلة بجامعة أريزونا يري أن هذه العوامل التي يتوفر معظمها لدى أصحاب السلطة تتمثل في التالي :

١- الغذاء الصحي وأهمية الفاكهة والخضروات يوميا مع الإبتعاد عن الكربوهيدرات البيضاء مثل السكر والدقيق الأبيض .

٢- استشارة الطبيب في فترات ثابتة من أجل الصحة الوقائية بمعني الوقاية من الأمراض بإجراءات مثل التحليل الدوري للسكر والكولسترول ، وقياس ضغط الدم ، وفحوصات مقدمات السرطان وهشاشة العظام ...) .

٣- العناية الطبية الفائقة بمجرد التعرض لأي مرض أو أزمة صحية .

٤- ممارسة الرياضة من نصف ساعة إلى ساعة يوميا .

٥- الاستمتاع بالأجازات ، وممارسة الهوايات كعزف الموسيقي ، أو ممارسة

رياضات محببة إلى النفس مثل الجولف ، أو الإسكواش ، والتنس ، وكذلك قراءة الكتب والدراسات المشوقة ، ويكون ذلك كله أفضل لو تم بصحبة شخص قريب إلى النفس .

٦- طبيعة العمل ، والجهد الذهني والبدني ومدي ملاءمته للعائد المادي منه ، ثم مدة العمل وزمنه ، وهل يسود الاحترام علاقات العمل أم العكس ؟ (والمعروف أن الرئيس يتحكم في عمله عن المرءوس) .

٧- تفادي السمنة والوزن الزائد .

٨- الحرص على العلاقات العائلية ، وعلاقات الأصدقاء ، وتفادي اللقاءات الطويلة مع أشخاص قد يكونون مصدر قلق .

٩- الجينات الوراثية التي تظهر كل طاقاتها الكامنة إذا توفرت لها الظروف والبيئة المناسبة .

١٠- مستوى الدخل المادي .

١١- البيئة التي يعيش فيها الإنسان ، وهي إما بيئة طبيعية مثل البرد والحر والصحرا والجبال ، أو بيئة كيميائية من مكونات الهواء الذي نتنفسه والماء والطعام ، ثم البيئة البيولوجية وهي كل الأحياء المحيطة بنا من فيروسات وبكتيريا وفطريات ، وأخيرا البيئة الاجتماعية المتمثلة في الأهل والأصدقاء ومن نتعامل معهم .

١٢- تجنب عناصر التوتر التي تقود إلى الانفعال الزائد ، ويساعد في ذلك التعامل الجيد مع أسباب التوتر لو كان حتميا وذلك بوضع هذه الأسباب في أصغر حجم كأن نقابل خبر الإصابة بمرض السكر بأنه ليس على أي حال مرض السرطان .

وإلى جانب هذه القائمة الهامة التي وضعها الكاتب والباحث الفرنسي « جوستن جلاس » Gosten Glac نجد إضافة هامة لها يقدمها الدكتور « مارتن سيجلمان »

Marten Segelman الأستاذ بجامعة بنسلفينيا ، ورئيس الجمعية الأمريكية لعلم النفس الذي يري أن الشعور بالسعادة له أهمية كبيرة في الصحة وطول العمر وليس فقط من منظور روحاني ، وإنما أيضا من منظور علمي وطبي ، فقد ثبت ـ مثلا ـ أن الإحساس بالسعادة يقوى المناعة ، ويري الدكتور « مارتن سيجلمان » ان مصادر السعادة تتمثل في :

- المال والرضا والقناعة بالدخل الجيد .
- الحالة الصحية .
- التفاؤل والثقة في الأيام القادمة والإيمان بالهدف .
- المرح والحركة النشطة .
- الرضا بما تحقق في السنوات التي مضت من العمر والإرتياح والفخر بأية انجازات تم تحقيقها .
- الوضع الإجتماعي .
- مواصلة العمل ، وعدم التوقف حتى لو انتهي الارتباط بالوظيفة أو النشاط الذي يعمل فيه الإنسان ، فعليه البحث عن أي عمل أو نشاط آخر حتى لوكان أقل مستوى من العمل والنشاط السابق .
- الاشتراك في المحادثات والمفاوضات بإختلاف مستوياتها .
- توفر سبل العلاج الحديث المتقدم مهما كانت تكاليفه.

والمعروف أن سعادة النفس من العواطف الإيجابية مثل البهجة والمتعة واللذة والطمأنينة ، والأمل ، والفخر ، والشوق ، وذلك بعكس العواطف السلبية والضغوط النفسية مثل الخجل ، الحرج ، الإحساس بالذنب ، الإحساس بالمهانة ، الارتباك ، القهر ، الإحباط ، الوحدة ، عدم الثقة بالنفس .

هذا والمعروف أن العلماء والباحثين اتفقوا جميعا على ارتباط الحالة البدنية بالحالة النفسية المعنوية ، ومن ثم - وفقا لما يؤكده الأطباء - تكون صحة الإنسان هي اللياقة البدنية والنفسية والاجتماعية وليست مجرد الخلو من المرض ، هذا وتتم دراسة الترابط والتأثير المتبادل بين النفس والبدن من خلال جمع الملحوظات والاستفسارات والاستبيانات من مجموعات من البشر في حياتهم اليومية وتحت ظروف وأوضاع اجتماعية متباينة ، والطريقة الأخرى هي الدراسات التجريبية وهي إخضاع مجموعة من البشر لتجارب عملية إلا أن الاعتبارات الأخلاقية ترفضها حيث أنها تتم مثلا بين أسري الحرب الذين لا يملكون القدرة على رفض تلك التجارب التي تجري عادة على حيوانات كالشمبانزي كما تجري على الفئران .

تلك مجموعة من العوامل التي يساعد الإيجابي منها في طول العمر بمشيئة الله ، وهي لا تختلف تقريبا عن العوامل التي وضعها عالم البيولوجيا الروسي « فياتوف » Veyatov الذي يضيف فقط أهمية الاسترخاء بين أوقات العمل ، ونظم البيوكيمكالي ، كما يوضح أن جسم الإنسان يحتوى على ٦٠ تريليون خلية بإختلاف أنواعها وهي لا تموت كلها مرة واحدة حيث يتم ذلك تدريجيا وعلى مراحل ، وهذا يعطي الفرصة للعلاج الطبي لو كان الفحص والتشحيص يتم دوريا وبشكل ثابت .

ويتعين أن أضيف بعدا هاما أكد أهميته الفيلسوف العالم « مولا سادرا » Mulla Sadra الذي يقول في كتابه « أسفار » إن حماية وإدارة الجسد ترجع إلى الروح (الحالة المعنوية) بمعني أن الروح هي التي تضع الجسد في الحالة التي يريدها ، وكلما كانت تحتاج لبقاء الجسد فإنها تحميه وتحفظه ، ولعل هذا المعني هو الذي عبر عنه الشاعر الكبير بيرم التونسي في إحدى اغانيه لكوكب الشرق أم كلثوم فيقول :

المغني حياة « الروح » يسمعها العليل تشفيه

بيداوي عليل مجروح يحتار الأطبا فيه

وإن كانت هذه الكلمات لا توضح فقط أهمية (الروح) إذ توضح أيضا المقصود « بالمغني » وهو الطرب والسعادة والرضا .

ويمكن حصر الاحتياجات الروحية والنفسية للإنسان حتى يتوازن ويحقق ذاته ويتمتع بنتائج تحقيق هذه الاحتياجات على صحته وعمره في النقاط التالية :

١ . احترام الذات وتقديرها ويتحقق ذلك بدرجات متفاوته وفقا لدور الفرد في المجتمع ومكانته وحاجة الآخرين إليه .

٢ . الحاجة للإحساس بالأمان وعدم وجود ما يهدد حياته أو نشاطه .

٣. حب الآخرين والشعور بانهم يحبونك ويعجبهم آداؤك وانجازاتك حتى لو كان ذلك من باب النفاق خاصة لمن هم في السلطة .

٤ . احترام الحياة كقيمة والإحساس بإهمية الإعلاء من شأنها من خلال العدل والحق والخير .

هذا ومن المتفق عليه طبيا ـ كما أشرنا ـ أن الحالة النفسية لها مردودها الواضح على الحالة الصحية العامة ، وتؤدي إلى تغيرات بيولوجية بشقيها أي تغيرات إيجابية أو تغيرات سلبية ، والتغيرات السريعة الواضحة هي تغيرات فسيولوجية مثل اضطراب التنفس أو سرعة النبض ، أما التغيرات البيولوجية الأخرى فتظهر في نشاط الجهاز العصبي المركزي ، وعندما تستقبل خلايا المخ إشارة أو ترسل إشارة من وإلى أجهزة الحواس والحركة وأعضاء الجسد الأخرى يتم إفراز مواد ومركبات كيميائية مثل «الدوبامين » Dopamine و « السيروتونين » Serotnin و « النورادرينالين » Noradrenaline «والاسيتيل كولين » Acetylcholine، والمستقبلات

Receptors وهذه المواد لها دورها البارز في إعداد الجسد وتحريك الإرادة والقدرة على مواجهة تحديات الحياة ، وكذلك في تجلط الدم في شعيرات الشرايين التاجية بالقلب تحسنا (أو سوءًا لو كانت الحالة النفسة سيئة) ، ومن نتائج هذه المواد أيضا عدم القلق الذي يؤثر في النوم ، وأيضا في التركيز والتوافق العضلي العصبي ومستوى التفكير والذاكرة .

وتقول دراسة يابانية أن توفر عوامل الحالة النفسية الجيدة ، والنظام الغذائي الجيد ، وتجنب الملوثات البيئية ، والرعاية الصحية الجيدة ، متضمنةً الوقاية وسرعة العلاج ، والبيئة الاجتماعية الجيدة ، من الأمور التي تؤدي في الغالب إلى طول العمر ، وتؤكد هذه الحقيقة دراسة إيطالية جاءت في مؤلف « لماريروزا ديللو بونو » Marirosa Dello Buono فتقول إن الحياة في ظروف عائلية واجتماعية مريحة مع اتباع نظام غذائي جيد يعتمد على الطعام الطبيعي الخالي من المواد الحافظة توفر لمن يتحملون أعباء مسئوليات كبيرة ، ويمتلكون قدرات نفسية وذهنية وإدراكية جيدة فرص عدم التعرض لضغط الدم المرتفع ، والكوليسترول المرتفع ، ومرض السكر ، كما أن الجهاز المناعي يعمل بشكل جيد جداً .

ومن أجل تأكيد هذه الحقيقة تقوم مؤسسات صحية بتنفيذ استطلاعات على نماذج من المواطنين خاصة من ذوى السلطة ، لتوضيح جوانب وأبعاد مستوى الحياة عندهم من حيث الحالة الصحية ، والقدرات الذهنية والإدراكية ، الحالة النفسية ، مستوى العمل اليومي ، مستوى النوم ، الوضع الاجتماعي والروحي ، وقد تم تنفيذ هذه الاستطلاعات في إيطاليا على ٤٦٢ شخص تجاوزت أعمارهم ٧٥ سنة ، وقد أكدت إجاباتهم بما لايقبل أي شك هذه الحقيقة.

ولمن يبحث عن أسباب مباشرة في طول العمر من يعيشون في أعلي سلم الحياة ،

أي من يتمتعون بالسلطة العليا ، أن يتأمل جيداً العوامل العامة التي توفر إمكانية طول العمر ، كما ذكرناها ، والمؤكد أنه سيجد أن معظم هذه العوامل متاحة ومتوفرة تماما لهم ، وهذا ما يلخصه الطبيب الإنجليزي « السير مايكل مارموت » مدير المعهد الدولي للصحة والمجتمع ، ومستشار هيئة الصحة العالمية ، والذي يقرر أن أصحاب السلطة العليا يتمتعون بمعظم أو كل عوامل الصحة البدنية والنفسية والذهنية فتتوفر لهم اللياقة البدنية مع اللياقة النفسية واللياقة الذهنية ، وكلما ارتقى المسئول سلطة أعلى دانت له كل تلك العوامل حتى أن رئيس الدولة يمكن أن يتمتع بعمر اكبر من نائبه وتفسير ذلك أن حالته النفسية تكون أفضل بما يحظي به من امتلاك الإرادة تماما ، وما يحيطه من مشاعر الاحترام والتقدير والمجاملة .

واللافت للنظر أن هذه الحقيقة العلمية التي تربط بين السلطة وطول العمر جعلت كاتبا مصريا يرصد حالة أصحاب السلطة العليا في مصر على مدار أكثر من ثلاثين عاما ، ليقول إنه لم يحدث خلال هذه السنوات الطوال أن مات وزير في فترة توليه للسلطة وكان الاستثناءان فقط هما الدكتور عبد الهاي راضي وزير الري الذي تقلد منصب الوزارة وهو يعاني أساسا من مرض السرطان ، والدكتور جلال أبو الدهب وزير التموين لأسباب مماثلة ، ويقول الكاتب الكبير إن هذه الملحوظة تنطبق أيضا على رؤساء مجالس الإدارة ، ورؤساء تحرير الصحف ، وهو يكاد يردد ما ذكرناه عن عوامل الصحة وطول العمر فيقول بأسلوبه المعروف ان الوجود على كرسي السلطة يسمح لصاحبه بأطايب الحياة وملذاتها والصحة والعافية والرضا عن النفسي والاستمتاع بما يتدفق على أذنيه من مديح ومجاملات ، ولوكان ذلك مجرد (نفاق) إلا أنه يصدقه تماما فتزيد سعادته ، ويدلل الكاتب على ذلك بما حدث مع الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك عندما استفتي بعض الفقهاء قائلا : « هل

يحاسب الله الخلفاء يوم القيامة على أفعالهم ؟ » ، فأفتي له أربعون فقيها بأنه لا حساب على الخلفاء يوم القيامة !! .

وهكذا يفعل المحيطون بصاحب السلطة العليا ليصبوا مزيدا من الإحساس بالسعادة ، والراحة في نفسه للدرجة التي تجعله لا يفرق بين الرأي الصحيح ، والرأي المنافق ، بل إنها تجعله لا يتأثر ولا ينفعل كما يجب ، وإذا سمع ولو بالصدفة ما يمثل انتقادا له وكأنه باللاشعور يرفض أي مساس بحالته النفسية الجيدة التي تنضم بقوة إلى بقية عوامل طول العمر .

■ ■ ■

لم يسع إليها ... فسعت هي إليه !!

الرئيس حسني مبارك
[٨٢ عاما]

كان ذلك في أوائل عام ١٩٨٢ ، عندما كنت مستشار مصر الإعلامي في بريطانيا ، وشاركت في إعداد مؤتمر صحفي ، يلتقي فيه الإعلاميون البريطانيون مع الرئيس حسني مبارك الذي يزور لندن بعد شهور قليلة من توليه رئاسة الجمهورية ، وعندما حاول مذيع قناة BBC الشهير أن يستكشف ملامح شخصية الرئيس الجديد لمصر سأله قائلا : « هل ستكون إمتدادا لعبد الناصر ، أم إمتدادا للسادات ؟ » فأجابه الرئيس باختصار حافل بالدلالات : « أنا اسمي حسني مبارك » ، [يعني لن يكون ظلا للسادات ، ولا ظلا لناصر فهو له شخصيته وأسلوبه] ، والطريف أن تساؤل المذيع الإنجليزي تردد بعد ذلك خاصة في السنوات الأولي لحكم الرئيس مبارك ، حيث قال البعض إنه ناصري حتى النخاع بدليل أنه أطلق اسم جمال عبد الناصر على ابنه الثاني جمال ، واستعان في حكمه بشخصيات ناصرية معروفة مثل الدكتور فؤاد محي الدين ، والدكتور أسامة الباز ، والدكتور مصطفي الفقي وآخرين ، بينما يري فريق آخر أنه ساداتي حتى النخاع أيضا فهو - أولا - يدين له بالولاء منذ اختاره نائبا للرئيس ، وهو - ثانيا - ينتهج سياسة السادات الاقتصادية بشكل أو بآخر ، واستعان بأصحاب الفكر الساداتي الاقتصادي مثل الدكتور عاطف صدقي ، والدكتور علي لطفي ، والدكتور عاطف عبيد ، وغيرهم من أنصار التخلص بشكل أو بآخر من القطاع العام ، والاتجاه سريعا نحو الخصخصة وتحرير الأسعار ، والليبرالية الاقتصادية التي كانت من عوامل تأكيد العلاقة الوثيقة بالغرب ،

وأمريكا التي اتخذت العلاقة معها عمقاً أكبر فزادت عملية « الدولرة » للاقتصاد المصري ، وزاد دور المعونة الأمريكية في تحديد أولويات التنمية الاقتصادية المصرية ، وزدات المناورات العسكرية المشتركة بين البلدين (مناورات النجم الساطع) ، وزاد التنسيق مع أمريكا في محاربة الإرهاب ، وحافظ على التطبيع مع إسرائيل (حتى لو كان في إطار السلام البارد) ورغم هذه الملامح الساداتية في سياسة مبارك ، إلا أنه لا يمكن تجاهل الإختلاف الحاد بين سياسة « الصدمات » التي احترفها السادات ، وسياسة الهدوء والتروي بشدة كما ينتهجها مبارك الذي كان يقول دائما : « أنا أُفضل التفكير الهادى وعلينا أن نفعل كل شيء بهدوء »، كما أنه إذا كانت العلاقات السياسية مع الولايات المتحدة الأمريكية التي كان السادات يري أنها تمتلك ٩٩٪ من أوراق اللعبة والحلول للقضايا العربية ، قد زادت وترسخت ، فإن الرئيس مبارك نجح في أن يحافظ في نفس الوقت على وتيرة العلاقات مع الاتحاد السوفيتي بعكس الوضع أثناء حكم السادات.

وإذا كان المحللون والمعلقون في الداخل والخارج قد تباينت آراؤهم في الصلة بين حكم الرئيس مبارك ، وحكم عبد الناصر ، وحكم السادات ، فإن هناك فريقا ثالثا يري أن أى تشابه مع حكم هذا أو ذاك لا يعني أن الرئيس مبارك لم يحدد لنفسه أسلوبه الخاص حتى لو كان قد تأثر بفكر الإنفتاحيين الذين ظهروا في عهد السادات ، وصارت لهم قوة مؤثرة على مسار الأمور للدرجة التي تحقق معها ما يسمي بالتزاوج بين الثروة والسلطة ، ويري هؤلاء (من الفريق الثالث القائلين بأن مبارك ليس عبد الناصر وليس السادات) أن مدة حكم الرئيس مبارك والتي تصل إلى ٢٩ عاما تمثل اختلافا آخر مع الرئيسين السابقين اللذين لم تتجاوز فترتا رئاستهما مجتمعتين خمسة وعشرين عاما ، كذلك فإن الرئيس مبارك يختلف عنهما بأنه لم يكن

له اهتمامات سياسية وكان كل تركيزه في الجانب المهني الذي تفاني فيه طيارا وإداريا حتى أعلى مستوى .

لم يكن له ـ على حد قوله في حوار تليفزيوني ـ أي طموح سياسي ، وقال إن حياته كلها حروب وكان لا يذهب إلى البيت إلا في فترات متقطعة قليلة حيث قضى أغلب حياته في المعسكرات والوحدات ، وكان يمني نفسه بأن يتم تعيينه سفيراً في بلد مريح ـ مثل انجلترا ـ يعيش فيه فترة قبل أن يصل إلى سن المعاش وذلك كان كل أمله « فأقصي شيء أفكر فيه كان أن أستريح بعد المجهودات الضخمة والحياة في ثكنات عسكرية وبين رمال الصحراء دون أن أقضي وقتاً كافياً مع أسرتي » ، وهكذا بكل صراحة وبساطة تحدث الرئيس مبارك عن حدود أمله ، ثم أكدها بصيغة أخرى أكثر تحديدا ، حيث قال : « عندما جاءني المشير الجمسي ، وأبلغني بأن أكون عند الرئيس بالقناطر الخيرية في الساعة السادسة ، وكان ذلك في يوم خميس ، وكنت معزوما خارج بيتي ، أخبرت زوجتى أن الرئيس سوف يسألني عن القوات الجوية ، وربما يبلغني بتعييني سفيراً في إحدى الدول الأوروبية ، وقلت لها إنني سأعود بعد ساعة أو ساعتين لا أكثر ، ووصلت عند الرئيس في السادسة تماما كما تحدد لي ، وجلست معه في » البلكونة « بالدور العلوي ، وأخذ يحكي لي عن مواقف في حياته ، وبعد ساعتين ونصف تم تقديم العشاء ، ومازال هو يتحدث عن حياته ، وعن عبد الناصر ، وعن الثورة ، وكيف كانت الأمور تسير إلى جانب قصص أخرى طويلة ، ولم يكن هناك أحد غيري ، وبعد العشاء وجدته يقول لي : » منذ مدة وأنا يا ابني أفكر في اختيار نائب لرئيس الجمهورية ، وقد فكرت في « أحمد إسماعيل » لكنه كان مريضاً ثم فكرت في «الجمسي » ووجدت أن أنسب مكان له هو وزير الدفاع ، وفكرت في « محمد علي فهمي » ووجدت أنه خبير صواريخ وهذا مجاله »،

هكذا أخذ الرئيس السادات يتحدث ، وأنا لا يخطر ببالي إطلاقاً ورود اسمي في هذه الاختيارات ، وإذا بالمفاجأة تقع فيقول لي الرئيس : « لم يعد أمامي سوى أنت ، وقد اخترتك لمنصب النائب » ووجدتني أقول له : « طبعاً ذلك خلال سنة أو سنتين » ، فقال لي : « لا .. سأنتظرك يوم السبت .. ولكن قل لي من الذي بعدك في قيادة القوات الجوية ؟! » .. وانتهت المقابلة وعدت إلى منزلي وأنا تحت تأثير المفاجأة (الصدمة) ويبدو أن ذلك انعكس على طريقتي في إبلاغ الخبر لأسرتي حتى أنهم خاصة اولادي علاء وجمال غضبوا جداً لأنني سأترك القوات الجوية !! .

وإذا كان اختيار الرئيس السادات للفريق مبارك كنائب للرئيس ، نقطة تحول بارزة في حياته ولا شك ، إلا أن نقطة تحول أخرى أكبر وأكثر دويا تحققت في لحظة فارقة من تاريخ مصر ، وتاريخ الأمة العربية ، وتاريخ مبارك شخصياً ، وذلك تحديدا في ٦ أكتوبر ١٩٨١ ، حيث غادر نائب الرئيس حسني مبارك منزله مبكرا لحضور العرض العسكري احتفالا بذكرى انتصارات أكتوبر ، وكان مقررا لهذا العرض أن يستمر ساعة ونصف ساعة ، وكان من المتوقع أن يشهد ذلك العرض لأول مرة حدثا فريدا وهو استعراض بالألوان للطائرات الحديثة ، ومن الطبيعي أن نائب الرئيس كان مهتما بصفة خاصة ، بهذه الفقرة من العرض لأنه - أولا - طيار ، - وثانيا - لأنه كقائد عام سابق للقوات الجوية يدرك معني وقيمة ذلك الاستعراض ، كذلك كان يهمه ويهم الرئيس السادات أيضا أن يري العالم إلى أي مدي وصلت مصر في امتلاكها للأسلحة المتقدمة المعقدة ، جلس مبارك والمشير أبو غزالة بجوار السادات وأمامهم حائط منصة العرض ، وخلفهم جلس عدد كبير من القيادات التنفيذية والتشريعية وحوالي ١٠٠٠ من المدعوين الأجانب من سفراء وملحقين حربيين وإعلاميين ، كما كانت زوجتا السادات ومبارك (السيدة جيهان ، والسيدة

سوزان) تجلسان بجوار بعضهما ، ولعل أفضل من يحكي ما حدث هو الرئيس مبارك نفسه الذي قال في حوار تليفزيوني : « كنا نجلس في أماكننا كالمعتاد لمشاهدة العرض ، وكنا نتناقش فيما سنفعله يوم ٢٥ ابريل القادم ، والذي كانت إسرائيل ستعيد فيه باقي سيناء ، وبينما كان الرئيس السادات يفكر في طريقة الاحتفال الذي سيتم بتلك المناسبة ، كانت طائرات الميراج قد بدأت تقوم باستعراضاتها ، وفجأة مال عليَّ وقال لي : « لقد قررت ترقية بعض الضباط الذين اشتركوا في حرب أكتوبر » وقبل أن أرد عليه فوجئت به يقف ، وطبعا كان لا بد أن نقف كلنا ، وفي أقل من ثانية كنت أري طيف شخص ما يلقي بشيء نحونا ودوى صوت إطلاق الرصاص ، وفجأة وجدت من يدفعني بعيدا وحاولنا أن نجبر السادات على الإنحناء لأسفل ، لكنه قاوم بشدة ، وأعتقد أنه لم يكن يصدق ما يحدث ـ لأنه كما كان يقول دائما : « إنه في هذه المناسبة يكون بين أبنائه أبطال أكتوبر » ، ثم سمعت أحد المهاجمين يقول لي : « إبعد أنت عن طريقي ، كل ما نريده هو ابن (...) » ، وشعرت بطلقات الرصاص تتطاير حولي لدرجة أنني كنت أشعر بسخونتها ولمرتين شعرت أن كل شيء انتهي ، المرة الأولي عندما رأيت قنبلة يدوية وهي تتطاير نحوى ، والمرة الثانية عندما رأيت بارود بندقية تقريبا يكاد يقترب من وجهي أو بالضبط على بعد خمسة أقدام فقط منى ، وكان حرس السادات يصرخون ، ويقولون له : « إنبطح أرضا .. إنبطح .. إنبطح » ، وحاول سكرتيره الذي كان يجلس خلفه أن يحميه فقام بتغطيته بالكراسي ، ولكن ذلك كله لم ينفع ، فقد شاهدته راقدا على ظهره ، ووجهه مغطي بالدماء وعرفت لحظتها أنه انتهي تماماً .

وبالفعل انتهي السادات الذي نقل جثمانه إلى مستشفي القوات المسلحة بالمعادي ، واتضح أنه أسلم الروح إلى بارئها ، وأمام غرفة العمليات التي يرقد فيها جثمانه

وسط بكاء ونحيب الأطباء والذين سارعوا إلى المستشفي ، اتجهت السيدة جيهان بنظرها إلى النائب ، وقالت وهي تحاول ان تتماسك : « لا فائدة .. إلحقوا شوفوه » ثم قالت : « إلحقوا شوفوا البلد » ، بعد ذلك جاءني الدكتور فؤاد محي الدين وقال لي : « يا فندم الموقف في البلد خطير ، ولازم نلحقه ، لابد أن يجتمع المكتب السياسي ويرشحك لأن البرلمان ينتظر هذا الترشيح ، وفي الاجتماع الذي حضره كل الأعضاء قلت : » إنني في وضع لا أستطيع أن أترك البلد فيه ، وقد قبلت أن أرشح نفسي ، وذهبت إلى مجلس الشعب وتم ترشيحي ، ودخلنا في الاستفتاء لكنها كانت فترة صعبة وعصيبة « ، وفي الرابع عشر من أكتوبر ١٩٨١ عقدت جلسة البرلمان برئاسة الدكتور صوفي أبو طالب الذي تولي بحكم موقعه كرئيس مجلس الشعب رئاسة الجمهورية في الفترة التي فصلت بين رحيل السادات ، وموعد ترشيح الرئيس الجديد

وهكذا في أقل من دقيقة استغرقها الحدث الخطير ، وقعت اللحظة الفارقة التي لم يتوقعها فمرة أخرى تسعي إليه المناصب ، لكنها في هذه المرة لم تكن مجرد منصب ، لقد سعت إليه السلطة الكبرى وتأكيدا من جديد لعدم سعيه لها ،

وبعد أن ردد الرئيس مبارك القسم كرئيس جديد للجمهورية ، قال : « أنا لم أسع أن أكون رئيساً ، لقد قبلت هذا المنصب لأنه يحقق صالح بلدي ، أنا رجل ليست لي طموحات » .

وإذا كان هو حريصا على تأكيد ذلك المعني ، فإن سجل حياته يضيف تأكيدا آخر ، فقد ولد في ٤ مايو ١٩٢٨ في قرية كفر المصيلحة بمحافظة المنوفية لأب كان يعمل بوزارة العدل ، واجتاز مراحل الدراسة الابتدائية والثانوية ، وكان يحب لعبة الهوكي ، ومن الطريف أنه كان يقطع مسافة طويلة حتى يصل إلى ملعب الهوكي ،

وكان يستخدم عصا اللعبة في مواجهة الكلاب الضالة والشرسة التي كانت تظهر فجأة في الطريق ، ولعل لعبة « الهوكي » التي أحبها ، ولعبة « الاسكواش » بعد ذلك تدل على أنه رياضي منذ الصغر ، وبينما كان في الثانوية العامة (وكان اسمها التوجيهية) اندلعت الحرب العالمية الثانية ، والتحق بالكلية الحربية في عام ١٩٤٧ ، وهو العام الذي شهد تقريبا انفجارا في العالم العربي وذلك بعد صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين لدولتين « عربية ، ويهودية » .

وفي تلك الفترة ورغم الغليان الذي كان يفور داخل الجيش بسبب أحداث حرب فلسطين ، وفساد الملك ، كان الملازم حسني مبارك يركز تماما في الدراسة ، والتدريب ، وربما لأنه كان صغير السن لم يهتم الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر بمحاولة استقطابه وضمه إلى تنظيمهم ، وفي عام ١٩٥٢ ذلك العام المحوري في تاريخ مصر تخرج حسني مبارك في كلية القوات الجوية التي كان قد نقل إليها من الكلية الحربية ، والمعروف أن اختيار من يلتحقون بالكلية الجوية يخضع لمقاييس صارمة للتأكد من اللياقة البدنية والذهنية الفائقة ، وبعد ذلك تلقى تدريبا إضافيا في الاتحاد السوفيتي ليعود منه مدربا للطيران حيث ظهرت صفة الجدية والصرامة في شخصيته .

وكان من بين من دربهم « حافظ الأسد » الذي أصبح فيما بعد رئيسا لسوريا ، كما تدرب على يديه «عاطف السادات » شقيق أنور السادات الذي كان وقتها عضو مجلس قيادة الثورة ، ويقول مبارك : « كنت أعامل عاطف شقيق السادات كأي طالب آخر ، ولم أكن أريد له أن يحظى بأى ميزة خاصة .. فأنا أكره بطبيعتي استغلال علاقات القرابة بكبار المسئولين » ، هذا وفي أحد الأيام زار أنور السادات شقيقه عاطف في الكلية ، وتابع مبارك وهو يلقي دروسه ، وأعجب به حتى أنه

كتب اسمه في مفكرة خاصة قد يعود إليها فيها بعد ، (والمعروف أن الطيار عاطف السادات كان من أوائل الطيارين الذين استشهدوا في حرب أكتوبر) ، وفي عام ١٩٥٧ تعرف مبارك على أسرة السيدة (سوزان) من خلال أخيها الطالب بالكلية منير ثابت ، واقترن بها في عام ١٩٥٨ ـ وكان عمرها وقتئذ ١٨ سنة ـ وفي هذه الفترة أيضا ومع ازدياد اعتماد الجيش المصري على التسليح السوفيتي ،أصبح مبارك مسئولا عن الطائرات قاذفات القنابل ، ولذلك قام بزيارات عديدة للاتحاد السوفيتي في أعوام ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦١ حيث استوعب كل ما يتصل بالقاذفات مثل « اليوشن ٢٨ » و « توبولوف ١٦ » .

ورغم أنه كان يهرب من السياسة ، إلا أنها كانت هي التي ـ كالعادة ـ تسعى إليه ، ففي عام ١٩٦٢ بدأ مساره يأخذ منحنى جديدا مع بداية حرب اليمن حيث تم إرساله لقيادة وحدات القوات الجوية التي شاركت في تلك الحرب ، وفي عام ١٩٦٤ رأس الوفد العسكري الذي سافر إلى الاتحاد السوفيتي مرة أخرى للحصول على تدريب متقدم في كلية « فرونز » العسكرية في موسكو ، وبعد عودته وتحديدا في أعقاب « نكسة ٦٧ » اختاره جمال عبد الناصر رئيسا لهيئة أركان القوات الجوية بعد أن علم أنه استطاع النجاة بسربه أثناء الغارات المكثفة التي شنها الطيران الإسرائيلي على المطارات المصرية ، وبعد رحيل عبد الناصر قرر السادات في عام ١٩٧٢ تعيينه نائبا لوزير الحربية قائدا للقوات الجوية وكانت أول مهمة له في المنصب الذي تمت ترقيته إليه هي مصاحبة السادات في زيارة قام بها إلى روسيا للحصول على دعم عسكري ، وعندما اندلعت حرب أكتوبر ١٩٧٣ أدار مبارك المعارك الجوية التي مثلت خلالها الضربة الجوية الأولي نقطة تحول في الحرب ، وكان نجاحها في تحقيق الأهداف المحددة لها مؤشرا إلى احتمالات النصر الكبير حتى ان

السادات عندما بلغته نتائج الضربة الجوية التي نجحت بكل المقاييس وبأقل الخسائر صاح قائلا : « احنا انتصرنا يا ولاد » ، ثم قال في موضع آخر : « حسني مبارك عمل العجايب في الحرب .. لقد حققت القوات الجوية على يديه معجزة بطولية » .

ولعل تقديره البالغ لدور حسني مبارك ، إلى جانب الملحوظة الإيجابية التي سجلها عنه في مفكرته الخاصة عندما زار الكلية الجوية ولاحظ مهارته في التدريب وإلقاء الدروس كانت من العوامل التي جعلته يختاره نائبا له ، وقد أوضح أسبابا محددة لذلك الاختيار الذي بدا أنه مفاجأة ، حين قال في تصريح صحفي : « رأيت في مبارك شخصا واثقا من نفسه ، يمكنه أن يحل محلي ، وأن يكون ندا للإسرائيليين خصوصا أنه من جيل أكتوبر ، لقد كنت أريد شخصا يمكنه أن يشاركني مسئوليات الحكم على كل المستويات ، وأنا أكره أن يكون رئيس الجمهورية هو الوحيد الذي يحتكر أسرار الدولة ، ولا بد أن يشاركه شخص آخر في ذلك » .

وقد تميز السادات فعلا بهذا الفكر حيث أن نائب الرئيس - حتى في الولايات المتحدة الأمريكية - بلا أية اخصاصات محددة ، لكنه خرج عن المألوف وأتاح الفرصة فعلا لنائبه حسني مبارك ، فعهد إليه بمهام مثل رئاسة اجتماعات مجلس الوزراء ، وقراءة تقارير المخابرات ومتابعة برامج التسليح والسفر إلى الخارج لمقابلة بعض الرؤساء ، وبطبيعته الجادة آثر مبارك أن يتعلم الكثير وفضل أن يجلس إلى جوار السادات يستمع إلى كل ما يقوله بعناية كبيرة ، وتم اختيار الدكتور أسامة الباز ليكون مستشاره السياسي .

ولعل ذلك أتاح له استهلالا طيبا لمسئوليته كرئيس للجمهورية ، فكان أول قرار له الإفراج عن ١٥٠٠ سياسي اعتقلهم الرئيس الراحل أنور السادات في سبتمبر

١٩٨١ ، وبذلك فتح صفحة جديدة مع المعارضة باختلاف أطيافها ، فكان الإرتياح الشعبي الواضح لهذه البداية التي مثلت توجهه إلى إعادة ترتيب البيت المصري ، ولم شمله ، وتوحيد صفوفه ثم بدأ مواجهة عدد من التحديات الشرسه وفي المقدمة منها التعامل مع الإرهابيين الذين كان اغتيال السادات ذروة أعمالهم ، لكنهم لم يقنعوا بذلك حيث كان قلب نظام الحكم والسيطرة الكاملة على الدولة هو هدفهم الرئيسي ، وكان من الطبيعي أن يستصدر مبارك قانون الطوارىء الذي بدأ تنفيذه فورا بمنع المسيرات والتجمعات لمدة ٤٠ يوما ، والقبض على ٣٥٠ من المشتبه في انتمائهم للجماعة الإسلامية والجهاد .

وزاد هذا العدد إلى ثلاثة آلاف وأكثر ، ومع الجهود التي استهدفت اجتثاث الإرهاب من جذوره ، كان التوجه للتعامل مع تدهور الحالة الاقتصادية ، ومنتهجا الأسلوب العلمي دعا إلى بؤتمر اقتصادي موسع شارك فيه الخبراء والمتخصصون في الاقتصاد من أبناء مصر في الداخل والخارج ، ووضع هذا المؤتمر قواعد هامة أدت إلى تشخيص الداء ، وتحديد الدواء ، وإذا كان المؤتمر قد عقد في فبراير ١٩٨٢ فإن العمل في ضوء نتائجه بدأ على الفور بالرغم من صعوبة معركة الإصلاح الاقتصادي خاصة مع حتمية توفير كل عناصر الجذب للاستثمار الذي كان يصطدم بالمعوقات الروتينية والبيروقراطية .

كذلك انطلق العمل في مشروعات قومية كبيرة لتنمية تعمير سيناء ، وتنمية الساحل الشمالي والسواحل المطلة على البحر الأحمر ، ومشروع تنمية جنوب الوادي ، ومشروع توشكي ، وانطلاق المجتمعات العمرانية الجديدة ، وإلى جانب ذلك انطلق العمل في تجديد البنية الأساسية لكل الخدمات التي كانت قد وصلت إلى درجة خطيرة من الانهيار ، وأقيمت الكباري والمحاور المرورية ، ومترو الأنفاق ،

وانتهت مشكلات الاتصالات التليفونية التي كانت ـ لضعفها الشديد ـ من أسباب تعثر جهود الاستثمار ، هذا وإلى جانب تلك التحديات التي كان لا بديل عن مواجهتها ، ورثت قيادة الرئيس مبارك واقعا عربيا مقلقا تمثل في المقاطعة شبه الشاملة لمصر ، فالعلاقات الدبلوماسية ـ وأحيانا الاقتصادية ـ كانت مقطوعة أو مجمدة مع معظم الدول العربية ، وسبل الالتقاء مع الأشقاء في مساحات اتفاق مناسبة كانت شبه معدومة ، ولذلك تم التحرك المكثف الذي حقق نجاحات ملموسة وعادت مصر إلى أمتها العربية أو عادت الأمة العربية إلى مصر (كلاهما صحيح) .

ثم وقعت كارثة احتلال صدام حسين للكويت ، وتوالت تداعيات ذلك من تدخل الولايات المتحدة الأمريكية ـ في « عهد بوش الأب » ـ ومشاركة دول عربية في المجهود الحربي الخاص بتحرير الكويت ، وكان لمصر دورها في ذلك ، ثم توالت التحديات الضارية خاصة بعد أحداث تفجير برجي التجارة العالمية والسياسة العنيفة الهوجاء التي اتخذها « بوش الابن » والمحافظين الجدد ، فتم احتلال العراق ، وأفغانستان ، والتدخل في شئون الصومال والسودان ، بل التدخل في شئون عدد من الدول العربية تحت مظلة حماية الديمقراطية وحقوق الإنسان مما أدي إلى فتور العلاقة أحيانا بين مصر وأمريكا ، خاصة مع الإنحياز الفاقع لكل ما تتخذه تل أبيب من إجراءات استفزازية وما ترتكبه من جرائم واعتداءات بلغت وحشيتها في حرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني في غزة ، مما دفع عملية السلام إلى غرفة الإنعاش ، وتعرضت مصر ودول عربية كالسعودية والأردن لإحراجات متتالية بسبب الحرص على إنقاذ العملية السلمية وعودة المفاوضات الفلسطينية ـ الإسرائيلية بالرغم من عدم الاستجابة الحقيقية من الحكومة الإسرائيلية .

كذلك شهد يوم ٢٦ يونيه ١٩٩٥ محاولة الإغتيال التي تعرض لها الرئيس مبارك في مطار إثيوبيا عندما كان متوجها لحضور القمة الأفريقية ، وبعد نجاته منها بفضل الموقف الحاسم الذي اتخذه عمر سليمان رئيس المخابرات العامة الذي كان قد أشار - وتمسك - بضرورة اصطحاب سيارة مصفحة يستقلها الرئيس عقب نزوله من الطائرة ، وكذا التصرف الواعي الذي اتخذه عمر سليمان عندما أمر سائق السيارة بالارتداد للخلف عندما انهالت رصاصات الإرهاب عليها ، وكان مخططا وضع كمين آخر لو أفلتت السيارة من الكمين الأول ، وكان لهذه الحادثة تأثيرها الكبير في سياسة الرئيس مبارك الذي أمر بتعصيد العلميات ضد الجماعات الإرهابية التي ارتكبت بعد ذلك في ١٧ نوفمبر ١٩٩٧ جريمة الأقصر الوحشية التي قتل فيها ٥٨ سائحا مما أثر بعنف في الحركة السياحية وما كانت تدره من عائد مادي يمثل جانباً رئيسياً من الدخل القومي ، وكان من الطبيعي أن تكثف العلميات الأمنية التي نجحت بعد ذلك في تقليص العمليات الإرهابية إلى حد كبير ، وان عادت المشكلة الاقتصادية تفرض نفسها مع زيادة البطالة ، وتدني مستوى دخل الفرد مع ارتفاع الأسعار ، وتراجع مستوى التعليم ، وإن كانت جهود جديدة في إطار البرنامج الإنتخابي للرئيس مبارك قد بدأت تحقق بعض التحسن ، من جهة أخرى كان عليه خاصة في السنوات الأولي أن يحتوى مختلف الحركات والممارسات والتيارات السياسية المتابينة والمتناقضة ما بين ليبرالية وناصرية وإسلامية ، وقد أمكن - بشكل أو بآخر - إحتواء هذه المنافسات في تعايش سلمي .

ويري الخبراء والمعلقون أن مبارك نجح في تحقيق ذلك التوازن والتعايش السلمي لأنه مهيأ بالطبيعة لخلق توازنات وظهر ذلك بوضوح في خلق نقاط ارتكاز بين التيارات المتناقضة بحيث تصب فيها كل السياسات الداخلية والخارجية للدولة ،

ومثال ذلك محاولاته للتوفيق بشكل أو بآخر بين شروط صندوق النقد الدولي التي تؤكد على ضرورة إجراءإعادة هيكلة للاقتصاد وبين مواقف الطبقات التي يمكن أن تعرضها هذه الهيكلة لمخاطر ومعاناة اقتصادية ، وكذا بين القطاع الخاص والقطاع العام ، وبين سياسة الاكتفاء الذاتي الداخلية وبين السياسة المتمثلة في الإندماج في النظام الاقتصادي العالمي ، وكذلك كان عليه مواجهة التناقضات والتيارات السياسية المتعارضة التي عادت بقوة مثل العلمانية في مواجهة الدولة الدينية (حيث الإسلام هو الحل) والاستبداد والسلطة في مواجهة التحرر ، وبين الناصريين والساداتيين والوفديين والإخوان المسلمين ، ثم كانت الخيارات الصعبة في السياسة الخارجية خاصة ما يتعلق بتطبيع العلاقات مع إسرائيل وفقا لاتفاق « كامب ديفيد » ، حيث ما زالت هناك أصوات عالية ضد التطبيع خاصة من المثقفين الذين أدانوا أيه محاولة لتجاوز ما ترتكبه إسرائيل من اعتداءات في غزة ، وما شهده عام ٢٠٠٦ في جنوب لبنان من حرب خاضها حزب الله ضد القوات الإسرائيلية التي منيت بهزيمة معنوية ومادية ، ثم ظهور دور إيران في المنطقة ، وكذا بروز دور تركيا إلى جانب ما تعرض ويتعرض له السودان ، والخطط الخبيثة في منابع النيل .. وهذا أيضا إلى جانب التطورات الداخلية من تعديلات دستورية وانتخابات رأي البعض أنها - خاصة مع الإشراف القضائي - كانت نزيهة للغاية ورآها البعض غير ذلك ، وما أثير حول قضية التوريث أو دورة رئاسية جديدة للرئيس مبارك في عام ٢٠١١ لاستكمال برنامجه الإنتخابي .

هذا وقد اتسمت سياسة الرئيس مبارك بالحرص على الاستقرار وعدم الإندفاع في مواقف كان من الممكن أن تدخل معها مصر في صراعات وأزمات حادة ، وإن كان ذلك موضع تقدير الكثيرين إلا أن البعض يري أن الاستقرار لا يعني بقاء

بعض الوزراء والمسئولين في مواقعهم لسنوات طوال بصورة لم تشهدها مصر من قبل ، ونتائج ذلك من بيروقراطية وجمود .

ويحسب للرئيس مبارك أنه أتاح مساحة من حرية التعبير غير مسبوقة سواء في الصحف والمجلات أو الإذاعات والقنوات الفضائية ، وقد أضيف إلى ذلك انتشار القنوات العربية والأجنبية والخاصة التي لا يعوق وصولها إلى المشاهد أي عائق وتحمل له أخبارا وتحقيقات لا تتفق بالضرورة مع وجهات نظر النظام الحاكم ، وقد أدي ذلك كله إلى حراك جماهيري في أمور وقضايا فئوية أو وطنية أو قومية ، وإذا كان ذلك يمثل عبئا نفسيا عليه ، إلا أن ثقته في حالة الاستقرار وفي إمكانية الاستجابة العملية لمطالب الجماهير ، تدفعه إلى مزيد من التحركات سواء في مواقع الإنتاج ، أو في الدول العربية والأجنبية لتحقيق ما يدعم التنمية ، وأيضا للتوصل إلى حل للمشكلة الفلسطينية التي تلقي بظلالها على مصر والدول العربية جمعاء ، ولعله بهذه الثقة تجاوز أزمة صحية ألمت به أثناء إلقاء كلمته في مجلس الشعب ، وحدث ما يشبه الإغماء - وقد كنت كعضو في المجلس شاهدا على تلك اللحظة المؤثرة - التي استعاد بعدها توازنه واستكمل خطابه ، كما تجاوز أيضا محنة وفاة حفيده « محمد علاء » الذي ارتبط به كل الارتباط ، وبعد أيام من العزلة عاد إلى نشاطه وجولاته المكثفة محتفظا بلياقته البدنية والذهنية حتى أن هناك من يرون أنه من الممكن أن يخوض انتخابات الرئاسة في عام ٢٠١١ ، ولدورة سادسة ، محتفظا بمقاليد « السلطة » التي لم يخطط يوما للوصول إليها ، لكنها جاءته بمحض إرادتها .

ولعل أهم سمات شخصية الرئيس مبارك تتمثل في نقاط محددة لاحظها المقربون منه والدارسون لشخصيته .. وهي كالتالي :

١ - يؤمن بالرياضة إلى أقصي حد ، يري أن الإنسان الذي لا يمارس الرياضة في حياته إنسان لا يعرف كيف يعيش ، ومن الطبيعي أنه طبق ذلك على نفسه فمارس السباحة ولعبة الهوكي وهو طالب بالثانوية ، ثم اتجه اهتمامه إلى لعبة الاسكواش التي ظل يمارسها حتى وقت قريب.

٢- يبدأ الرئيس مبارك يومه مبكرا فهو عادة يكون جاهزا للعمل منذ السابعة صباحا وبالتالي فإنه قليلا ما يسهر .

٣- في جولاته الخارجية تتسم رحلاته بالإيقاع السريع والمكثف لدرجة أنه يمكن مثلا تناول طعام الإفطار في لندن ، ويتم تناول الغذاء في باريس ، ثم العشاء في روما ، ويتخلل ذلك كله لقاءاته مع المسئولين في تلك الدول ، والمعروف أنه هو الذي يقرر خط سير الرحلة ، ويري المرافقون له في تلك الجولات أنهم ينتابهم الإرهاق لكثرة الدول والأماكن التي تشملها الزيارة ، وكثرة الشخصيات التي يقابلها الرئيس.

٤- يهتم الرئيس مبارك بالتخطيط الجيد لأي شيء والحساب الدقيق لكل النتائج ، ولعل ذلك يرجع إلى خبرته كطيار ومعلم ومدير ورئيس الأركان ، ثم قائد القوات الجوية .. حيث يتحتم حساب كل الاحتمالات وجميع المخاطر دون تعجل أو انفعال يؤثر على التفكير ، ويقول هو عن ذلك : « إن الخبرة التي اكتسبتها طول حياتي من ملازم ثان إلى قائد القوات الجوية علمتني الكثير مثل أن أكون في الوقت المناسب صارما جداً لأن جزءا من الثانية قد يؤدي إلى سقوط الطائرة» .

٥- ينطلق الرئيس مبارك في التعامل مع الدول الكبرى من مفهوم أن مصالح مصر لا تنطبق بالضرورة مع تلك الدول ، ولا تعاديها تماما .

٦- يفصل الرئيس تماما ما بين ما هو شخصي وما هو عام حتى أن المقربين منه

يرون أحيانا أنهم يتعاملون مع شخصين مختلفين ، ففي غير ساعات العمل يكون ودودا للغاية ، قادرا على مداعبة من حوله ، فإذا جاءت ساعة العمل يختلف الأمر تماما حيث التعامل بجدية وصرامة واضحة وانضباط بالغ ، وكأن شخصا آخر هو الذي يتحدث !

٧- يتمتع بذاكرة قوية تساعده في متابعة أدق التفاصيل ، وكثيرا ما يسأل وزيرا أو مسئولا عن أمر كان قد تحدث فيه معه منذ شهور .

٨- لديه قدرة على الصبر وطول البال وهدوء الأعصاب ، حتى لو أدي ذلك أحيانا إلى تأجيل بعض المواقف أو القرارات .

٩- يحرص على أن يكون لديه المعلومات الكاملة عن أي موضوع يطرح للنقاش أو بصدد اتخاذ قرار ما ، ويفضل المعلومات الموثقة ، ويرتبط ذلك باهتمامه بالاستماع إلى اكثر من رأي حيث أنه يميل إلى التشاور والمناقشات الطويلة ، ولا يرتاح إلى سرعة القرار .

١٠- يجمع بين طرفي معادلة أخرى فهو يتكلم بعفوية وبساطة شديدة ، وفي الوقت نفسه تتسم كلماته بالعمق والفهم الدقيق .

☒ من أقواله وتصريحاته :

- الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس طريق السلام بالمنطقة .
- ملتزمون بمواصلة العمل لتحقيق الوفاق الوطني الفلسطيني .
- سنظل نساند الشعب الفلسطيني في سعيه المشروع لاستعادة وممارسة جميع حقوقه المشروعة .
- نتطلع لمزيد من عطاء كل مصري ومصرية من أجل الوطن .
- ملتزمون بالحفاظ على أمن مصر ، وحدودها ، وحماية استقرار الوطن.

- نخطو بثقة لتدعيم الديموقراطية بانتخابات برلمانية حرة ونزيهة .
- نسعي لزيادة فرص العمل للشباب ، وتوسيع قاعدة العدل الاجتماعي .
- هدفنا تطوير التعليم ، وتوفير مظلة التأمين الصحي ، والضمان الاجتماعي لكل مواطن ، بمسلميه ومسيحيه .
- لا بديل عن الاهتمام بالمشكلات اليومية للمواطنين .
- نجحنا في تخفيف تداعيات الأزمة المالية العالمية باقتصاد عززت قوته خطوات الإصلاح ، وبحزم متتالية للإنعاش الاقتصادي ، وإجراءات مدروسة لتشجيع الاستثمار والصادرات .
- أداء قواتنا المسلحة وضع مصر في مرتبة متقدمة بين الدول المشاركة في حفظ السلام .
- قضاء مصر سيظل حصنا للعدالة والدستور ، وسيظل قضاته موضع فخر واعتزاز المصريين .
- تقتضي الحكمة أن تظل شئون القضاء بين القضاه ولا يصح أن تكون محلا لتناول الإعلام .
- حينما أقسمت اليمين رئيسا للبلاد « أقسم بالله العظيم أن أحافظ على الوطن وسلامة أراضيه ، وأن أرعي مصالح الشعب رعاية كاملة » ، كان هذا القسم بالنسبة لي شيئا عظيما ، وقد عملت على أن أحترم هذا القسم ، وألتزم بكل ما فيه ، وهذا القسم في مخيلتي دائما وعند كل قرار ، وعندما دخلت القوات المسلحة أديت القسم بأن أدافع عن الوطن ، وأقدم روحي فداء له فحياتي كلها ملتزمة بالحفاظ على الوطن ، ورعاية مصالح الشعب ! .

- الكفن ملوش جيوب ! .
- المسلم والمسيحي واليهودي مواطن مصري ولا اختلاف بينهم .
- لا أتدخل في اختيار الوزراء ، وإذا وجدت أن الأهداف لم تتحقق ، أقوم بتغيير الحكومة .
- سلطات وصلاحيات البرلمان واسعة ، وسلطات رئيس الجمهورية كلها تنفيذية .
- مصر ليست سوريا [« ردا هلى سؤال عن التوريث »] .
- لم أقرر ترشيح نفسي حتى الآن لدورة جديدة ، وإذا ما رشحت نفسي سأشرح للمواطنين ما قمت به منذ عام ٢٠٠٥ حتى عام ٢٠١١ ، والإنجازات التي تمت إنجازات مهولة ، وسأطرح رؤيتي للسنوات المقبلة وما أستطيع أن أقدمه وأنفذه .
- لا يضايقني أن يترشح اثنان أو ثلاثة لرئاسة الجمهورية ، هذا أمر صحي ، ويسعدني ذلك لأن الشعب بدأ يقول رأيه .
- بعد نكسة ١٩٦٧ لم أيأس أبدا .
- تعلمت عندما أكون مسئولا أن أصبح على قدر المسئولية .
- قابلت جمال عبد الناصر في بلبيس ، فسألني : ماذا تفعل هنا ؟ ثم أختارني رئيسًا لأركان القوات الجوية .
- بعد الضربة الجوية قال السادات : « خلاص يا ولاد كسبنا الحرب » .
- كل أبناء القوات المسلحة مسلمين ومسيحين هتفوا « الله أكبر » لحظة العبور .
- مسيرة حياتي كلها بدون وساطات .

▪ السادات قدم في « كامب ديفيد » ورقة عن حل القضية الفلسطينية ، لو طبقت وقتها لما وصل الحال إلى ما هو عليه الآن .

▪ عبد الناصر ألغي العرض العسكري أمام المنصة بعد معلومات عن التدبير لنسفه والسادات رفض اقتراحنا بتأجيل العرض في أكتوبر ١٩٨١ فكان اغتياله ، ولا أستبعد دورا خارجيا في قتله .

▪ توليت الرئاسة فأخرجت المعتقلين السياسين من السجن ، واستقبلتهم في القصر الجمهوري وقلت لهم : « متأسفين على ما حدث .. نريد أن نتعاون من أجل مصلحة البلد » .

▪ أمريكا طلبت أن أوقع على اتفاق « كامب ديفيد » بعد اغتيال السادات فقلت لهم : « مصر تحترم المواثيق ، وواشنطن مسئولة عن تنفيذ الاتفاق » .

▪ رئيس تركيا أعطاني خريطة من العهد العثماني تؤكد أن طابا مصرية ، وأرسلناها إلى المحكمة الدولية ، وكانت حاسمة في استرداد أرضنا .

▪ لم أسمح لأمريكا بمهاجمة ليبيا إنطلاقا من الأراضي المصرية .

▪ إذا كانت هناك مشكلة مع دول حوض النيل ، فلا بد من أن نتفاهم معها ، وليس من المصلحة أن أقاتل دولا أفريقية أو عربية .

☒ قالوا عنه :

▪ أعتقد أن مصر استفادت بوصول حسني مبارك بالذات إلى السلطة في عام ١٩٨١ ، ومصر كبلد عربي كانت تحتاج إلى الاستقرار السياسي ، ويبدو لي أن الوضع في الشرق الأوسط يرتبط بالاستقرار السياسي في مصر .

▪ عندما أصبح مبارك رئيسا ، كان بالنسبة لنا إنسانا معروفا ، فقد زار الاتحاد

السوفيتي قبل ذلك ثلاث مرات ، وأثناء دراسته العسكرية كضابط أجريت بعض الاتصالات معه ، بما في ذلك عندما كان قائدا للقوات الجوية ، إنني أعتقد أنه كان ضروريا ليشغل موقع نائب الرئيس ، خاصة وأن السادات كان سريع الغضب ، وكان منصب النائب يحتاج شخصا له تجربة الإدارة الناجحة ، ويكون صلب الإرادة وخبيرا بما فيه الكفاية ، وهذا ما توفر في شخصية مبارك .

(الكاتب والدبلوماسي الروسي « الكسندر بيلونوجروف » مؤلف كتاب : سفير في بلاد الأهرامات).

▪ النهضة الاقتصادية ، والإصلاح السياسي يكتبان تاريخ مبارك .

(الكاتبة الأمريكية سوزان دراج).

▪ العلامات البارزة في حياة مبارك ارتبطت بمراحل هامة في تاريخ مصر ، فقد ولد في وقت كانت مصر تعاني فيه من عدم الاستقرار السياسي ، كما التحق بالجيش كطالب في الكلية الحربية في ظروف حرب فلسطين ، وتخرج في الكلية الجوية كطيار مقاتل وسط مناخ ثورة يوليه ١٩٥٢ ، وكان يمثل الدماء الجديدة في القوات المسلحة التي حصلت على فرصتها بعد نكسة يونيه .

(الكاتب الأمريكي جون سوليكي)

▪ كان قرار السادات بتعيين حسني مبارك نائبا له مفاجأة للجميع في الخارج والداخل ، إذ كان الجميع ينظرون إلى مبارك مثلما كانوا ينظرون للسادات في عهد عبد الناصر .

▪ لا أحد يعرف كيف يتخذ مبارك قراره وهو لا يسمح لأحد بأن يعرفها .

(الكاتبة الأمريكية فيكي كوكس).

▪ لم أكن أعرفه جيدا ، ولكنه أحد أكثر الشركاء موثوقية في محاربة الإرهاب ،

وهو يمتلك جانبا مرحا في شخصيته وقد لاحظت أن المفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين عندما كانت تمر بظروف صعبة كان يخففها مرح مبارك .

(جورج تينيت رئيس المخابرات الأمريكية السابق)

▪ قضية خلافة مبارك من بين الأزمات التي تنتظر الرئيس الأمريكي أوباما خلال عام ٢٠١٠ كقنبلة موقوته لا يعلم أحد متى ستنفجر .

▪ الخارجية الأمريكية غير مستعدة لغياب مبارك ، وسيصاب الدبلوماسيون الأمريكان بعده بحالة من التخبط .

(رئيس تحرير مجلة « فورين بوليسي » الأمريكية)

▪ الرئيس مبارك أتقن كطيار عسكري محترف قواعد السرية في أداء المهمة حتى تكتمل ، وربما يستشير من حوله ، ولكنه لا يفصح عن ذلك ، وهو يميل إلى ترك الناس يضعون احتمالات مختلفة دون أن يتدخل أو يؤكد حتى يتخذ القرار الذي يراه « هو » في الوقت المناسب الذي يحدده « هو » ولذلك فإنه في مسألة التوريث ، لا أحد يعلم ما في نية الرئيس ، حتى ولا أقرب المقربين منه ، ولكن الأمر محسوم في عقله إلى أن يحدد توقيته .

(الدكتور محمود المهدي أستاذ علم النفس)

▪ ألاحظ دائما من موقعي إلى جانب الرئيس أن ذهنه لا يكف عن التفكير ، وبالنسبة لرحلاته وزياراته في الداخل والخارج ، فإنها تتم بشكل سريع ومكثف جدا ، لذلك تكون شاقة بالنسبة للذين يصحبوه في هذه الرحلات .

(د. زكريا عزمي .. رئيس الديوان برئاسة الجمهورية)

▪ من العناصر التي أثرت بقوة في شخصية الرئيس بمبارك مدة خدمته الطويلة في القوات الجوية ، وكان تأثير هذا العنصر واضحا وبالغا في نقطتين أساسيتين

الأولي : الإنضباط العسكري ، والثانية : هي التخطيط للمستقبل ، ولذلك صار الرئيس شخصية منضبطة جداً وإلى أبعد الحدود ، كما أنه مهتم جداً بالمستقبل .

(د. أسامة الباز ... المستشار السياسي للرئيس)

▪ كانت تدهشني كثيرا قدرة الرئيس على الفصل بين ماهو شخصي وما هو عام حتى أنني وطنت نفسي على حقيقة مؤداها أنني أعمل مع شخصين مختلفين وإن كان الرئيس واحدا ، ففي غير ساعات العمل تجد إنسانا ودودا للغاية ، قادرا على مداعبة معاونيه ومن حوله ، مشيعا جوا من البهجة ، فإذا جاءت ساعات العمل فالأمر يختلف تماما : صرامة واضحة ، وجدية كاملة ، واستغراق شديد في التفكير ، فترات طويلة من الجهد الشاق ، إنضباط تام يسيطر على الجميع ، مع رهبة شديدة منه ، وانتباه يقظ خشية الوقوع في خطأ ، ولا أثر إطلاقا للشخص الذي كنا نسعد فيه بالسمر معه أمس ، أو ننعم بالحديث المرسل معه منذ ساعات .

(د. مصطفي الفقي .. سكرتير المعلومات الأسبق للرئيس).

▪ أذكر أننا كنا معه في رحلة إلى أفريقيا استغرقت ٧٢ ساعة ، منها ٣٠ ساعة طيران ، كل من كانوا معه يشعرون بالإرهاق ، لكنه غيرنا ، وتحس أنه في الطائرة كأنه في بيته ، ومهما طال الوقت لا يتوقف عن النقاش في موضوعات كثيرة ، والاستماع إلى وجهات نظر الآخرين .

(صفوت الشريف .. رئيس مجلس الشوري).

▪ كنا عندما نقابله نتناقش معه ، ونختلف معه كثيرا ، ولكنه كان يتقبل ذلك بلا غضب ، وكنا نلاحظ أن نشاطه كبير جدا ، وهو قادر جداً على كسب الأصدقاء ..إذا التقيت به لأول مرة تشعر بسهولة بعدها بأنه صديق لك .

(فؤاد سراج الدين .. رئيس حزب الوفد ! الوفد الجديد ـ الأسبق) .

▪ أقول لك الحقيقة التي أثارت اهتمامي بدرجة كبيرة جدا في كل لقاء كان يجمعني مع الرئيس مبارك ، كنت ألاحظ أنه يجمع طرفي معادلة صعبة ، فهو يتكلم بعفوية وبساطة شديدة ، وفي الوقت نفسه يشدك في كلماته العمق والفهم الدقيق للموضوع الذي يتحدث فيه .

(مكرم محمد أحمد .. نقيب الصحفيين)

▪ هو بطبيعته صبور جدا ، وليس من طبعه أبدا الإندفاع ، ولذلك فإنه يحرص على الدراسة والبحث والتروي قبل أن يصدر أي قرار ، من جهة أخرى فإنه كثير الحركة ، لا يهدأ ولا يستريح كما يظهر من زياراته العديدة في الداخل والخارج .

(الفريق مدكور أبو العز ... قائد القوات الجوية الأسبق)

■ ■ ■

سادس الملوك

رجل المواقف الصعبة

[٨٨ عاما]

يقول سجل حياته الحافل إنه بالفعل « رجل المواقف الصعبة » ليس فقط أثناء توليه موقعه كخادم للحرمين الشريفين وملك للسعودية ، ولكن قبل ذلك بكثير وعبر مناصب ومواقع شغلها وتولاها واكتسب خلالها خبرات متراكمة شكلت في مجملها رصيده الكبير عندما اعتلي السلطة العليا ، ولذلك قال عنه البعض إنه « عبر الجسر قبل أن يصل إليه » إشارة إلى ما حققه من انجازات سريعة وهامة منذ مطلع حياته ، فعلي المستوى الداخلي اقترب كثيرا من الملك الراحل « فيصل » الذي تعتبر فترة ولايته من أخصب وأعمق الفترات في تاريخ السعودية ، ومن تحصيل الحاصل أن نقول إن عبد الله بن عبد العزيز إذ رافق « الملك فيصل » كثيرا قد تمكن في وقت مبكر من معرفة تطورات الأوضاع وجوانبها وأبعادها في المملكة السعودية ، وقد هيأه ذلك ليحظي بثقة الملك حتى اختاره في عام ١٩٦٤ رئيسا للحرس الوطني وهو منصب له أهميته الخاصة والكبيرة ، وجاء عام ١٩٧٥ ليختاره « الملك خالد » نائبا لرئيس مجلس الوزراء إلى جانب رئاسته للحرس الوطني ، وقبل أن تمضي سبع سنوات وتحديداً في ١٢ يونيه ١٩٨٢ تمت مبايعة خادم الحرمين « الملك فهد بن عبد العزيز » ملكاً والأمير عبد الله بن عبد العزيز « ولياً للعهد » ، وفي نفس اليوم صدر أمر ملكي بأن يتولي ولي العهد منصب النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء محتفظاً برئاسته للحرس الوطني الذي أعاد تشكيله وفق الأساليب العسكرية الحديثة ، وفي السنوات العشر الأخيرة من حكم خادم الحرمين « الملك فهد »

تصاعد دور ولي العهد عبد الله بن عبد العزيز خاصة عندما تعرض الملك لأزمات صحية منها إصابته بالجلطة التي اقعدته وقلصت قدراته إلى أن توفاه الله في أول أغسطس في عام ٢٠٠٥ عن ٨٥ ، وخلفه في الحكم عبد الله بن عبد العزيز ليصير «سادس ملوك السعودية » في أغسطس من عام ٢٠٠٥ والواقع أنه كان الحاكم الفعلي منذ ديسمبر ١٩٩٥ ، وقد واصل انجازاته متجاوزاً المواقف الصعبة بذكاء ومرونة واضحة .

وأطلق الملك عبد الله مبادرته العربية التي تدعو إلى انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ وعودة جميع الأسري الفلسطينيين والانسحاب من القدس الشرقية ، وان كانت إسرائيل ـ كعادتها ـ بمساندة أمريكا قد راوغت وناورت للالتفاف حول هذه المبادرة وإجهاضها ، ثم كان قدره أن يواجه تداعيات عملية تفجير برجي التجارة العالميين في واشنطن ، واندفاع إدارة « الرئيس بوش » في إجراءات وخطوات عنيفة انطوت على نظرة عنصرية للإسلام والمسلمين ، وتم احتلال العراق ، وأفغانستان إلى جانب العمليات العسكرية في الصومال والسودان مع التهديد المتواصل للسعودية ومعظم الدول العربية بدعوى احتضانها للإرهاب والإرهابيين .

وقد أدار الملك عبد الله الأمور في هذه الفترة الصاخبة التي لم تتوقف إلا بعد رحيل بوش من البيت الأبيض بكثير من الحذق والمهارة وإن كان البعض قد أخذوا على السعودية استجابتها أحيانا للضغوط الأمريكية خاصة بالنسبة للقضية الفلسطينية والأزمة اللبنانية ، ويري البعض في الملك عبد الله بن عبد العزيز نموذجا للإعتدال والصراحة والوضوح ، ورغم أنه تعرض لأزمة قلبية أثارت بعض الإشاعات إلا أنه واصل عمله بنشاط واضح حتى أنه قام بجولة خارج السعودية

زار خلالها المغرب وفرنسا وبولندا والأردن وأجرى لقاءات عديدة .

هـذا ويري المراقبون أن الملك عبد الله بـن عبـد العزيـز لـه توجهاتـه الرائـدة التي تتضح مثلا في إطـلاق الحـوار الـوطني مـن خـلال لقـاء أطيـاف المجتمـع السـعودي السياسية والشعبية كما تتضح تماما في افتتاحه لأول جامعة مختلطة للرجال والنساء وهي جامعة الملك عبد الله للعلوم والتكنولوجيا التي بلغت تكلفتها أكثر من خمسة مليارات دولار ، ويأمل الإصلاحيون السعوديون أن تقود هذه الجامعة عملية تغيير واسعة خاصة وأن الهدف غير المعلن من إنشائها هـو الحـد مـن الضـوابط المفروضـة على المرأة السعودية بسبب نفوذ المؤسسـة الدينيـة ، حيـث سـتتمكن المـرأة لأول مـرة من الاختلاط بالرجال في حرم الجامعة بكل حرية في إطار العمل ، ولـن يـتم إجبـار النساء على ارتـداء العبـاءة السـوداء ، بـل سـتتاح لهـن قيـادة السيارات داخـل حـرم الجامعة كخطوة تؤدي إلى ما بعـدها ، إلى جانـب ذلـك سـتمثل الجامعـة نقلـة علميـة وتكنولوجية كبيرة للمملكـة السـعودية فبالإضـافة إلى مـا تكلفـه إنشـاؤها بفروعهـا المختلفة من مليارات خمسة وأكثر تم تحديد وقـف مـالي قـدره عشرة مليـارات دولار لتمويل الأبحاث في مجالات هامة مثل « النـانو تكنولـوجي - الرياضيات التطبيقيـة - الهندسة الكيميائية - الطاقة الشمسية » وهكـذا تمثـل جامعـة الملـك عبـد الله بـن عبـد العزيز منعطفا هاما ونقطة تحول بارزة في المملكة السعودية التي تتربع على قمـة ربـع احتياطي العالم من النفط ، ويتأكد هذا التحـول الجـذري والهـادىء في نفـس الوقـت لمسيرة المملكة . بذلك المرسـوم الملكـي الـذي صـدر مـؤخرا للقيـام بعمليـة إصـلاح رئيسـية في مسـألة الخلافـة حيـث يبـدو جليـا أن الملـك عبـد الله مصـمم عـلى تفـادي مشكلات كان هو نفسه واحدا ممن واجهوها حينما كان وليا للعهد أثناء حكم الملك فهد خاصة في آخر عشر سنوات من مرضه فمن خلال القانون الجديد الـذي حـدده

المرسوم الملكي سيكون اختيار الملوك القادمين من خارج نطاق الدائرة الضيقة لأبناء سعود الأربعة والأربعين حيث يمكن اختيار ملك المستقبل من الجيل الثاني لآل سعود ، وبذلك توضع نهاية للصعود المتكرر للأمراء الذين يكونون عادة في السبعين والثمانين من العمر ، وقد أنشأ الملك عبد الله لجنة من ذرية الذكور تسمي « لجنة الولاء المكونة من الذكور » وفي حالة عجز أو وفاة الملك تجتمع اللجنة لتأكيد ولي العهد كملك جديد وسيكون هناك ولي للعهد اختاره الملك ، وإذا رفضته اللجنة يكون لها الحق في تعيين ولي عهد جديد يمكن أن يكون من الجيل الحديث وهكذا يتم توسيع دائرة اتخاذ القرار وإمكانية تحريك سلم الخلافة إلى أعلى بناء على الكفاءة وليس الأقدمية ، كما أن النظام الجديد سوف يتيح آلية لعزل الملك الذي تري لجنة طبية أن صحته قد تدهورت بصورة لا تسمح له بالاستمرار في موقعه ولعل هذا القانون يستهدف تفادي حالة الفوضي التي تنجم عن مرض خطير للملك كما حدث عقب إصابة الملك فهد بمرض عضال في عام ١٩٩٥ منعه من القدرة على ممارسة سلطاته ، وكان ولي العهد « عبد الملك بن عبد العزيز » هو الحاكم الفعلي على الرغم من وجود الملك فهد كملك رسمي ، ويري المراقبون أن القانون الجديد يأتي على خلفية أزمة الخلافة المثارة حاليا في السعودية فالملك عبد الله بلغ ٨٨ عاما بينما خليفته وولي عهده الأمير « سلطان بن عبد العزيز » يبلغ من العمر ٨٤ عاما وكلاهما تلقي العلاج أكثر من مرة بسويسرا وغيرها من الدول الأوروبية ، وهو ما دعا إلى تشكيل هيئة البيعة وهي لجنة عائلية من قلب بيت آل سعود برئاسة الأمير مشعل البالغ من العمر هو الآخر ٨٤ عاما ، وهو الأخ غير الشقيق للملك عبد الله ، وكانت مهمة اللجنة اختيار ولي عهد جديد للسعودية لكن اللجنة تركت الباب مفتوحا لإعطاء الفرصة للجيل الثالث من الأمراء ويقال إن

الملك عبد الله يسعي إلى أن تميل الكفة لصالح ابنه الأمير « متعب بن عبد الله بن عبد العزيز » الذي يشغل منصب نائب رئيس الحرس الوطني ، أي أن الملك عبد الله يستعد لتوريث ابنه حكم السعودية ومن ثم إنهاء مرحلة توريث الإخوة من « آل عبد العزيز » .

هذا وللملك عبد الله بن عبد العزيز عشرون ابنة واثنا عشر ولدا ، ومن الصعوبة بمكان حصر عدد أحفاده خاصة وأنه متعدد الزيجات كشأن الكثيرين من الملوك والأمراء في الخليج .

■ ■ ■

الأقدم ... المثير للجدل !!

[٦٩ عمراً + ٤١ سنة حكماً]

أعتقد أنه لا يجد حرجا ، وربما يعتز بأنه أقدم الحكام العرب بعد أن دخل العام الحادي والأربعين من مدة توليه للسلطة (والبقية قد تأتي) ، وبصراحة لا أدري إن كان يجد حرجا أيضا عندما يوصف بأنه الأكثر إثارة للجدل على الساحة العربية والأفريقية والدولية ، أم أنه يعتز بذلك أيضا ؟! ولكن قد نجد لديه تفسيرا لاعتزازه بأنه « الأقدم » بين الحكام العرب ، وربما الحكام الأفارقة أيضا حيث يري أنه في هذه السنوات التي أمضاها ويمضيها في حكم شعبه الليبي قد أخرجه - بالثورة التي قادها - من حكم آل السنوسي الذي حصر ليبيا في التخلف والإنزواء بلا وجود حقيقي على الساحة العربية وبالتالي الساحة الدولية ، بينما صارت ليبيا - بعد ثورة الفاتح - أي تحت قيادته دولة طموحا لها دورها الملموس في أكثر من دائرة وأكثر من مجال ، ثم لعل الأخ العقيد معمر القذافي يفخر أيضا بأنه صاحب الرقم القياسي في البقاء على كرسي السلطة ، وأما الحديث عنه كمثير للجدل الذي لا يتوقف فإنه قد يجرنا إلى استعادة المواقف التي تجسد هذا المعني عقب انتقاله (من الخيمة إلى السلطة) ، كما يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل الذي يروي قصة قد تبدو طريفة لكنها تعبر عن بداية مشوار الثائر القذافي وهي البداية التي توحي بما بعدها ، وحدث ذلك في أول مؤتمر للقمة حضره في ديسمبر ١٩٦٩ بالرباط ، ويقول هيكل : « قبل أن يدخل الملوك والرؤساء إلى قاعة المؤتمر كان معمر القذافي قد « فرقع » أول أزمة ، حين جاء « مولاي عبد الحفيظ » رئيس الديوان الملكي المغربي ليبلغ الملك الحسن أن القاعة جاهزة ، وكل شيء فيها معد لدخوله ودخول

ضيوفه كي يبدأوا الجلسات ، وطبقا للتقاليد في « البلاط الشريفي » فإن « مولاي عبد الحفيظ » أخذ يد الملك الممدودة إليه فقبلها ، وفوجيء معمر بها رأي ، وإذا به يصيح بأعلى صوته : « ما هذا ؟! تقبيل أيادي ؟ هل عدنا إلى عصر العبودية ؟ لا .. لا .. هذا شيء مرفوض .. مرفوض تماماً » ، وكان طبيعيا أن يتوقف الملوك والرؤساء قليلا عن السير نحو القاعة (ربما ليلتقطوا أنفاسهم من المفاجأة القذافية) .. وعندما بدأت الجلسة بكلمة الملك الحسن ، وانتقل الحديث إلى إقرار جدول الأعمال ، ساد الجلسة شعور بالقلق لأن معمر القذافي تدخل لإبداء بعض الملحوظات ، وأخذ يخاطب الملك الحسن بعبارة « يا حسن » هكذا نطق الإسم مجردا تماما ، وفعل نفس الشيء مع « الملك فيصل » حيث أخذ يقول له : « يا فيصل » ، وهنا كتب الملك الحسن بخط يده على رسالة من سطر واحد أرسلها مع أحد مرافقيه إلى حيث يجلس جمال عبد الناصر ، وجاء فيها بالنص : « يا فخامة الرئيس .. ألا تساعدنا بالتدخل لوضع ضوابط على تصرفات أخينا الليبي ؟ » ، وتصور عبد الناصر أنه يستطيع الحديث مع القذافي بعد انتهاء الجلسة الأولي ، لكنها بضع دقائق فقط وإذا بالقذافي يعلق على رأي للملك فيصل فيقول موجها له الكلام : «يا فيصل اتق الله .. اتق الله يا شيخ !! » وبعد دقائق قليلة نهض الملك فيصل بهدوء خارجا من القاعة ، وعندئذ رأي الملك الحسن أن يرفع الجلسة لاستراحة قصيرة ، وأثناء تلك الاستراحة بدا أن هناك تقدما أمكن إحرازه في ضبط قواعد السلوك في حضرة الملوك ، ولم يكن القذافي مقتنعا ، لكنه في نهاية حواره مع جمال عبد الناصر ، قال له على مضض : « سأقفل فمي ولن أتكلم ! » ولم تمض دقائق حتى كان معمر قد نسي تعهده فأثناء جلوسه على مقعد في أحد الممرات المؤدية إلى قاعة الاجتماعات مر ضابط عسكري مغربي رفيع الرتبة تغطي صدره نياشين التكريم ، وسأل القذافي الأستاذ هيكل عن ذلك الضابط ، فقال له : « إنه الجنرال محمد أوفقير وزير

الداخلية المغربي ، وهنا فتح القذافي فمه وعينيه من الدهشة »، وسأل هيكل : «أليس هذا الرجل هو الذي خطف « بن بركة » وقتله ؟! فرد هيكل بصوت هامس : « نعم هو متهم بذلك » وإذا بالقذافي يصيح بأعلي صوت : « ما الذي جاء بهذا القاتل معنا .. إن مكانه السجن ، وليس هنا » ، وطبعا صار كلامه حديث المؤتمر ، واستنجد الملك الحسن بجمال عبد الناصر مرة أخرى وعلى أي حال فإن إنقاذ الموقف تم بامتناع القذافي عن حضور الجلسات ومغادرته للمغرب ! مؤكدا انه لم يعد مقتنعا بشيء مما سمعه ويراه وأنه لا أمل في أي فعل عربي عن طريق مؤتمرات القمة !!

هذا وقد آثرت أن أسجل تلك القصة المثيرة ، ليس من باب طرافتها وإنما لأنها تجسد صفات ومنطلقات شخصية معمر القذافي في ضوء الظروف والأجواء التي خاضها والتي حددها هيكل في النقاط التالية :

١ - انتقل القذافي من « الخيمة » إلى « القمة » مباشرة دون مرور بمحطات يتوقف عندها ، ويجرب ، ويدرس ، ويتعلم . فقد خرج من الخيمة إلى المدرسة ، ومن المدرسة المدنية ، إلى مدرسة عسكرية ، ومنها إلى انجلترا حيث التحق بدورة تدريبية ، وكان معسكر التدريب الإنجليزي ، يبعد بخمسين كيلومترا عن العاصمة لندن ، ومع ذلك لم يذهب إليها مرة واحدة ، لأنه كان يرتب مع مجموعة من زملائه الضباط الشبان ليوم قريب يستطيعون فيه إطلاق الثورة في بلدهم ليبيا .

٢ - نجح فعلا في إطلاق الثورة بسهولة لا تصدق ، ففي خلال أربع ساعات لا أكثر وبقوة لا تزيد عن مائة ضابط وخمسة آلاف جندي سقط النظام الملكي القائم ، وآلت السلطة والحكم لرجال ثورة الفاتح ، والمعروف أنه حين تنجح أكثر المحاولات خطورة بأقل التضحيات تكلفة ، فإن محصلة التجربة تعطي الأحلام والطموحات مساحة تتجاوز قدرة الحقائق على بلوغها لأن ثقافة المصادفة تختلف

عن ثقافة القانون خاصة إذا كان قانون القوة .

٣- من سوء الحظ أن معمر القذافي لم يلبث - بعد أن نجح في محاولته - أن فقد مثله الأعلى جمال عبد الناصر الذي قال له ذات يوم « أنت تذكرني بشبابي » ، وكانت تجربة عبد الناصر ربما تقدر على تركيز أحلام القذافي ، ولكن المقادير سبقت ، ووجد معمر القذافي نفسه وسط وأمام رجال لا يقارنون - في نظره - بعبد الناصر ، وبالتالي لا تدعوه هاماتهم إلى رفع رأسه ليراهم ، ولعل تلك هي الأحوال التي أغرته بأن يعتبر نفسه الأقدر والأجدر .

٤- ساعد على الإغراء بهذا الإحساس أن موارد ليبيا النفطية وضعت تحت تصرفه ثروة سال لها لعاب كثيرين ، فأصبح القذافي مقصدا لقوافل الطالبين والمادحين ، شعرا ونثرا وبلغة التنظير والعقائد ، وقدمت إليه عشرات الكتب باختلاف أشكالها وألوانها ، وقرأها جميعا دون نقد ، وفي زحام يشبه زحام سوق عكاظ ، خطر له أنه يستطيع أن يقول أفضل مما سمع ، وأن يكتب أحسن مما قرأ (وأن يضع نظرية أفضل مما يضعه المفكرون والسياسيون) فكانت « النظرية العالمية الثالثة » التي تضمنها « الكتاب الأخضر » .

بهذه الخلفية النفسية والمادية - كما حددها هيكل - كان على معمر القذافي أن يتعامل على مدى عشرات السنوات مع الواقع العربي المهترىء الذي تسوده التناقضات والسلبيات والحساسيات مما خلق فجوة كبيرة بين أفكاره وطموحاته المثالية أو الرومانسية وما يجسده ذلك الواقع الذي جعله يري أنه غريب ، ووحيد سواء على المستوى القريب أو البعيد ، وجعله ذلك يدلي بتصريحات أو يتخذ مواقف تثير الجدل ، وقد لا يتفهمها حتى بعض الذين يحملون له قدرا من الإعزاز والتقدير ، حتى أنه صار أحيانا رجل الإثارة والمنطق غير المتعارف عليه ، ورغم أن بعض آرائه

تظل في دائرة « الصدمة غير المفهومة » إلا أن له آراء تثبت جديتها وأهميتها ولو بعد حين ، مثال ذلك تلك القنبلة التي فجرها بقوله : « إن فكرة دولة فلسطينية مستقلة غير عملية وليست وارده والبديل هو اندماج الفلسطينيين والإسرائيليين في دولة واحدة يكون اسمها « إسراطين » ، وبعد أن هدأت عاصفة الرفض والدهشة لهذا الرأي ، بدأ البعض من القيادات الفلسطينية والعربية يرددون ما يفهم منه تبني ما قاله واقترحه !! ، وعلى النقيض من ذلك كان تصريحه المفاجىء الصادم الذي لم يلق سوى الرفض وربما الذهول والذي أعلن فيه تأييده لانفصال جنوب السودان عن شماله لأنه في رأيه خيار منطقي ! ، وبطبيعة الحال يتناقض ذلك تماما مع حماسه البالغ لفكرة الوحدة حتى أن بعض المحيطين به وصفوه بأنه الأمين على الوحدة العربية ، ولا ينسي أحد أنه عرض على جمال عبد الناصر الوحدة بين مصر وليبيا ، وكان رأي عبد الناصر أن الوقت لم يكن مناسبا ، ثم عرض الأمر على أنور السادات ، واتخذ فعلا خطوات للوحدة أو الاتحاد المصري السوري الليبي ، لكن علاقته بالرئيس السادات بما شهدته من توتر وخلافات أجهضت حلمه الجديد في الوحدة ، فاتجه إلى تونس ليحققها معها لكن مشروعه الوحدوي (النبيل) ظل يصطدم بالواقع ، وهنا ألقي قنبلة أخرى في محيط الجدل والإثارة عندما فكر في الوحدة مع « مالطة » لكنه اكتشف مرة أخرى أنه « يؤذن في مالطة ! » ، ثم استقرت سفينته الوحدوية على شاطىء الاتحاد المغاربي (اتحاد دول المغرب العربي) ولكن لأنها عادتنا نحن العرب نتحمس كثيرا لفكرة أو قرار أو إجراء ثم ننتهي إلى لا شيء ، خاصة لو حدثت تدخلات أو إملاءات خارجية ضد ما نتحمس له ، مات الاتحاد في مهده أو نقول تجمد مكانه بغير حراك ، والمؤكد أن الجدل الذي يثيره القذافي لم تتوقف مظاهره ونتائجه عند مجرد تباين وتناقض الآراء بل تعداه في أحيان

كثيرة إلى صدامات ومعارك ، فحدث الخلاف الحاد مع الرئيس الراحل أنور السادات ، والذي كان يؤدي إلى استخدام السلاح بين البلدين ، واشتد الخلاف عندما صرح في بداية حرب أكتوبر ١٩٧٣ أنها لن تحرر سيناء وستكون مجرد تحريك للأحداث مما آثار ضغينة السادات ، وعندما تم وقف إطلاق النار في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، اتصل القذافي بالرئيس السادات وأبلغه أنه يريد أن يذهب إلى غرفة العلميات ويري الموقف العسكري على الخريطة حتى يطمئن على قدرة مصر لتصفية الثغرة ، ورحب به السادات مظهريا واتصل على الفور بالقائد العام المشير أحمد إسماعيل وقال له : « إعطه فكرة عن الموقف دون أن تسمح له بدخول غرفة العمليات » ، وهذا ما حدث معه فعلا حيث منع من دخول غرفة العمليات ، واعتبر القذافي ذلك إهانة بالغة له فكيف يمنع وهو شقيق عربي ، وجار مباشر لمصر التي استخدمت أرضه بغير عوائق عمقا استراتيجيا للجهد العسكري المصري ، كما أن ليبيا دفعت تكاليف أسلحة ومعدات لمصر وصلت قيمتها إلى ألف مليون دولار (وكان من بينها القوارب المطاطية التي استخدمتها قوات الموجة الأولي في عبور قناة السويس ، وكذلك تم شراء طائرات ميراج من فرنسا بدعوى أنها خاصة بليبيا لكنها نقلت إلى مصر) وللأسف لم تتوقف الخلافات بينه وبين السادات ، وانفجرت الحملات الإعلامية بين البلدين ، وضاعت الفرصة على مصر وليبيا لتقوم الوحدة بينهما وتجني البلدان ثمارها الرائعة ، بل إن الأمة العربية كلها كانت ستحقق نقلة هائلة في مجال العمل العربي بكل مجالاته ، ثم حدثت الصدامات والخلافات الحادة مع أوروبا وأمريكا وخاصة بعد أزمة « لوكيربي » عندما تم تفجير طائرة « بان أميركان » في « لوكيربي » باسكتلندا ، إلى جانب حادثة الطائرة الفرنسية التي وقعت في نيجيريا واتجهت أصابع الاتهام إلى القذافي الذي كان عداؤه للغرب

معروفا للجميع ، وتحولت أصابع الاتهام إلى طائرات وصواريخ أمريكية أغارت على ليبيا ، وكادت تدمر قصره وسقط بالفعل قتلي وجرحي .

وهكذا شهدت مسيرة القذافي منذ تولي السلطة في عام ١٩٦١ انكسارات وانتصارات إلى أن حدث تطور حاد في مواقفه عندما قامت القوات الأمريكية باحتلال العراق ، وتم إعدام صدام حسين ومعظم مساعديه ، وبلغت شكوك القذافي حد اليقين في أن ما جرى للعراق وصدام حسين سيجري على ليبيا وعليه وسط الصمت والتواطؤ العربي والعالمي ، فتحولت مواقفه ، وأعلن أنه لا سبيل سوى الانفتاح وإقامة علاقات سياسية واقتصادية مع الغرب ، ورحبت أمريكا والغرب بالصفحة الجديدة في العلاقات معه ، وتم حل مشكلة « لوكيربي » بالتعويض الضخم الذي دفعته ليبيا لأسر الضحايا ، وبدا أن من كان أكبر عدو للغرب قد أصبح من أشد الموالين له ، وإن كان هو لم يستطع أن يتخلي نهائيا عن آرائه و مواقفه التي تثير الجدل - وربما القلق - في الدوائر الغربية ، حتى وهو مثلا يزور إيطاليا التي رحبت به ، وصل إلى روما وهو يعلق على صدره صورة لعمر المختار بطل المقاومة الذي شنقه الاحتلال الإيطالي لليبيا ، كما أنه صمم على أن تنصب خيمته في حديقة « فيللا بامفيلي » وهي العادة التي يتمسك ويتشبث بها طوال سنوات حكمه ، وأذكر أنني حضرت لقاء معه في خيمته التي أقيمت في حديقة قصر القبة أثناء زيارته لمصر في أواخر الثمانيات وطلب هو أن يلتقي ببعض المثقفين ، وأدار حوارا شاملا معنا في مختلف القضايا وتراوحت أراؤه - كالعادة - ما بين آراء وأفكار جديرة بالاهتمام والتقدير ، وآراء لا يمكن استيعابها بسهولة ، وأذكر أنه - مثلا - عاب على مصر بقاء الوزراء في مواقعهم لسنوات طويلة ، ثم نظر إلى الوزير المرافق له - والذي ينطبق ذلك عليه - وسأله : « أليس كذلك ؟! » ، ولم

يرد الوزير سوى بابتسامة مجاملة بينما انفجرت الضحكات بيننا ، وما دمنا نتحدث عن خيمة القذافي ، فلا بد أن نشير إلى محاولته إقامتها في حديقة مبني الأمم المتحدة بنيويورك لكن ذلك لم يكن ممكنا ، وبالتالي نصبها في بلدة « بدفورد » بضواحي نيويورك ، لكن الأهم أنه في أول مشاركة له في اجتماعات الجمعية العمومية للأمم المتحدة برهن على أنه يمكن أن يستعيد ثوريته المعهودة ، والقي خطبة طويلة دامت ساعة و٣٦ دقيقة ورفض الإلتزام بالمدة المحددة لكل متحدث ، وقد اضطر إلى التوقف عدة مرات لتنبيه الأعضاء ، وتعنيفهم على استغراقهم فـي النوم أو الأحاديث الجانبية ، وعلى الرغم من أن العديد من الرؤساء تعاقبوا على إلقاء الكلمات فإنه كان بلا منازع النجم الأول والرئيسي في يوم طويل شهد عشرات الخطب التي أوجزها أصحابها ، وفي مشهد غير مسبوق على الإطلاق مزق ميثاق الأمم المتحدة وقذف بالكتاب الأبيض الذي ألفه قبل سنوات في الهواء ، بعد أن وصفه بأنه يتضمن حل القضية الفلسطينية ، ثم شن انتقادات حادة ضد الأمم المتحدة ومؤسساتها المختلفة ، وأثار عاصفة من المواقف المثيرة للجدل عندما اتهم « مصانع تابعة للمخابرات » بانتاج فيروس انفلونزا الخنازير ، ثم طالب بالتحقيق في الحروب التي وقعت بعد الحرب العالمية الثانية خاصة ما جرى في العراق التي وصف الحرب ضدها بأنها أم الكبائر ، وكذا ما حدث في أفغانستان ، وطالب بثورة إصلاحية داخل الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، واعتبر أن الفيتو والمقاعد الدائمة ضد ميثاق الأمم المتحدة وأنه لا صلاح لهذه المنظمة إلا بنقل صلاحيات مجلس الأمن إلى الجمعية العامة، كذلك هدد بالإنسحاب من الأمم المتحدة وأعاد طرح رؤيته للقضية الفلسطينية بأن حل الدولتين مستحيل وغير عملي ، وأن الحل الأوحد هو دولة واحدة ديمقراطية لليهود والفلسطينين والمسلمين والمسيحين

وغيرهم دون تعصب ديني أو قومي ، ثم طالب - كرئيس للاتحاد الأفريقي - بأن يدفع الاستعمار ٨ تريليون دولار تعويضا لأفريقيا ، ولم يترك الفرصة دون اقتراح آخر مثير وهو نقل مقر الأمم المتحدة من أمريكا إلى مدينة « سرت » بليبيا أو إلى العاصمة السويسرية أو حتى نيودلهي أو بكين ، ولعل ما يلخص ما فعله القذافي في الجمعية العامة للأمم المتحدة هو ماذكره البعض من أنه تفوق على كاسترو وخروشوف صاحبي المواقف الصاخبة في الأمم المتحدة قبل ذلك ، وقالوا إنه قلب الطاولة في وجه الجميع ، والمثير أنه كان قد طلب أن تتضمن دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة ، اقتراحا منه بشطب « دولة سويسرا » من فوق خريطة العالم وقد برر هذا الاقتراح الذي سبق أن أعلنه في اجتماع دول الثماني الذي عقد في إيطاليا ، بأن سويسرا دولة مريبه تحمي في بنوكها الحسابات السرية مثل حسابات المافيا ، كما أنها دولة مصطنعة تتكون من ثلاث مقاطعات أساسية هي :

- المقاطعة الألمانية .
- المقاطعة الفرنسية .
- المقاطعة الإيطالية .

ويري أن كل مقاطعة يجب أن تنضم إلى الدولة التي تتحدث بلغتها ، وكما هو متوقع أعلن المتحدث باسم سكرتير عام الأمم المتحدة رفض الاقتراح ، وعدم مناقشته في الجمعية العامة لتعارضه مع مبادىء الأمم المتحدة .

وهكذا يعاود القذافي بين الحين والحين مواقفه وتصريحاته المثيرة للجدل مثلما حدث عندما انتهز فرصة احتفال ليبيا بالذكرى الأربعين لثورة الفاتح ليعلن من جديد دعم بلاده لجميع حركات التحرير ، ونشر الديمقراطية وسلطة الشعب ، ثم هاجم القوى العظمي واعتبرها بدون مستقبل .

هذا وقد ولد الأخ العقيد معمر القذافي ـ كما يجب أن يخاطب بدلا من لقب الرئيس ـ في عام ١٩٤٢ ـ في خيمة بمدينة « سرت » ، وتلقي تعليمه الأول في بلدته ، ثم درس ما بين عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦١ في « سبها » ، والتحق بالجيش في عام ١٩٦٥ ثم كون مجموعة الضباط الوحدويين الأحرار وقاد الثورة في سبتمبر ١٩٦٩ ضد حكم الملك إدريس السنوسي ، وقام بتغيير اسم ليبيا إلى الجماهيرية العربية الليبية الشعبية في عام ١٩٧٧ .

ويبقي أن أشير إلى أنه إذا كان قد احتل موقع « الأقدم » بين الحكام العرب ، وإذا كان قد احتل المركز الأول بين الرؤساء والحكام مثيري الجدل ، وإذا كان قد احتل المركز الأول بين الحكام الذين شغلهم حلم تحقيق الوحدة بأي شكل ـ رغم أنه لم يتحقق ـ فإنه قد احتل « المركز الرابع » بين أسوأ عشرة رؤساء في العالم « الأسوأ مظهرا » في التصنيف الذي أعدته مجلة « تايم » الأمريكية اعتمادا على ملابس هؤلاء الزعماء ، وبررت اختيار القذافي بأنه إلى جانب العادات الغريبة التي تميز بها طوال أربعة عقود مثل اصطحابه لحيوانات أليفة في أسفاره ، والإقامة في خيام بسبب كرهه أو خوفه من المباني ، واصراره على أن يكون حرسه الخاص من النساء فقط ، فإن ملابسه تتميز بطابعها المبهرج حيث يرتدي أقمشة ذات ألوان صاخبة ، وسترات من الحرير ملونة بألوان قوس قزح ، وملابس من جلود الحيوانات التي يريد أن يرمز بها إلى إرثه الأفريقي ، ولعل ما قد يفسر حرص معمر القذافي على الظهور بتلك الصورة رغبته الدفينة في إثارة الجدل ، أو رغبته في الاحتجاج ـ غير المباشر ـ على الواقع العربي والدولي ! .

■ ■ ■

المشير .. علي عبد الله

[٦٨ عاما]

بصراحة ، وكل صراحة ، اخترت أن يكون عنوان حديثي عنه (المشير علي) ذلك لأن هناك من يغمزون ويلمزون بأن علي عبد الله صالح (شاويش) أو (رقيب) أو مجرد صف ضابط ، ويبدو أن هذه البداية -جعلته يسعي إلى الحصول على أعلى الرتب العسكرية ، أو على الأقل يرحب بأى قرار يأخذه المحيطون به أو رجال مجلسه النيابي بترقيته حتى الوصول إلى رتبة « المشير» ، وأنا شخصيا لا أُدافع عن الرجل حين أقول إن بدايته العسكرية وترقيته إلى مختلف الرتب أمر عادي في اليمن ودليل ذلك أنه عندما رقي في الأشهر الأولي للثورة إلى رتبة (مساعد) كان تقديراً لجهوده ولما أظهره من شجاعة في الدفاع عن الثورة والجمهورية ، وعندما رقي في عام ١٩٦٣ إلى رتبة ملازم ثان كان أيضا تقديرا لأدائه وبسالته وقد أصيب بجراح أثناء إحدى معارك الدفاع عن الثورة ، وواصل هو دراسته العسكرية فالتحق في عام ١٩٦٤ بمدرسة المدرعات حيث نجح في اجتياز فرقة تخصص الدروع ، ولأنه قد ربط نفسه بالثورة التي شارك في التخطيط لها وتنفيذها ، عاد بعد تخرجه للمشاركة في الدفاع عنها والحفاظ على النظام الجمهوري الذي نقلت الثورة به اليمن من التخلف الرهيب الذي ظل يرزح تحته طوال الحكم الملكي (الإمامي !) إلى التحرك على طريق التقدم ولأنه ـ كما عرف عنه ـ يتسم بالجرأة والتفاني في الدفاع عن الثورة والجمهورية .. أصيب مرة أخرى ، بل أصيب أكثر من مرة في المعارك التي دارت في أكثر من منطقة من مناطق اليمن ، وأبدي مزيداً من الشجاعة ، وكشف عن مهارة كبيرة في القيادة ، كما كشف عن وعي وإدراك عميق للقضايا

الوطنية ، ويسجل له تاريخ اليمن أنه كان من أبطال حرب السبعين يوما أثناء تعرض العاصمة للحصار الذي كان يستهدف القضاء على الثورة .

وهكذا ـ ودون شبهة النفاق أو المجاملة ـ رقي إلى قائد فصيلة دروع ـ بعد أن صار متخصصا في حرب المدرعات ـ ثم صار قائد سرية دروع ، ثم أركان حرب كتيبة دروع ، ثم مدير تسليح المدرعات ، وقائد كتيبة مدرعات ، وقائد قطاع المندب ، ثم قائد لواء مسئولا عن مدينة تعز (التي كانت عاصمة الإمام أحمد) ، ثم صار قائد معسكر خالد بن الوليد (١٩٧٥ - ١٩٧٨) وفي تلك الفترة أصبح من أكثر الشخصيات نفوداً باليمن الشمالي ، وارتبط بعلاقات وثيقة مع شيوخ القبائل بنفوذهم القوى ، وهكذا بالتسلسل اليمني التقليدي واصل الترقي في الرتب العسكرية بما امتلكه من صفات ومواقف أثارت إعجاب رؤسائه بالجيش ورأوا أنه جدير بمناصب أعلى ، حتي صار رئيس هيئة الأركان العامة ونائب القائد العام ، وعضو مجلس رئاسة الجمهورية في ٢٤ يونيه ١٩٧٨ (يعني لم يقفز من رتبة «الرقيب » مباشرة إلى رئاسة الجمهورية التي وفرت له رتبة « المشير » كما يتصور البعض) .

ولذلك لم يكن مفاجئاً للكثير من اليمنيين أن يتواصل صعوده ، فعمل مع الرئيس إبراهيم الحمدي الذي تولي الحكم في عام ١٩٧٤ ، واتساقاً مع ارتباطه بالفكر الثوري ، تبني أجندة ثورية جديدة ، ورفع مبادىء تميل بقوة إلى التصالح مع نظام الحكم في جنوب اليمن ، كما تبني رؤية اشتراكية باليمن الشمالي ، وفي ١١ أكتوبر ١٩٧٩ قتل الرئيس إبراهيم الحمدي وشقيقه في ظروف غامضة قبل سفره إلى الجنوب لتوقيع اتفاقية للوحدة اليمنية ، وسجلت القضية وقتها ضد مجهول بعد أن عثر على جثتي إبراهيم الحمدي وشقيقه بغرفة في فندق مع فتاتين فرنسيتين

قتيلتين إلى جانب بضع زجاجات من الخمر ، وبغض النظر عن دوافع الجريمة وهل وراءها دولة عربية مجاورة ، كما تهامس البعض ، فقد خلا منصب رئاسة الجمهورية ليحتله الرجل الثاني والقوى في مجلس القيادة أحمد الغشمي الذي لم يهنأ بالكرسي سوى عام واحد حيث تم اغتياله هو الآخر بمؤامرة دبرها الحزب الاشتراكي اليمني في جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية بالجنوب ، وكان يرأسه عبد الفتاح إسماعيل لكن الحزب نفي مسئوليته عن اغتيال الغشمي وألقاها على رئيس جنوب اليمن سالم ربيع علي الذي تمت تصفيته هو الآخر .

وبعد أقل من شهر من اغتيال الغشمي ، أصبح علي عبد الله صالح عضو مجلس الرئاسة رئيساً للجمهورية العربية اليمنية بعد أن انتخبه المجلس بالإجماع ليكون الرئيس ، والقائد الأعلى للقوات المسلحة اليمنية ، وقد واجه في بداية حكمه محاولة إنقلابية قامت بها مجموعة من الضابط المدعومين من ليبيا والمتأثرين بالأفكار الناصرية ، لكن الإنقلاب فشل لإنعدام الغطاء الجماهيري له ، وتم إعدام قائده محمد فلاح ، ولعل من أسباب فشل الإنقلاب أيضا الموقف الذي اتخذه - بجرأته المعروفة - علي عبد الله صالح حيث أنه هبط بطائرته الهليوكبتر في المطار الذي كان رجال الإنقلاب قد سيطروا عليه ، وعندما هبط من الطائرة أمامهم اعتقدوا أن الإنقلاب قد فشل وأن قواته تحاصر المطار فاستسلموا على الفور . وكما هو متوقع دفعت تلك المحاولة الإنقلابية علي عبد الله صالح إلى تغيير بعض قيادات الجيش والمؤسسات الأمنية ودفع مكانهم آخرين من أقاربه الذين يضمن ولاءهم ، فتسلم اخوته من والدته مناصب عسكرية هامة ، إلى جانب عدد من أبناء منطقته الذين تولوا مناصب هامة في الدولة ، وصار المعيار في الاختيار للمناصب الكبيرة هو الثقة والولاء ، وبعد أن اطمأن إلى استقرار وضمان الأوضاع اتجه بفكره إلى الوحدة

الوطنية التي كانت الشغل الشاغل لليمنيين جميعا في الشمال والجنوب وكان هو من أكثرهم حماسا لذلك ، وخلال الأعوام التي تفصل بين الثورة ورئاسة الجمهورية في الشمال ، والثورة ورئاسة الجمهورية في الجنوب ، لم يتوقف قادة الشطرين عن اللقاءات ووضع الخطوط الاستراتيجية للوحدة وكاد يتم توقيعها وقيامها بالفعل لولا الخلافات بين قادة النظام الشمالي والنظام الجنوبي الاشتراكي إلى جانب معارضة السعودية لفكر قادة الجنوب ، وبعد مقتل سالم ربيع علي تعرض جنوب اليمن لمشكلات واضطرابات عنيفة هدأت نسبيا في سنوات الانفراج بين الشمال والجنوب خاصة بعد تولي علي ناصر محمد رئاسة الجنوب ، وعادت محاولات تحقيق الوحدة مرة أخرى ، وزاد التقارب فعلا بين الطرفين وكاد يؤتي ثماره لولا اشتعال الصراع من جديد بالجنوب ، والإطاحة بحكم علي ناصر الذي لجأ إلى الشمال ومعه أكثر من عشرين ألفا من الذين كانوا إلى جانبه بينما تولي على سالم البيض الحكم بدلا منه ، واللافت للنظر أن علي عبد الله صالح عندما اشتعل الصدام بين الرفاق في الجنوب ، الفريق الذي كان يؤيد علي ناصر محمد وسياسته نحو الانفتاح ، والفريق المتشدد المتشبث بالفكر الاشتراكي ، لم يحاول هو التدخل إلى جانب فريق دون آخر ، وتركهما يتصارعان ويتبادلان التصفيات في حرب شرسة ألقت بظلالها الدموية على أهل الجنوب الذين سئموا من خلافات وصراعات قادتهم ، ولذلك رحبوا بزيارة علي عبد الله صالح التي قام بها بعد أن هدأت حرب الرفاق ، وكان الاستقبال الحار الذي قوبل به من الجماهير دافعا لكي يثق في أن الوقت قد حان لقطف ثمار الجهود الوحدوية الطويلة التي قام به من سبقوه فبدأت خطوات وحدة اندماجية سريعة ، واتفاقات حل نهائي ، وممارسة توازنات أدت إلى خروج علي ناصر محمد من اليمن نهائيا ، كأحد شروط قادة الجنوب لتحقيق الوحدة لرفضهم مجرد وجوده باليمن

وتم توقيع إعلان الوحدة اليمنية مع علي سالم البيض رئيس الشطر الجنوبي في ٢٢ مايو ١٩٩٠ ، وبموجب تلك الاتفاقية أصبح الشطران يمناً واحدة ، وأصبح علي عبد الله صالح رئيساً لليمن الموحد ، وعلي سالم البيض نائباً للرئيس ، وأصبح لكل من حزب المؤتمر الشعبي العام ، والحزب الاشتراكي اليمني نصيب متوازن في السلطة ، لكن الوحدة شهدت على مدى أربع سنوات كثيرا من القلاقل والمشكلات في شمال اليمن وجنوبه مع انتشار الفساد الإدارى والمالي ، وانهيار الأمن مع وقوع عدد من الاغتيالات ، كما وقعت خلافات حادة بين الرئيس علي عبد الله صالح ونائبه علي سالم البيض ، وامتدت تلك الخلافات إلى الحزبين الحاكمين (المؤتمر الشعبي العام ، والحزب الاشتراكي اليمني) فحدث شرخ في الصفوف ، واهتزت قواعد الوحدة ذاتها ، خاصة مع تدخلات مريبة من الخارج استهدفت إشعال الخلافات والإضطرابات ، حتى انفجرت الأوضاع بصورة مأساوية في مايو ١٩٩٤ بإندلاع الحرب الداعية للإنفصال الذي كان الكثيرون من اليمنيين وعلى رأسهم علي عبد الله صالح شخصياً يستبعدونه ، وكانت المناوشات قد بدأت في ابريل ١٩٩٤ في وادى دوفس بمحافظة أبين الجنوبية ثم انفجرت الحرب الدموية الشرسة التي عرفت بحرب الإنفصال ، أو حرب الألف ساعة ، وظهرت بشدة عمليات تدعيم الإنفصاليين بالمال والسلاح التي قادتها أنظمة خارجية ومنها النظام السعودي ، لضرب الوحدة ، وانفصال محافظة حضرموت كبرى محافظات اليمن فيما بعد ، لكن ثمة خيانة وقعت في صفوف قادة الانفصال قلبت ميزان المعركة لصالح الوحدويين ، فبعد أن هرب وزير الدفاع (الإنفصالي) هيثم طاهر قام عبد ربه منصور هادي ، ومن معه بالاستسلام وتسليم أسلحتهم للوحدويين ، بل عرضوا على عبد الله صالح مساعدتهم ، فكشفوا له موقع قاعدة

العند الجنوبية العسكرية ، التي كانت قد تركت بغير حماية بخطأ كبير من قيادات الحزب الاشتراكي ، وبذلك صار الطريق إلى عدن مفتوحاً ، وأعيدت الوحدة من جديد في ٧ يوليه ١٩٩٤ ، وأصبح علي عبد الله صالح رئيس اليمن في أكتوبر ١٩٩٤ بعد أن كان رئيس مجلس الرئاسة ، وتم اخيار عبد ربه منصور هادي نائبا له .

ونظرا لما تركته حرب الإنفصال من شوائب ومؤشرات بإمكانية أن تعود لتهدد وحدة اليمن من جديد ، أعاد علي عبد الله صالح صياغة المشهد السياسي اليمني بكامله ، فاستبعد منه الحزب الاشتراكي اليمني ، وفتح المجال لصعود حزبه (حزب المؤتمر الشعبي العام) وانعكست الحرب وأخطار الإنفصال على بعض مظاهر عدم الاستقرار السياسي ، والتهديد المستمر بانفصال حضرموت بدعم خارجي خاصة مع شعور أبناء المحافظات الجنوبية والمحافظات الشرقية بأنهم قد تعرضوا لظلم فادح ، وأن بلادهم صارت غنيمة حرب ، وقد شجعت هذه الأجواء عددا من المعارضين اليمنيين فأنشأوا منتدي أبناء المحافظات الجنوبية والشرقية المطالب بالإنفصال مجدداً بما في ذلك طبعا محافظة حضرموت الكبيرة ، والغنية بالنفط والتجارة وما لها من مكانة تاريخية خاصة ، وماتتمتع به من مساحة جغرافية كبيرة إلى جانب بعدها عن العاصمة ، وإنفرادها بالعديد من المقومات الخاصة وما تبذله دول أجنبية لتغذية مشاعر الإنفصال داخلها ، كذلك هناك محافظات بعيدة عن الأضواء مثل (المهرة) ولا تحظي بالاهتمام من الدولة ، كما أن أبناء عدن قد بدأوا بالتذمر علانية مما أصاب محافظتهم من نهب مستمر لخيراتها ، ويضاف إلى عوامل خطورة الإنفصال ما يقوم به عدد من القيادات اليمنية في الخارج بتشكيل جبهة معارضة قوية يحتمل أن تكون مدعمة من مخابرات أجنبية ، ويبدو أن علي عبد الله صالح قد تنبه تماماً إلى ما يقومون به وما يمثلونه من ضغوط وخطورة ، فأصدر

عفوا عن جميع قادة الإنفصال المطلوبين للمحاكمة في اليمن والذين كانت تنتظرهم أحكام الإعدام ، وأصدر فعلا ما يسمي بقائمة « الستة عشر » الشهيرة في عام ٢٠٠٢ ، آملا في إعادتهم إلى اليمن بدلا من أن تتضاعف قوتهم في الخارج ، ويبدو أن الطبيعة الجغرافية والقبلية لليمن ، وكذا الأصابع الأجنبية لا تتيح الفرصة الحقيقية للاستقرار الكامل والتنمية المنشودة .

وها هي ذي أزمة الحوثيين قد انفجرت في عام ٢٠٠٤ في محافظة صعده القريبة من الحدود السعودية والبحر الأحمر حيث أعلن « حسين بدر الدين الحوثي » تمرده على النظام الحاكم ، ومنادياً بعودة النظام الإمامي الزيدي الذي قضت عليه ثورة ٢٦ سبتمبر ، بل إنه اعتبر الدولة اليمنية خارجة عن الإسلام بسبب دورها المساند للحرب ضد الإرهاب ، وحملتها ضد التطرف الديني ، وكما هو معروف حاول الرئيس علي عبد الله صالح احتواء هذا التمرد ، وانتهج سياسة المصالحة مع المتمردين ، لكن حسين الحوثي رفض التوجه إلى صنعاء ، بل حتى رفض مقابلة الوفد الذي شكلته الحكومة للحوار معه بدعوى خشية أن يكون ذلك كميناً له ، وظل رافعاً راية العصيان ، وتواصلت الاشتباكات المسلحة بين قوات من الجيش اليمني ، وميليشيات الحوثيين الذين تأكد أنهم يلقون دعماً من جهات خارجية ، كما أن إحدى فصائل تنظيم « القاعدة » تنسق معهم ، وقد دخلت المملكة العربية السعودية في الأزمة عندما قامت قواتها المسلحة بطرد جماعات الحوثيين من على حدودها ورغم ما أُذيع عن مقتل حسين الحوثي إلا أن من خلفوه لم يتخلوا عن مواصلة التمرد وإن كانوا يعلنون أحيانا استعدادهم للتفاوض خاصة بعد التصعيد العسكري ضدهم ، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية قد دخلت هي الأخرى في الصورة فأعلنت وزيرة خارجيتها أن اليمن أرض خصبة للقاعدة ، ويقول خبراء إن

عام ٢٠١٠ يحمل تحديات خطيرة أمام اليمن من القاعدة ومحاولات الإنفصال ، وأعلنت امريكا تدعيم الجيش اليمني في مطاردة واستئصال جذور تنظيم القاعدة خاصة بعد فشل شاب نيجيري مسلم في تفجير طائرة أمريكية قيل إنه تدرب وتلقي التعليمات من قادة «القاعدة » في اليمن ، وقد اتضح أن أمريكا تخوض حرباً سرية في اليمن منذ اكثر من عام ضد من تري أنهم أعضاء في « القاعدة » من جهة أخرى اعتمد الرئيس علي عبد الله صالح خيار الديمقراطية منذ تحقيق الوحدة في عام ١٩٩٠ ، وأصبح أول رئيس يمني ينتخبه الشعب مباشرة في انتخابات ١٩٩٩ حيث تم تأسيس العديد من الأحزاب على أسس فكرية كحزب المؤتمر ، والحزب الاشتراكي ، وحزب البعث ، وأخرى قبلية كالتجمع الديني للإصلاح ، وأخرى على أسس طائفية كحزب الحق ، وغيرها من أحزاب ، وقد أخذت الانتخابات شكلها الديموقراطي رغم أن علي عبد الله صالح لم ينافسه سوى مرشح واحد هو نجيب قحطان الشعبي ابن أول رئيس اليمن الجنوبي ، ولم تكن له شعبية حقيقية تعطي للمنافسة وزناً مقبولا ، وكان البرلمان قد رفض كل المرشحين الذين تقدموا للمنافسة فيما عدا نجيب قحطان الشعبي ، هذا وبالرغم من تعديل الدستور بحيث تم اعتبار ولاية عبد الله صالح الحالية ولايته الأولي ، وبالتالي يصبح له الحق في الترشح لولاية ثانية مدتها سبع سنوات أعلن في حفل جماهيري أقيم بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لتوليه السلطة أنه لن يرشح نفسه في الانتخابات التالية ، وأدى إعلانه ذلك إلى حالة توتر شديدة ، وخرجت مظاهرات شعبية ، وحملات لجمع التوقيعات مما جعل المعارضة تعتبر قراره بعدم الترشيح وما صاحبه من التمسك به مجرد مسرحية سياسية هدفها حشد التأييد الشعبي له ، ولذلك خرجت مظاهرات معاكسة مؤيدة عزمه على عدم الترشح لولاية ثانية ، لكن الأمر ظل في

يد حزبه الذي تمسك به مرشحا للرئاسة ، وفيما اعتبرته المعارضة استمرارا للعرض المسرحي أعلن علي عبد الله صالح في المؤتمر الإستثنائي لحزب المؤتمر الشعبي العام في ٢١ يونيه ٢٠٠٦ أن قراره حقيقي وأنه جاد في عزمه على عدم الترشح ، وأن على حزبه أن يجد مرشحا بديلا له ، وهنا عادت مرة أخرة موجة الرفض لقراره ، وبعد ثلاثة أيام من تصريحه الجديد أعلن قبول الضغوط الشعبية لإعادة ترشيحه مجدداً ، وتم انتخابه في ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٦ رئيسا للجمهورية في ثاني انتخابات رئاسية عبر الاقتراع المباشر ، وحصل على١٧ , ٧٧ ٪ من الأصوات ، وأعلن أنه سيواصل جهوده من أجل تحقيق نهضة تنموية شاملة في اليمن لتكون امتدادا لمنجزاته التنموية الاستراتيجية مثل إعادة بناء سد مأرب العظيم ، واستخراج النفط والغاز ، وتحقيق طفرة في التنمية الزراعية ، وإقامة المنطقة الحرة بعدن ، وليواصل - كما قال - بناء اليمن الحديثة المرتكزة على الديموقراطية ، وتعددية الأحزاب ، وحرية الصحافة ، واحترام حقوق الإنسان ، ولعله باختياره لوزيرة لحقوق الإنسان حاول أن يؤكد التزامه بهذا الجانب ، كذلك أكد على أهمية التداول السلمي للسلطة ، ربما إستيعاباً لدرس المنافسات والصراعات الدموية التي راح ضحيتها عدد من القيادات (في الجنوب والشمال) ، [وربما - كما يقول بعض المعارضين - إنه يمهد لخلافة ابنه الكبير أحمد له في الرئاسة بعد ذلك] ، ودون أن يرد هو على تلك الشائعة ، يواصل تأكيده على مواصلة المواقف القومية ودعم القضايا العربية وفي مقدمتها قضية الشعب الفلسطيني ، وحقه في تقرير المصير ، وإقامة دولته المستقلة ، وعاصمتها القدس الشريف ، إلى جانب دعم العمل العربي المشترك وإزالة أسباب الخلافات والحساسيات بين الدول العربية مثلما نجح هو - مثلا - في إجراء معاهدات الحدود الثابتة مع كل من المملكة العربية السعودية ، وسلطنة عمان ، وإريتريا ، وكذا

إنضمام اليمن إلى بعض مؤسسات مجلس التعاون الخليجي .

☒ <u>وعن حياته الخاصة نقول :</u>

إنه ولد في ٢١ مارس ١٩٤٢ في قرية « بيت الأحمر » بمديرية « سنحان » بمحافظة صنعاء ، لأسرة فقيرة ، وعاني شظف العيش بعد إنفصال والديه وهو في سن مبكرة ، وعمل راعيا للأغنام ، وتلقي تعليمه الأولي في « معلامة » (كتاب القرية) ثم التحق بالجيش في سن السادسة عشرة في عام ١٩٥٨ ، وواصل دراسته وتنمية ثقافته وهو في سلك الجندية ، كما واصل بذكائه ودهائه وشجاعته وتفانيه مسيرة نجاحاته وانجازاته الصعبة ، وقد أنجب عدة أبناء هم : أحمد « أكبرهم » ، وخالد ، وصلاح ، ومدين ، وريدان ، وصخر .

☒ **وقد نال (المشير) الرئيس علي عبد الله صالح العديد من الأوسمة ، والنياشين ، والدروع ، وشهادات الدكتوراه الفخرية ، نذكر منها :**

✓ وسام سلطنة عمان من السلطان قابوس بن سعيد ١١/ ١٢/ ١٩٧٨ .

✓ وسام الجمهورية من قبل مجلس الشعب التأسيسي تقديرا لجهوده وتفانيه في خدمة الوطن في ١٩ سبتمبر ١٩٧٩ .

✓ وسام الرياضة الأولمبية ١٩/ ٥/ ١٩٨٠ .

✓ وسام الرافدين من الدرجة الأولي ، من النوع العسكري ، من الرئيس صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية ١٦/ ٣/ ١٩٨١ .

✓ وسام الاتحاد من الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة ١/ ١٠/ ١٩٨٤ .

✓ قلادة الحسين بن علي من الملك الحسين بن طلال ، ملك المملكة الأردنية الهاشمية ٢١/ ١١/ ١٩٨٥ .

- ✓ نيشان باكستان أعلى وسام في باكستان من الرئيس ضياء الحق في لاهور ٢٢/١٢/١٩٨٧ .
- ✓ قلادة النيل وهو أعلى وسام في جمهورية مصر العربية ٢٢/ ٥/ ١٩٨٨ .
- ✓ وسام الرافدين من الدرجة الأولي ، وهو أعلى وسام في في الجمهورية العراقية ١٥/ ٢/ ١٩٨٩ .
- ✓ وسام المؤرخ العربي ، والذي قام بتقليده إياه أمين عام الاتحاد العام للمؤرخين العرب ١٠/٦/ ١٩٩١ .
- ✓ درع كلية القيادة والأركان اليمنية ٢٤/ ٥/ ١٩٩٢ .
- ✓ درع الرياضة اليمنية ٢٠/ ٤/ ١٩٩٣ .
- ✓ درع جمعية الهلال الأحمر اليمني ٢/٨/ ١٩٩٤ .
- ✓ درع الجالية اليمنية في شرق إفريقيا ٢/ ١٠/ ١٩٩٤ .
- ✓ درع الجالية اليمنية في الولايات المتحدة الأمريكية ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٤ .
- ✓ شهادة الزمالة الأوروبية من الجمعية الأوروبية للتسويق والتنمية ، تقديراً لجهوده في تحقيق معدلات عالية في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية في اليمن ١٠/٣/١٩٩٦ .
- ✓ وسام النجمة الكبرى وهو أعلى وسام في جمهورية جيبوتي ١١/١٢/١٩٩٦ .
- ✓ وسام نجمة اندونيسيا وهو أعلى وسام في اندونيسيا ١٩/ ٢/ ١٩٩٨ .
- ✓ قلادة الاستقلال أعلى وسام في دولة قطر اعتزازاً بعلاقات الإخاء المتميزة بين البلدين الشقيقين وتقديراً للمواقف القومية المشرفة له والمساندة للحق العربي

وخدمة قضايا الأمة العربية ٥/ ٨/ ٢٠٠٠ .

- ✓ وسام خوسيه مارتيه وهو أعلى وسام في جمهورية تركيا ١٣/ ٩/ ٢٠٠٠ .
- ✓ قلادة الاستقلال من الرئيس التونسي زين العابدين بن علي ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٠ .
- ✓ قلادة الملك عبد العزيز من الطبقة الأولي وهي أعلى وسام في المملكة العربية السعودية ٢١/ ٥/ ٢٠٠١
- ✓ درع منظمة المؤتمر الإسلامي من الدكتور عبد العزيز التويجري مدير المنظمة ٢/ ٦/ ٢٠٠١ .
- ✓ الدكتوراه الفخرية من جامعة الجزيرة بجمهورية السودان تقديراً لدوره المتميز في خدمة قضايا الأمة العربية في ٢٩ يونيو ٢٠٠٢ .
- ✓ وسام الاستحقاق من الرتبة الاستثنائية أرفع وسام في الجمهورية اللبنانية تقديرا للدور القيادي البارز الذي قام به في سبيل تحقيق الوحدة اليمنية المجيدة ونهضة الجمهورية اليمنية وتنميتها من خلال الانجازات التي حققها ووفاء من الجمهورية اللبنانية للدور المميز الذي قام به لتعزيز العلاقات اللبنانية اليمنية وتطويرها في المجالات كافة لما فيه خير البلدين والشعبين الشقيقين ، واعترافا بالجهود الدؤوب التي بذلها في سبيل تأكيد التضامن العربي ورأب الصدع بهدف دعم القضايا العربية العادلة ، في ٢٨سبتمبر ٢٠٠٢ .
- ✓ درجة الدكتوراه الفخرية في الفلسفة من جامعة تشوسن بكوريا الجنوبية ١٠ أكتوبر ٢٠٠٢ .
- ✓ درع الجامعة العربية من عمرو موسي الأمين العام لجامعة الدول العربية ١٠/ ٢/ ٢٠٠٤ .

- ✓ وسام « الفارس الأعظم » لفرنسيس الأول من الدرجة الأولي وهو أعلى وسام للمقام البابوى تكريما وتقديراً لدوره في تحقيق الوحدة اليمنية وخدمة السلام على المستويين الإقليمي والعالمي ونشر قيم التسامح والتعايش والحوار بين الأديان والحضارات وإشاعة روح المحبة والتسامح لما فيه خير ورخاء الإنسانية ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٤.
- ✓ وسام منتدي الأديان الثلاثة في بريطانيا تقديراً للدور الذي يقوم به من أجل تعزيز حوار الحضارات وتكريس التسامح والاعتدال والتعايش الإنساني ٢٦/ ٨/ ٢٠٠٤ .
- ✓ وسام حوار الحضارات من قبل مركز مجد روسيا القومي تقديراً لدوره في تبني الحوار بين الحضارات ولتطوير علاقات الصداقة بين روسيا واليمن ٢١/ ١١/ ٢٠٠٤ .
- ✓ وسام كوريا العظيم وهو أرفع وسام كوري يمنح لزعماء الدول في سبيل تطوير علاقات الصداقة بين البلدين الصديقين ويطلق على الوسام (ما قونقي) وتعني وردة تمثل الزهرة الوطنية في كوريا ٢٥/ ٤/ ٢٠٠٥ .
- ✓ وسام الاستحقاق الوطني « الوشاح الكبير » ، وهو أعلى وسام في الجمهورية الإسلامية الموريتانية ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٥ .
- ✓ وسام الفلاح العربي ٦/ ١٢/ ٢٠٠٥ .
- ✓ وسام زايد بن سلطان وهو أعلى وسام في دولة الإمارات العربية المتحدة تعبيراً عما يربط البلدين من علاقات إخاء متينة ، وتقديراً لمواقفه القومية المساندة لقضايا الحق العربي ٣٠/ ١/ ٢٠٠٧ .
- ✓ وسام استحقاق مجلس الشباب العالمي ، وهو وسام الشرف الأعلى الذي

يمنح لقادة العالم الذين يساهمون في التنمية الشبابية والسلام في العالم ٣/ ٣/ ٢٠٠٧ .

✓ وسام الألفية الإثيوبية ، تقديراً وعرفانا من جمهورية إثيوبيا الفيدرالية الديمقراطية قيادة وحكومة وشعبا لجهود فخامته في تطوير وتنمية علاقات التعاون بين البلدين ، وتفعيل جوانب التعاون بينهما في مختلف المجالات بما يسهم في تنمية المصالح المشتركة للشعبين الصديقين ، ويعد هذا الوسام من أرفع الأوسمة في إثيوبيا ١٠/ ٩/ ٢٠٠٧ .

✓ وشاح الاتحاد العربي للرياضة العسكرية اعترافاً وتقديراً لدوره المتميز كقائد عربي وبما قدمه من أجل خدمة الرياضة العربية العسكرية ٢١/ ٦/ ٢٠٠٨ .

✓ وسام (إكبار الشعب) من نادي أصدقاء موسكو ، وهو من الأوسمة الروسية الرفيعة تقديراً وتكريماً لما يقوم به من جهود عظيمة في النشاط السياسي الوطني والإقليمي والجهود الإنسانية وخدمة السلام العالمي ٦/ ٧/ ٢٠٠٨ .

✓ لقب (القائد الكشفي العربي الأول) من قبل المنظمة الكشفية العربية تقديراً لدوره في دعم الحركة الكشفية والشبابية المحلية و العربية ومساهمته في تنمية برامج الشباب وتوسيع انشطتهم ٢٤/ ٨/ ٢٠٠٨.

✓ منحه جلالة الملك حمد بن عيسي بن سلمان آل خليفة ملك مملكة البحرين وسام الشيخ عيسي بن سلمان وهو أعلى وسام في البحرين تقديراً لمواقف الرئيس القومية واعتزازاً بالعلاقات المتينة التي تربط اليمن والبحرين ٢٥/ ٣/ ٢٠٠٩ .

✓ درع الوحدة اليمنية عرفاناً بدوره التاريخي في إعادة تحقيق الوحدة والحفاظ عليها وحماية مكتسباتها وتعزيز أركانها والوصول باليمن إلى مستويات متقدمة تحظي باحترام وبناء يمن جديد يحظي فيه التعليم بأولوية في عملية التنمية ، وقد قام وزير التعليم العالي والبحث العلمي ورئيس جامعة صنعاء بتقلييده الوسام خلال

الاحتفال الذي أقيم في صنعاء بمناسبة يوم المعلم ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٧ .

- ✓ قلادة العيد الأربعين لثورة الفاتح من سبتمبر الليبية والممنوحة من الرئيس العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر بالجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية ، وذلك تقديراً من الشعب الليبي لمشاركة فخامته في الاحتفال الكبير بالعيد الأربعين لثورة الفاتح ، والعلاقات الأخوية بين البلدين والشعبين الشقيقين والثورتين اليمنية والليبية ١٣/ ٩/ ٢٠٠٩ .

وسام الوفاء من الدرجة الأولي ، من الاتحاد العربي لعمال النقل والاتصالات وهو أول وسام يمنح لرئيس عربي تقديراً لدوره في دعم خطط وبرامج الاتحاد الهادفة إلى تطوير أدائه في مجال النقل والاتصالات بما يعود بالفائدة على العمال العرب المنضوين في إطار الاتحاد ، سلمه أمين عام الاتحاد الدكتور عويدات خلف الله ٥/ ١١/ ٢٠٠٩ .

■ ■ ■

الذي نجا من ٦٣٨ محاولة لاغتياله

وتمتع بالسلطة وطول العمر

[٨٤ عاما]

لأنه رئيس غير عادي بكل المقاييس ، تتزاحم أمامي ألقاب وصفات عديدة التصقت به ، فإلى جانب العنوان الذي اخترته للحديث عنه ، يمكن أن نقول : «إنه أشهر عدو لأمريكا » ونقول : « إنه الرجل الذي لاشيء يهزمه » ، ونقول : «إنه رمز النضال وحامي حمي الفقراء » ، ونقول : « إنه الطاغية الذي لا يرحم » ، ونقول : « إنه الأب الروحي للثورة » ، ونقول : « إنه محرر أمريكا اللاتينية » ، ونقول « إنه القديس الأحمر الذي أشعل القناديل ومشي » ، ونقول : « إنه آخر رجالات الحرب الباردة » ، ونقول : « إنه صاحب الرقم القياسي في إلقاء الخطب » ، ونقول ، ونقول الكثير ، والمؤكد أن الكثير من الألقاب والصفات تجسد حجم وقيمة الرجل ، وخاصة أن من أطلقوا عليه تلك الألقاب والصفات كتاب وأدباء ومؤرخون لهم مكانتهم مثل « جابريل جارسيا ماركيز » الأديب الكولومبي الذي فاز بجائزة نوبل ، ومثل المخرج الأمريكي اللامع « أوليفرستون » ، ومثل « آرثر ميلر » الكاتب الأمريكي العملاق وغيرهم ممن استهوتهم شخصية « فيدل كاسترو » مثلما استهوت أبناء شعبه الكوبي ، بل استهوت الكثيرين من شعوب العالم خاصة من عانوا من الاستعمار أو الهيمنة الأجنبية ، ومن وجدوا في خروجه من محاولات الاغتيال التي تجاوزت الستمائة بثمان وثلاثين محاولة وهو أكثر صلابة وإصراراً نموذجا يستحق الإعجاب ، وذلك إلى جانب ما تمتع به من كاريزما طاغية ، أضافت الكثير لكل تلك الصفات والألقاب فجعلته أقرب ما يكون إلى الأسطورة

المثيرة للخيال والتوقعات ، والتي تجعلنا ـ الآن ـ نتوقف أمام التفاصيل الهامة لشخصيته وأعماله .

ولد فيديل كاسترو في ١٣ أغسطس من عام ١٩٢٦ لأم لبنانية (كان والدها «اسكندر روز أوروس » تاجرا حرا عاش في بيروت وتجول في مصر والعراق) قبل أن يرحل إلى كوبا ، حيث تزوجت ابنته من « أنجلو » ذي الأصل الأسباني والذي كان ميسورا ويملك مزرعة للقصب في المقاطعة الشرقية ، وأثمر زواجهما الطفل «فيديل إليهاندرو كاسترو » الذي نال بفضل ثراء والده فرصة التعليم في أرقي المدارس ، والطريف أن الأب فرض عليه مع إخوته تناول الطعام وهم واقفون حتى لايتعودوا الكسل ، وقد ظلت هذه العادة مع كاسترو حتى بعد أن أصبح حاكماً لكوبا ، وكان في صباه يعشق هواية تربية ديوك المصارعة (ديوك المعارك) وهي رياضة لاتينية منتشرة على نطاق واسع في أسبانيا وإيطاليا وانتقلت إلى أمريكا الجنوبية (اللاتينية) لكنه كره هذه الرياضة بعد ذلك لأنه أكتشف أنها تقوم على الجوع والعنف حيث أن الديك الجائع هو الذي يمكن أن ينتصر على الديك الآخر ، ثم بدت على كاسترو منذ صغره مظاهر التمرد على حالة الترف التي كان يعيشها في ظل أسرته الغنية وذلك بعد أن صدمه التناقض الكبير بين رغد العيش في أحضان عائلته ، وقسوة الحياة التي يواجهها الفقراء في بلده ، ولعله بدأ التعبير عن مشاعره تلك وهو طالب في المدرسة حيث ظهرت مواهبه مبكرا من خلال نشاطاته في الصحافة المدرسية وكتابة الشعر ، وحفظ قصائد من التراث الكوبي مما شكل رصيده اللغوي الذي استثمره أفضل استثمار بعد ذلك ، ثم دخل كاسترو كلية الحقوق بجامعة كوبا الوطنية في عام ١٩٤٥ وقد اختارها له والده الذي كان يتمنى أن يكون ابنه محامياً مشهوراً ، ونظرا لمواهبه الثقافية وتفوقه العلمي وشخصيته

الديناميكية تم انتخابه سكرتيرا عاما لطلاب الجامعة بأغلبية الأصوات ، وتبلورت في تلك المرحلة روحه الرومانسية العاشقة للعدالة ، وكراهية الظلم في أي مكان ، حتى أنه اشترك - وهو مازال طالبا - في محاولة لقلب نظام الحكم في « الدومينيكان » ، وعند العودة تعرض له ولرفاقه أسطول الديكتاتور « باتيستا » وأطلق النار على الزورق الذي كان يستقله كاسترو لكنه نجا من الغرق ليجد نفسه بين أيدي الجنود ، ويقال إن « باتيستا » أصدر أمرا بإعدام جميع الذين شاركوا في محاولة الإطاحة بصديقه « تروهيو » (حاكم الدومينيكان) غير أن بعض رجال الدين تدخلوا لإقناع « باتيستا » بأن كاسترو ورفاقه من المغامرين المراهقين فأفرج عنهم ، ولم يكن يدري أن القدر يخبىء له مفاجأة على يد ذلك الشاب الصغير فقد قاد كاسترو في عام ١٩٤٧ أول مظاهرة ضد نظام الديكتاتور « باتيستا » لكن المظاهرة فشلت وإن كانت بذرة الرفض والتمرد قد نمت بقوة لديه ، ودفعته إلى دراسة الكتب السياسية والاقتصادية ، خاصة ما يتعلق بالحركة الوطنية وتياراتها وأساليب السلطة للالتفاف على مطالب المواطنين ، ودرس بعمق تاريخ النضال في أمريكا اللاتينية ، وزار «بنما » و« المكسيك » حيث التقي مع السياسيين والإعلاميين خاصة أصحاب الأفكار الثورية ، وفي تلك الفترة وتحديدا في ١٢ نوفمبر ١٩٤٨ تزوج ليحقق الاستقرار الإنساني من « ميرنا دياز بالارت » التي أنجب منها طفله الأول «فيديليتو » ، وإن كان الاثنان قد انفصلا نتيجة خطأ كشف علاقة كاسترو بفتاة أخرى عندما أرسل وهو في السجن خطابين أحدهما لزوجته والثاني لعشيقته ولسوء الحظ اختلط الخطابان فتلقت الزوجة خطاب العشيقة ، وتلقت العشيقة خطاب الزوجة ، وكان من الطبيعي أن تثور الزوجة وتطلب الانفصال .

هذا ولم يتوقف كاسترو عند حصوله على ليسانس الحقوق في ١٩٥٠ حيث نال

الدكتوراه في العلوم الاجتماعية والعلاقات الدولية ، وحقق نجاحا كبيرا كمحام وطني يدافع عن صغار الفلاحين والعمال مقابل أجر زهيد مما جعل له شعبية ملحوظة شجعته في الاتفاق مع عدد من رفاقه على مهاجمة قلعة « مونكادا » في مدينة « سالنتياجو » وكان معه شقيقه « راؤول » ، وكان الهدف من ذلك الهجوم هو الحصول على الأسلحة الأمريكية الموجودة داخل القلعة لتوزيعها على المواطنين المستعدين للمشاركة في الثورة ضد حكم الديكتاتور « باتيستا » ، لكن الهجوم فشل بسبب مناعة وتحصين القلعة التي زودت بعدد هائل من الضباط والجنود ، وانتهت العملية باستشهاد بعض الشباب ، واعتقال فيديل كاسترو وشقيقه راؤول ومن تبقى من رفاقهم ووضعوا في غياهب السجون ، ونظمت الجامعة سلسلة من المظاهرات الشعبية المطالبة بالإفراج عنهم وشارك المحامون من اصدقاء كاسترو في الضغط المتواصل على الحكومة حتى تم الإفراج عنهم ، مع قرار بنفيهم إلى المكسيك ، حتى تنطفيء جذوة الثورة ، لكن كاسترو لم يهدأ بل استغل وجوده في المكسيك ليلتقي مع القيادات الشعبية ، ثم كان أهم لقاء تحقق له مع « جيفارا » المثقف الثوري الأرجنتيني الذي صار صديقه الصدوق ، وساهم إلى حد كبير في رسم مسار الثورة الكوبية التي قادها كاسترو الذي تسلل مع رفاقه عائدا إلى كوبا وحشد قوى المعارضة المكونة من مجموعته المسماه « حركة ٢٦ يوليه » ، « والحزب الشوري » ، و « الحزب الاستراكي الشعبي » ، و« حزب الشعب الكوبي » ، ونجحت الثورة في الإطاحة بالديكتاتور باتيستا الذي هرب في أول ديسمبر من عام ١٩٥٩ إلى الدومينيكان ومنها إلى امريكا التي منحته قصرا يقيم فيه مع أولاده نظير الخدمات الجليلة التي قدمها لها على حساب شعبه ، وبعد حوالي أسبوع تولي كاسترو الذي لم يتجاوز الثانية والثلاثين من عمره رئاسة كوبا ، خطب في الجماهير عبر الآثير لمدة بلغت سبع ساعات دون توقف ، ولعل هذه الخطبة قد دخلت

موسوعة جينيس للأرقام القياسية ، وإن كان كاسترو قد عود المواطنين على خطبه التي تستغرق ساعات وساعات ، والتي عكست قدرته المذهلة على شد الأسماع إليه رغم هشاشة صوته الذي كان ضعيفا ومتقطع النفس ، حتى أن طبيبا كان يستمع إليه قدم تقريرا مخيفا حول طبيعة الضعف في صوت كاسترو ، وقال إنه محكوم عليه بأن يفقد صوته نهائيا قبل انقضاء خمس سنوات ، وبعد ذلك بوقت قصير وتحديدا في شهر أغسطس من عام ١٩٦٢ توقف صوته حتى صار كالأبكم بعد أن أعلن في خطاب له تأميم الشركات الأمريكية ، لكنها كانت حادثة عارضة ، فقد استرد صوته بعدها ، ولم تتكرر إطلاقا .

وظل صوته بهشاشته وغموضه سلاحه الفعال في التعبير عن أفكاره ومواقفه بطريقة تأسر مستمعيه خاصة مع استخدام يديه في الحركة المتنوعة طوال إلقائه لخطبه كأداه تعبيرية ، وليكون ذلك أحد سمات شخصيته إلى جانب أسلوبه في الحياة ، فقد تفرد مثلا بأنه لم يكن الحاكم الذي يدير كل الأمور من داخل مكتبه ، فقد اعتاد أن يمضي للبحث عن أسباب المشاكل في أماكنها ومواقعها ، فكانت سيارته الصغيرة تظهر في أي وقت ، وهي تنساب دون أن تسبقها - كعادة الرؤساء - تلك الموتوسيكلات وسيارات الحراسة ، حتى في ساعات الفجر المبكر عبر شوارع « هافانا » المقفرة ، أو في طريق بري ناء .

ولذلك خرجت الأسطورة التي تقول : « إنه شخص لا مثيل له يمضي دون وجهة معينة ، وبلا أية رسميات ، ويقوم بزياراته الميدانية في أي وقت ، ليجعل من يلتقي بهم يسهرون حتى الفجر ، وهكذا لم يكن له أي عنوان ثابت ودقيق ، ولم يكن له مكتب خاص فكان مقر الحكومة ينتقل معه حيث يكون ، وكان وحتى وقت ليس ببعيد لا ينام إلا ساعات قليلة جدا حتى فرضت عليه الظروف أن يسمح

لنفسه بست ساعات من النوم الجيد وإن كان لا يحدد موعدا لبدء النوم كعادته .

من جهة أخرى بلغ عشق كاسترو للقراءة والكتابة حدا لا يمكن تصوره بسهولة ، وسار ذلك من أهم مداخل فهم جاذبيته الشخصية كزعيم ، ولعل ما يوضح حبه للقراءة والكتابة أنه قال ذات مرة : « إنني أود - في حياتي الأخرى - أن أصبح كاتباً » ، وهذا بالطبع ما يفسر ما اتسم به خطابه الشفهي من طلاقة منقطعة النظير ، ويقال إنه يحب ممارسة الكتابة حتى وهو داخل سيارة منطلقة ، وهو يكتب في دفاتر صغيرة يضعها دائما في متناول يده ، وقد أصبح عددها في أرشيفه الخاص لا حصر له مع مرور السنوات وأسلوبه في الكتابة أقرب ما يكون إلى أسلوب الكتاب المحترفين ، فهو يصحح - مثلا - إحدى الجمل عدة مرات ، فيشطبها ويعيد صياغتها من جديد أكثر من مرة بل إنه يمكن أن يبحث عن كلمة ما لساعات ويرجع إلى المعاجم حتى يطمئن إلى أنها تعبر عما يريد ، ورغم أنه كان يرتجل خطبه التي يلقيها بالساعات إلا أنه بدءاً من السبعينات خرج عن عادته وصار يكتب خطبه ، وكان يكتبها ببطء ودقة بالغة ، ورغم إجادته الكتابة إلا أن تخليه عن الارتجال جعله كما لو كان شخصية أخرى غير التي تعودت عليها الجماهير ، ولذلك كان ينتهز الفرصة أثناء خطبه ليزيح النص المكتوب من أمامه ، ويرتجل بعض الجمل كلما أتيح له ذلك ، وبصفة عامة كان كاسترو يثق بشكل مطلق في الاتصال المباشر بالمواطنين ، وربما يعكس ذلك اهتمامه بأن المواطن هو أساس العمل الجماهيري ، فحتى أصعب الخطب لديه كانت تبدو وكأنها محادثة عابرة كتلك التي كان يجريها مع الطلاب في فناء الجامعة مع بداية الثورة ، وبهذا المنهج كان من الأمور العادية أن يستجوبه أحد الأفراد وسط مظاهرة شعبية ، وأن يقيم معه حوارا ساخنا ، يصل من خلاله كاسترو إلى مايريد توصيله من معني بما لديه من لغة لكل مناسبة ، وأسلوب خاص

في الإقناع يختلف حسب اختلاف من يخطب فيهم ، سواء كانوا عمالا ، أو فلاحين ، أو طلابا أو علماء ، أو سياسيين ، أو زوار أجانب ، وهكذا يضع نفسه في مستوى أي شخص يتحدث إليه ، ويساعده في ذلك ما يمتلكه من معلومات غزيرة ومتنوعة عريضه وعميقة .

وقد تزايدت خطبه مع التوترات السياسية حيث رفع كاسترو راية العصيان في وجه محاولات الهيمنة الأمريكية التي كانت قائمة أثناء حكم « باتيستا » ، ونجح في الحيلولة دون أن تصبح كوبا إحدى جمهوريات الموز في أمريكا اللاتينية ، والتي تحدد سياستها وفقا لتعليمات واشنطن ، ولعل موقفه من أمريكا كان قد ظهر في خطاب أرسله إلى زميل له في عام ١٩٥٨ قال له فيه : (إنني ذاهب لإطلاق أطول وآخر حرب موجهة ضدهم) وكان يقصد الأمريكان ، كما أنه شخصيا ربما لا ينسي كيف رفض الرئيس الأمريكي « إيزنهاور » استقباله أثناء أول زيارة له لواشنطن ، عقب نجاحه في الإطاحة بالديكتاتور « باتيستا » وتوليه السلطه ، ومع توتر العلاقات ، تواصلت المحاولات الأمريكية لاغتياله حتى بلغت ٦٣٨ محاولة ، تضمنت محاولة قتله بالسم ، أو من خلال سيجار مفخخ ينفجر فيه بمجرد استخدامه ، إلا أنه مع تعدد تلك المحاولات وفشلها ، كانت نجاته منها دافعا لأن تتزايد شعبيته بين أنصاره ومحبيه ، كما بدأت صورته وخطبه في الانتشار مع الكاريزما الخاصة به حتى صارت تتسلل عبر حصون الإدارة الأمريكية ، وعندما جاء عقد الستينات ، وجاءت الحرب الباردة ، كان من الطبيعي أن يميل كاسترو ناحية الاتحاد السوفيتي ، وازدادت علاقته بالولايات المتحدة توترا ، خاصة بعد تأميم المصالح الأمريكية في كوبا ، وكانت محاولة الغزو التي سميت باسم « عملية خليج الخنازير » في عام ١٩٦١ من خلال تجنيد ١٤٠٠ مقاتل من الكوبيين الموجودين في أمريكا ، وتلقوا

تدريبات عسكرية على أيدي الـ « سي آي إيه » وأنزلتهم البوارج الأمريكية في خليج الخنازير ، وكان فشل تلك المحاولة هزيمة فادحة لأمريكا ويبدو أن الإدارة الأمريكية وقتها صدقت الكوبيين في المنفى (مثلما حدث في حرب العراق) واعتقدت أن الشعب الكوبي سوف يستقبلهم بالأحضان والورود ، فحدث العكس تماما ، وتلقت أمريكا صدمة مدوية ، ولم يمر عام إلا وحدثت أزمة الصواريخ الشهيرة ، حيث نشرت روسيا صواريخ برؤوس نووية في كوبا ، ردا على نشر أمريكا صواريخ مماثلة في تركيا ، وبالطبع تصاعد التوتر ، ولم يتوقف حتى بعد سحب الاتحاد السوفيتي لصواريخه من كوبا ، وتجددت محاولات اغتيال كاسترو التي كان أكثرها رومانسية عندما نجحت الـ « سي آي إيه » في تجنيد عشيقة كاسترو السابقة « ماريتا لورينز » والتي وافقت على دس السم في طعامه ، ويقال إنه عندما اكتشف أمرها ، أعطاها مسدسه ، وطلب منها أن تطلق النار عليه ، لكنها لم تجرؤ !!

ويقول كاسترو ساخرا من كثرة محاولات اغتياله : « إن الأمريكان يسخرون كل اقمارهم الصناعية ، وهواتفهم النقالة لمراقبتي ، بمجرد أن اخطو خطوة واحدة في حديقة منزلي ، وأعتقد أنهم يعرفون كل حشرة وكل طائر يحط في منزلي ! » ، وتذكرنا محاولات اغتيال كاسترو بمحاولات اغتيال الزعيم جمال عبد الناصر والتي أدت إلى إثارة الشكوك في موته خاصة بعد إزاحة الستار عن الاتفاق الذي تم في السفارة الأمريكية بالقاهرة بين السفير وممثل الموساد وممثل الـ « سي آي إيه » والذي وضعت خلاله خطة جديدة لتصفية عبد الناصر ، والجدير بالذكر أن الاثنين (كاسترو وناصر) جمعت بينهما مواقف النضال ضد الاستعمار وضد الهيمنة ، لكنهما لم تنشأ بينهما صداقة حميمة ولم يتوافقا في اللقاء الوحيد الذي كان بينهما خلال دورة الأمم المتحدة الشهيرة في عام ١٩٦٠ بنيويورك حيث آثر كاسترو أن يقيم في فندق

متواضع في حي « هارلم الأسود » ، وذهب إليه عبد الناصر لرؤيته وعندما قدم له طبقا من الفضة كهدية مصرية ، قال له كاسترو - ربما من باب التفكه - « لقد توقعت أن تحضر لي تمساحا » ، ولم يقبل عبد الناصر تلك الكلمات ورد بجديته المعروفة !! «إن في مصر ثلاثة تماسيح فقط هي الموجودة في حديقة الحيوانات» وانتهى اللقاء بعد ذلك ، ولم يحرص عبد الناصر على أي لقاء آخر معه ، وإن كان ذلك لم يمنع - بالتأكيد - تقدير كل منهما لمواقف الآخر الوطنية ، وإذا كان عبد الناصر قد رحل في الثانية والخمسين من عمره بشكل فجائي أثار - كما قلنا - الشكوك ، إلا أن كاسترو وقد بلغ ٨٤ عاما ، مازال يعمل بشكل يومي حيث يبدأ يومه بقراءة الصحف والتقارير الأمنية ، ويحرص على كتابة تعليقاته على الأحداث العالمية يوميا على موقعه الإلكتروني ، ويظل حضوره طاغيا لدي شعبه فهو يستقبل آلاف الرسائل يوميا من الراغبين في استشارته في شئونهم الخاص ، محتفظا بحيويته والطاقة والنظرات المتقدة التي تشع من عينيه ، بالرغم مما أثير مرارا عن شيخوخته ومرضه خاصة بعد أن سقط في أكتوبر ٢٠٠٤ من المنصة التي كان يخطب فوقها أمام عدسات الكاميرات، وذلك بعد خطابه الذي ألقاه في « سانتا كلارا » وكسرت ركبته اليسري ، وأصيب ذراعه الأيمن برضوض ، كما أجريت له في يوليه ٢٠٠٦ عملية جراحية لإيقاف نزيف في معدته ، وعندما تناثرت الشائعات بقوة عن وفاته ، وضع حدا نهائيا لذلك بأن ظهر في حديث بثه التليفزيون الكوبي على مدي أكثر من ساعة ، وبدا فيه حاضر الذهن ، وفي حالة صحية جيدة ، وسخر من مروجي الإشاعات عن وفاته وقال : « أنا هنا ولم أحتضر كما يدعون ، لا أحد يعرف متي سيموت ! »

وإذا كان كاسترو قد تخلي عن رئاسة الدولة وقيادة الجيش في ١٩ فبراير ٢٠٠٨

حيث خلفه شقيقه ورفيقه في النضال « راؤول » فإنه يفخر بأنه حافظ على نظامه الشيوعي الوحيد في العالم الغربي ، بالرغم من مرور سبعة عشر عاما على سقوط جدار برلين ، وخمسة عشر عاما على إنهيار الاتحاد السوفيتي ، وبرغم أنه عاصر ١١ رئيسا أمريكيا (إيزنهاور ، كينيدي ، نيكسون ، جيرالد فورد ، كارتر ، ريجان ، بوش الأب ، كلينتون ، بوش الإبن ، وأخيرا أوباما) وقال كاسترو إن هؤلاء الرؤساء - ماعدا أوباما - شاركوا جميعا في محاولات التخلص منه ، وفشلوا جميعا في ذلك ! ، ورغم أنه أبدي قدرا من التفاؤل بأوباما إلا أنه اتهمه بالمشاركة في حرب الإبادة التي تعرضت لها غزة من خلال صمته على المجازر الإسرائيلية ، وأضاف أن الدعم الأمريكي لإسرائيل هو السمة الفاسدة للإمبراطورية الأمريكية

وعندما سأله المخرج الأمريكي الشهير « أوليفر ستون » إذا ما كان يندم حاليا على أي شيء ؟! أجابه بحسم : « إطلاقا وعاود « أوليفر ستون » بالسؤال مرة أخرى قائلا له : « لا تندم ولا حتى لعدم سلوك نفس الطريق الاقتصادي الذي سلكته الصين بنجاح ؟! » رد كاسترو بحزم : « كان لنا خصوصيتنا في الاحتفاظ بأفكارنا الثورية الخاصة ، ولكن سأبوح لك بهذا السر [لقد كنت أكره النموذج السوفيتي لتعقيداته البيروقراطية] » .

■ ■ ■

بائع الفول السوداني الذي صار رئيسا لأمريكا

[٨٦ عاما]

« عملت بائع فول سوداني وسرقت من أموال التبرعات ، وكان عقاب أبي لي بالكرباج ، ولم أفكر أبدا في عصيانه » جاءت هذه الكلمات على لسان « جيمس إيرل كارتر » الذي عرفه العالم بالاسم الذي كان يفضله وهو « جيمي كارتر » الذي ولد في ١ أكتوبر من عام ١٩٢٤ ونشأ في ولاية جورجيا بالجنوب الأمريكي التي اشتهرت بزراعة الفول السوداني ، وكانت قصته مع الفول إلى جانب الأحاديث في السياسة ، والأمور الدينية من المحاور التي أثرت في تنشئته ، وهو يروي في مذكراته ما يكشف جانبا هاما من تربية والده له وكيف عاقبه بقوة وهو في الخامسة من عمره عندما كان يعطيه كل صباح بنسا (قرشا) ليضعه في طبق جمع التبرعات بالمدرسة ، لكن الطفل « جيمي » احتفظ لنفسه ببعض البنسات مما أثار غضب والده وأعطاه « علقة » ساخنة ! وبالمبادىء والقيم نشأ « جيمي كارتر » حتى وهو يبيع الفول السوداني المسلوق في شوارع مدينتهم كما اشترك مع ابن عمه « هيو كارتر » في بيع الهامبورجر ، ولم يكن ذلك نتيجة للفقر والعوز ولكنه أمر عادي في الأسر الأمريكية والأوروبية باختلاف مستوياتها الاجتماعية في إطار التربية والتنشئه ، وقد التحق جيمي بعد ذلك بالأكاديمية البحرية ، ثم تزوج « روزالين سميث » وأنجب أربعة أبناء ، وبعد سبعة أعوام من الخدمة كضابط بحرية عاد إلى بلده ، وبدأ نشاطه السياسي الذي أهله في عام ١٩٧٠ ليكون محافظ جورجيا ، ويحقق نجاحات ملحوظة شجعته في عام ١٩٧٤ ليخوض معركة انتخابات الرئاسة في ١٩٧٧ وفاز فعلا على منافسه « جيرالد فورد » ليصبح الرئيس التاسع والثلاثين للولايات

المتحدة الأمريكية ، وليحقق انجازات أخرى على الصعيد الداخلي لكنها لم ترتفع لمستوى إنجازاته في السياسة الخارجية ومن أبرزها إعادة قناة بنما إلى بنما وما بذله من جهود مكثفة لإنجاح مباحثات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل ، ونال جائزة نوبل للسلام في عام ١٩٨١ وذلك بعد رحيله من البيت الأربيض بعام واحد عندما خسر معركة التجديد لدورة ثانية أمام منافسه مرشح الحزب الجمهوري « رونالد ريجان » ، ولكن كارتر لم يعتزل العمل العام حتى مع تقدمه في السن حيث أنشأ مع زوجته « روزالين » (مركز كارتر) وهو هيئة غير حكومية ، ولا تستهدف الربح ، وتعمل من أجل حقوق الإنسان ، وبذل ـ وما زال ـ جهودا كبيرة لها قيمتها في دول عديدة سواء لمراقبة الانتخابات أو مساعدة الدول النامية في خطط الوقاية من الأمراض أو القيام بدور ملحوظ في محاولة إنهاء الصراع الإسرائيلي الفلسطيني .

وهكذا لم يتقلص نشاطه إطلاقا عما كان يبذله وهو في موقع الرئيس ، بل أن نشاطه هذا أعطي مثالا حيا لإمكانية أن يكون للقب « الرئيس السابق » أهميته ومكانته ، ولعل كارتر أصبح أكثر فعالية وتركيزاً على دعم أنشطة السلام والديمقراطية ، ولا يمكن لأحد أن يتجاهل موقفه الموضوعي المحترم من الشعب الفلسطيني وقضيته ، إلى جانب لقاءاته مع الأطراف المختلفة الفلسطينية والإسرائيلية سعياً لتقريب وجهات النظر ، وأصدر كتابا كان صدمة للإسرائيليين لأنه كان بعنوان « فلسطين .. السلام وليس الأبارتهيد .. الفصل العنصري » ، وكانت هذه الرؤية السياسية العميقة الموضوعية من شخص بتاريخ وقامة « جيمي كارتر » بمثابة الدعم الكبير للقضية الفلسطينية ، مما أثار غضب إسرائيل وسعيها الدائم لإفشال زياراته للمنطقة في إطار مواصلة الجهود لإحياء العملية السلمية على

أسس من العدل والحق ، وذلك انطلاقا من موقفه المبدأي الثابت الذي لم يجعله مثلا يخفي مشاعره الخاصة إزاء الفلسطينيين حتى أنه صرح ذات مرة قائلا : « أحب الشعب الفلسطيني أنا وزوجتي وأبنائي الأربعة وأحفادي الثلاثة عشر » وهو بذلك جسد موقفه من القضية الفلسطينية التي كانت وما زالت تحتل حيزا كبيراً من اهتماماته منذ فترة رئاسته للولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٧٧ وحتى عام ١٩٨١ وحتى وقتنا الراهن الذي يشهد جولاته المختلفة لتهدئة الأجواء الفلسطينية - الفلسطينية ، والأجواء الفلسطينية - الإسرائيلية ، ولم يكن بالأمر المستغرب أن يعلن كارتر أسفه البالغ لأن طائرات من صنع أمريكا هي التي استخدمتها إسرائيل لتدمر غزة ، بل إنه قال في مؤتمر صحفي : « إنه قاوم بصعوبة رغبته في البكاء وهو يري حجم الدمار الذي ارتكبته إسرائيل ضد الفلسطينيين في غزة » ، كما أنه لم يخجل أن يقول « إنه يشعر كأمريكي بأنه مسئول ولو بشكل جزئي عما حدث ويحدث للشعب الفلسطيني » . وإذا كان كارتر بهذه التصريحات والمواقف وبما أعلنه صراحة من إدانة الحصار الإسرائيلي الخانق لقطاع غزة قد اكتسب احترام كل عربي فإنه صار نموذجا للضمير الحي النقي لبلده الولايات المتحدة الأمريكية ليؤكد أنه تجسيد لمعني رجل السلام والرجل المهموم بحقوق الإنسان ، ولعل تقدير الرئيس « أوباما » لزميله السابق « جيمي كارتر » معروف للجميع حتى أنه بارك ودعم جولاته وجهوده لحل القضية الفلسطينية مما يعكس أموراً مشتركة بينهما فهما ينتميان للحزب الديمقراطي وإذا كان « أوباما » أول أسود يفوز برئاسة أمريكا فإن كارتر هو أول رئيس من الولايات الجنوبية يدخل البيت الأبيض ، والمعروف أن كارتر كثيرا ما يطلق تصريحات وأقوالا وأفعالا تجسد موقفه كمدافع عن الحقوق الضائعة خاصة مع تفشي العنصرية التي عاني منها المجتمع

الأمريكي لعقود طويلة ، وتركزت المعاناه في أصحاب البشرة السمراء الأمريكيين من أصول إفريقية ، ولذلك كان من الطبيعي أن يؤازر ويرحب بفوز أوباما بالرئاسة ، ويتميز كارتر بأنه على الرغم من مرور ما يقرب من ثلاثين عاما على خروجه من السلطة فإنه لم ينسحب من الحلبة السياسية واستقطبت أخباره ونشاطاته اهتمام وسائل الإعلام العالمية وتقدير واحترام الكثيرين ، وبالمناسبة فإنه حاليا ثاني أكبر رئيس أمريكي سابق حيث أنه أصغر من « بوش الأب » بثلاثة شهور وتسعة عشر يوما فقط . وإذا كان عطاؤه الثقافي قد واكب عطاءه السياسي والإنساني فإن ما أصدره من كتب قد أضاف إلى مكانته المتفردة ، ومن الطرائف ما يحكيه أنيس منصور عن لقائه معه عندما سأله - بطريقته الخاصة - عن مذكراته ومذكرات زوجته « روزالين » قائلا : « إنه لاحظ اختلافا بينهما في رواية الحادثة الواحدة » ، فضحك كارتر وقال له : « إننا مختلفان تماما ، حتى عندما فكرنا في أن نؤلف كتابا معا ، أتفقنا على أن يكتب كل منا فصلا من ثلاث صفحات وقد التزمت أنا بذلك أما زوجتي فكانت تكتب أكثر ، واتفقنا على أن توقع هي على الصفحات التي تكتبها وأنا أيضا فخرج الكتاب مضحكاً !! » ثم قال بسخرية لطيفة : « أنا متزوج من أكثر من خمسين عاما ، ولم أعرف إلا بعد أن تركت البيت الأبيض أنني كنت الذي يعد الإفطار ، وكنت أحمل إليها القهوة في السرير !! » فقد كنت مرهقا ألقي بنفسي على الفراش دون حراك حتى الصباح ، ولكن بعد أن تركت البيت الأبيض فوجئت بأشياء كثيرة ، وبمنتهي الصراحة أقول لك : إنني لا أعرف كيف ولماذا تزوجت ، وأن صورتي مع عروسي على الحائط معلقة أمام السرير ، فليس غريبا أن نروى الحدث الواحد كل على طريقته ، ثم أضاف كارتر قائلا : « بالمناسبة فقد علمت أن الرئيس السادات انتهى من كتاب يؤلفه عن

السلام وقد وجه الإهداء إلى المستشار الألماني شميث ، فلماذا لا يكون الإهداء لي مع أننا معا (السادات وأنا) قد حققنا السلام بين مصر وإسرائيل ؟! ومن الطبيعي أن يعتز كارتر بأن يكون من رجال السلام وصانعيه ، حتى لو كان ذلك يثير إسرائيل والدول والعناصر المؤيدة لها حتى أن بعض المصادر الأمريكية الموالية علنا لإسرائيل انتقدت جهوده المكثفة التي تمثلت في جولاته التي شملت سوريا وغزة وإسرائيل بأنها تمثل إحراجا لحكومة أوباما ، حتى أنه - كارتر - أصبح يمثل مشكلة ومصدر قلق متزايد للرئيس الأمريكي كما كان عليه الحال مع الرئيس الأسبق كلينتون ، وقد تجاهل هؤلاء الذين وجهوا ويوجهون سهام النقد لكارتر أن الرجل أعلن بوضوح أنه لا يعمل من وراء ظهر الإدارة الأمريكية ، وأشار إلى أن وزارة الخارجية على علم مسبق بكل تفصيلات وأجندة جولاته في المنطقة حتى أنه حمل معه شروطا أمريكية لحركة حماس تتضمن احترام الاتفاقيات الموقعة والاعتراف بحق إسرائيل في الوجود ، وذلك إلى جانب أفكار أخرى بحثها مع حماس وبقية الأطراف حول مختلف الموضوعات التي تتصل بالعملية السلمية ، مثل قضية الأسري ، وأهمية قيام الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة وتكون عاصمتها القدس .

وقد صرح كارتر بهذه الأفكار أثناء زيارته لقطاع غزة مما أثار ضده مزيدا من الغضب الإسرائيلي الشديد لكنه يتجاوز ذلك بطريقته الخاصة التي تتسق مع مبادئه وانحيازه للسلام والعدل ، ولعل ذلك ما يجعلنا نحمل كل التقدير للرئيس الأمريكي الأسبق كارتر آملين أن يمتد به العمر أكثر وأكثر ليتواصل عطاؤه الإنساني العظيم .

■ ■ ■

بالنسبة لشعبه هو الأعظم !

وبالنسبة لنا هو الأسوأ !

[٩١ عاما]

بالنسبة لشعبه هو أعظم شخصية بريطانية ، وبالنسبة لنا نحن العرب يختلف الأمر تماما وهذا - على أي حال - ما سوف يتضح من خلال استعراضنا لأهم ملامح شخصيته وحياته وأعماله .

ولد ونستون تشرشل قبل اكتمال أشهر الحمل في ٣٠ نوفمبر من عام ١٨٧٤ في قصر « بلاينهام » الشهير القريب من أوكسفورد مقر حاكم مقاطعة مارلبورو ، وقد بني هذا القصر في عهد جده السابع « دوق مارلبوروالأول » تيمنا بالانتصارات التي حققها في عام ١٧٠٤ ، وهكذا نشأ الشاب ونستون في جو عبق برائحة التاريخ ، وظهر تأثره به عندما ألف كتابا عن جده جون تشرشل دوق مارلبورو حيث شكلت قاعات ذلك القصر ، وحدائقه ، النبع الذي استقي منه ونستون تشرشل مصادر كتابه ، وإذا كان ذلك هو جون تشرشل جده السابع ، فإن والده قصة أخرى فقد بدأ « راندولف تشرشل » حياته السياسية بتألق ونجاح كبير ، واستطاع أن يتولي منصب وزير المالية وهو في الثلاثين من عمره ، ونال لقب اللورد ، لكنه توفي وهو في السادسة والأربعين من عمره في ظروف مأساوية أدت إلى تجريده من لقبه والمؤكد أن ذلك أصاب زوجته الأمريكية جيني جيروم « والدة ونستون » بصدمة كبيرة ، وكانت النتيجة أنه كان على ونستون ابن « اللورد » «وحفيد الدوق » أن يشق طريقه بنفسه ، وأن يكسب رزقه بقلمه ولسانه ، وساعدته في ذلك والدته .

وقد اختلفت حياة ونستون تشرشل عن حياة والده ، بل كانت على النقيض

منها تماما ، ومن الغريب ـ مثلا ـ أنه لم يكن تلميذا متفوقا في المدرسة الثانوية التي دخلها في عام ١٨٨٨ ، ولم يتمكن من الوصول إطلاقا إلى الصفوف العليا إذ كان لا يهتم باللغة الإنجليزية التي يدرسونها ولا بأدبها الكلاسيكي مفضلا استعمال لغته الخاصة ، ولذلك ترك مدرسته الثانوية ، والتحق بالمدرسة الحربية الملكية (سلاح الفرسان) ، وتخرج منها في عام ١٨٩٤ وكان ترتيبه الثامن بين مائة وخمسين ، وبدأ حياته العسكرية بهمة غير عادية حيث كان عليه أن يغطي أحداث الحرب بين الجيش الأسباني والاستقلاليين الكوبيين لحساب مجلة « ديلي جرافيك » وهناك تعرض للمرة الأولى للرصاص الذي تناثر حوله ، لكنه شغف بـ « كوبا » خاصة بالسيجار الفاخر الذي ظل معه في فمه طول حياته ، بعد ذلك التحق بالجيش في الهند حيث قضى مدة كانت كافية لأن يقوم بتثقيف نفسه ذاتيا فقد كانت أمه ترسل إليه صناديق مملوءة بالكتب ، وكان يطالعها كلها بنهم ، وظهرت موهبة الكتابة لديه في عام ١٨٩٨ عندما نشر كتابه الأول « قصة قوات سهل مالاكاند » ودارت حول تجربته في الهند التي قدم خلال وجوده فيها طلبا للالتحاق بالجيش المصري تحت قيادة السردار ، وجاءه الرد بتسليم نفسه لثكنات العباسية بالقاهرة ، ومنها تم إلحاقه بحملة السودان ، ثم جنوب إفريقيا حيث أدى دوره كجندي ، وعمل في الوقت نفسه كمراسل عربي لصحيفة « مورننج بوست » ، ثم جاءته الشهرة من طريق خارج توقعاته وذلك عندما قامت قوات « البوير » في إفريقيا الجنوبية باعتقاله ، وخاض مغامرة خطيرة حتى تمكن من الهرب ، والطريف أن منشورا تم توزيعه في أنحاء البلاد يدعو الأهالي إلى تقديمه للسلطات حيا أو ميتا ، وجاء في وصفه أنه « يتكلم من أنفه ولا يستطيع نطق حرف إس ،(s) نطقا صحيحاً » ، ولحسن حظه نجا من محاولة إعادة أسره ، وعاد إلى جبهة القتال في « الناتال » ، وكتب قصة هروبه المثيرة من المعتقل وكيف عاد إلى جبهة القتال ونشرها في جزأين ، ثم قام

بجولة في الولايات المتحدة ألقي خلالها محاضرات عن اعتقاله وهروبه ، وإذا كان قد حقق في تلك الجولة شهرته الواسعة ، فقد حقق لنفسه فائدة أخرى إذ أن المبالغ التي تقاضاها من تلك الجولة مكنته من دخول البرلمان (وكان أعضاء البرلمان في ذلك الحين لا يتقاضون أية رواتب) والمهم أن ٢٣ فبراير من عام ١٩٠١ شهد بداية مشواره البرلماني ممثلا لحزب المحافظين عن دائرة « أولدهام » ، لكنه فاجأ حزب المحافظين بأن تركه وانضم إلى حزب الأحرار في ١٩٠٤ ويبدو أن ذلك يرجع إلى تعاطفه مع قضية الوطنيين الأفريقيين التي عاشها بنفسه ، كما أنه اعترض على عدد من مشروعات القوانين التي تبناها حزب المحافظين ، وكان من الطبيعي أن يشق طريقه في الحياة السياسية ، وتقلد منصب نائب وزير المستعمرات ، وهو المنصب الذي لعب من خلاله دورا بارزا في إنهاء حرب البوير ، ولم يشغله العمل السياسي عن هوايته الأدبية فقد نشر في عام ١٩٠٦ كتابا عن سيرة حياة والده « اللورد راندولف تشرشل » ، ثم نشر بعد ذلك بعامين أي في ١٩٠٨ كتاب « رحلتي الأفريقية » وهو نفس العام الذي تزوج فيه الفتاة التي التقي بها في طفولته عند قصر جده « كليمانتين هوزييه » وقد أنجبا صبيا وأربع بنات توفيت إحداهن وهي طفلة ، وعندما اندلعت شرارة الحرب العالمية الأولي ، واحتل الألمان بلجيكا ، قاد تشرشل حملة مضادة إلا أنها فشلت في تحقيق أهدافها ، كما فشلت محاولته لاحتلال « الدرنديل » لعزل تركيا عن أوروبا ، وقد أجبر تشرشل على تحمل الفشل في المحاولتين ، وعندما سقطت حكومة حزب الأحرار وحلت محلها حكومة إئتلافية من الأحرار والمحافظين في عام ١٩١٥ كان الشرط الأول للمحافظين لكي يقبلوا التحالف هو تجريد تشرشل من منصبه كقائد للقوات البحرية ، وقد جعله ذلك يتصور أن حياته السياسية قد انتهت ، فوجه نشاطه إلى تعلم الرسم الذي ظل يمارسه حتى نهاية حياته ، وبعد عام واحد من تركه منصبه كقائد للقوات البحرية

عاد إلى العمل السياسي حيث دعاه رئيس الوزراء « لويد جورج » إلى تولي منصب وزير الإمدادات العسكرية في ١٩١٦ ، ثم صار وزير الدولة لشئون الحرب والقوات الجوية ، حيث عمل على تحديث القوات الجوية ، وصار هو نفسه طيارا ، لكن السياسة حاولت أن تعانده وتبعده عنها مرة أخرى فقد سقط في انتخابات ١٩٢٢ ، وابتعد عنها فعلا وإن كان بشكل مؤقت ، ثم عاش فترة مضطربة تنقل خلالها بين عضوية حزب المحافظين ، وحزب الأحرار ، كما تقلد عدة مناصب وزارية إلا أنه لم تعجبه الصلاحيات المحددة المتاحة له ، فعاد إلى الابتعاد عن السياسة لمدة عشرة أعوام كاملة من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٩ ، واتجه من جديد إلى عالم الكتابة والرسم ، ونشر له كتاب « طفولتي » في ١٩٣٠ وكتاب « مارلبورو » الذي نشر في أربعة أجزاء من ١٩٣٣ حتى ١٩٣٨ ، وكتاب « أفكار ومغامرات » الذي نشر في عام ١٩٣٢ ، ولكن خبرته وسمعته الحربية جعلتهم يسارعون إلى الاستعانة به عندما بدأت الحرب العالمية الثانية كقائد أعلى للقوات البحرية ، إلا أن الهجوم الألماني على أوروبا كان سريعا وفعالا فسقطت بولندا ودول أخرى منها فرنسا دون مقاومة تذكر أمام الهجوم الألماني الكاسح ، وبدا في مايو ١٩٤٠ واضحا أن ثمة كارثة ستشمل بريطانيا ، فوقع الاختيار على تشرشل ليكون الزعيم والقائد الأول فتولي رئاسة الحكومة ، ووزارة الدفاع على مدى خمس سنوات ، وكان عليه أن يواجه في البداية الحقيقة المرة وهي أن بريطانيا سوف تحارب وحدها حيث لم تكن هناك قوة أوروبية أخرى يمكن أن تدخل الحرب ، ولم يعد أمامه سوى أن يستنهض همم الشعوب الأوروبية للقيام بأعمال المقاومة ضد الألمان على أن ينظم هو عملية الدفاع عن حدود بريطانيا ، وكانت مهمة صعبة لأن بريطانيا كانت قد خسرت العديد من أسلحتها ومعداتها الحربية إثر احتلال فرنسا ، وأثناء محاولة إخلاء « دنكرك » ، لكن تشرشل بذكائه وديناميكيته نجح في احتضان ودفع حركة

المقاومة الفرنسية بقيادة « ديجول » ، كما بدأ الحوار السريع مع صديقه الرئيس الأمريكي « روزفلت » الذي قرر تزويد الأوروبيين بالسلاح والعتاد ، ثم دخلت الولايات المتحدة نفسها الحرب ، وتم تشكيل ما عرف باسم « قوات الحلفاء » وبعد فترة من نشوب الحرب اقتنع تشرشل أن ألمانيا لن تجازف بمحاولة احتلال بريطانيا ، وشجعه ذلك على إرسال واحدة من الفرقتين العسكريتين الباقيتين إلى مصر للسيطرة على المعبر الأساسي للشرق الأقصى ، وجاءت نقطة التحول في الحرب وكانت استفادته من الأخطاء التي ارتكبها الأعداء مثل هجوم ألمانيا على الاتحاد السوفيتي مما أجبر « ستالين » على دخول الحرب ، كما أن الهجوم الياباني على « بيرل هاربر »وضرب الأسطول الأمريكي دفع الرئيس روزفلت إلى اتخاذ قرار الحرب .

وهكذا انقسم العالم إلى حلفين كبيرين (ألمانيا و ايطاليا واليابان) في حلف و(أمريكا والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وحكومة فرنسا في المنفي) حلف آخر ، واستخدمت أمريكا القنبلة الذرية لتدمر هيروشيما ونجازاكي ، وتجبر اليابان على الاستسلام ، وتوالت هزائم القوات الألمانية والإيطالية لتنتهي الحرب بانتصار الحلف البريطاني الأمريكي السوفيتي الفرنسي ، وبهذا الانتصار الذي ظهرت فيه بصمات تشرشل كان طبيعيا أن يقود مواكب المحتفلين في شوارع لندن إلا أنه - وكما ذكر في أحد كتبه - كان يشعر بالضيق لأنه لم ينجح في الحد من النفوذ الشيوعي الذي تغلغل في معظم دول أوروبا الشرقية مع انتصار الاتحاد السوفيتي ، ثم كانت الصدمة الأخرى له في انتخابات يوليه ١٩٤٥ عندما خذله البريطانيون ، وحجبوا أصواتهم عن حزبه (حزب المحافظين) وكانت وجهة نظرهم واضحة بأن الزعيم الذي ينتصر في الحرب ، ليس بالضرورة أن ينتصر في السلم ، كما أن رغبتهم في التجديد بعد عشرين سنة من حكم المحافظين لها منطقها ووجاهتها .

وهكذا كان على تشرشل ، بعد أن تولي حزب العمل المنافس الحكم أن يغلق ملف السياسة مرة أخرى ، ويتجه بكامل طاقته إلى الكتابة والرسم المجالين المحببين اللذين يلجأ إليهما بمجرد أن تغدر به السياسة ، والواقع أنه كان المستفيد جداً هذه المرة ، مثلما كان الأدب والفن الإنجليزي مستفيداً إلى حد كبير فقد كتب مؤلفه الضخم « الحرب العالمية الثانية » في ست أجزاء (من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٥٣) كما عرض لوحاته دوريا في الأكاديمية الملكية ، وكان صديقا لكثير من أرباب الفنون والآداب ، ومن هؤلاء « برنارد شو » ولأنه كان يعشق الفكاهات البارعة ، استفز مرة برنارد شو الذي كان نحيلا جداً بينما كان هو (تشرشل) ضخم الجثة فقال له : « يا اخي برنارد من يراك يظن أن بلادنا تعاني من أزمة جوع خانقة » فأجابه برنارد شو على الفور : « ومن يراك أنت يا صاحبي يعرف سبب الأزمة !! » ، وكان تشرشل يحضر أحد الاجتماعات ، وإذا بامرأة عجوز دميمة تهاجمه قائلة له : « لو كنت زوجي لوضعت لك السم في الشاي » فنظر إليها وأجابها بسرعة : « ولو كنت زوجك لشربت السم على الفور ! » ، هذا ورغم انهماكه في التأليف والرسم عادت السياسة لتغازله في عام ١٩٥١ ، وكان قد بلغ السابعة والسبعين ، حيث عاد إلى رئاسة الوزراء حتى عام ١٩٥٥ عندما استقال في عيد ميلاده الثمانين ، وكانت سعادته أنه شارك في عام ١٩٥٣ في تتويج الملكة الشابة « إليزابيث الثانية » بصفته «سير SIR » ، ونال جائزة نوبل للآداب في السنة نفسها وكانت من مفارقات القدر أن يفوز بجائزة نوبل في الوقت الذي كان يوقع فيه قرار بالبدء في إنتاج القنبلة الهيدروجينية ، ولكنها على اية حال كانت جائزة للأدب ، وليست جائزة للسلام التي فاز بها رئيس وزراء إسرائيل « بيجن » رغم تاريخه الدموي وجرائم الحرب التي ارتكبها .

هذا ولم ينقطع تشرشل عن ممارسة السياسة التي تأرجحت علاقته بها بين

الرفض والقبول رغم أنها منحته أكبر المناصب وجعلته أعظم شخصية سياسية في بريطانيا ، كما منحته الشهرة التي تتحدي الزمن ولذلك فإنه بعد استقالته حرص على متابعة حضور جلسات مجلس العموم حتى عم ١٩٦٤ حيث تقاعد إلى أن وافته المنية في ١٩٦٥ ، وأقيم له مأتم رسمي وشعبي ، ودفن في حديقة الكنيسة الصغيرة التابعة لقصر « بلانيهام » الذي ولد فيه قبل تسعين سنة ، وكان قد دخل في غيبوبة استمرت من ٢٤ ديسمبر ١٩٦٤ حتى توفي في ١٤ يناير عام ١٩٦٥ .

لكن السؤال الذي طرحته في البداية يفرض نفسه الآن : « إذا كان تشرشل أعظم شخصية بالنسبة للبريطانيين ، فلماذا بالنسبة لنا كان الأمر يختلف تماماً » ، ولعل الإجابة واضحة تماما فإلى جانب نزعته الاستعمارية كان له موقف بالغ السوء إزاء القضية الفلسطينية ، فقد زار خلال رئاسته وزارة المستعمرات في عام ١٩٢١ مصر وفلسطين ، واطلع خلال زيارته على ما كان يعانيه الشعب الفلسطيني نتيجة وعد بلفور الذي وضع بذرة إسرائيل ، واستمع تشرشل إلى كل جوانب وتفاصيل المأساة من الوفد العربي الذي رأسه موسي الحسيني وطالب بإلغاء وعد بلفور ، ولم يمر شهر على عودة تشرشل إلى لندن حتى اندلعت المواجهات بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، وتوالت الجرائم والمذابح الإسرائيلية للفلسطينيين علنا ، وسافر وفد عربي إلى لندن لمقابلته ، وألح الوفد على ضرورة إلغاء وعد بلفور ، لكن تشرشل استخف بهم ولم يعر طلبهم أي اهتمام ، وبعدها أصدر الكتاب الأبيض الذي وافق عليه البرلمان والذي تضمن شرحا من وزارة المستعمرات لطبيعة السياسة البريطانية في فلسطين ، ونفي في الكتاب ما ذكره العرب عن تعهدات بريطانية للشريف حسين بن علي ، وأصر على استثاء فلسطين من تلك التعهدات ، وأكد تمسك بريطانيا بوعد بلفور وأن وجود الشعب الإسرائيلي في فلسطين له

أساس من الحق .

وهكذا كان من الشخصيات الرئيسية التي ساعدت على قيام إسرائيل ، والحركة الصهيونية ، وهذا ما لا يمكن أن يغفر له مهما كان عطاؤه التاريخي لبلده ، ومهما كان إسهامه الثقافي والفني .

■ ■ ■

الفارس .. عاشق السلطة .. والنساء !!

[٧٤ عاما]

لعله ضرب الرقم القياسي الإيطالي في بقائه رئيسا للوزراء على ثلاث فترات منفصلة فقد قفز إلى موقع رئاسة الوزراء لأول مرة في عام ١٩٩٤ ، ثم عاد إلى ذات الموقع في عام ٢٠٠١ وحتى عام ٢٠٠٦ ، ولم يمر عامان تقريبا إلا وعاد بيرلسكوني رئيسا للوزراء من جديد ، والمثير أنه رغم فضائحه ورفع الحصانة عنه إلا أن شعبيته لم تتأثر كثيرا حتى أن حزبه مطمئن تماما إلى أنه سيبقي في السلطة حتى عام ٢٠١٣ ، وقد ولد بيرلسكوني في ميلانو من أسرة متوسطة أو أعلى قليلا وكان والده موظفا بأحد البنوك ، وكان هو ثالث الأبناء في الأسرة ودرس الحقوق ، وقد بدأ نشاطه المالي في مجال المقاولات في عام ١٩٦١ ، وثارت تساؤلات غامضة حول سرعة نمو أعماله حتى أن البعض اتهموه بأن له صلة ما بعصابات المافيا التي قيل أنها تسانده على الأقل بالتمويل ، والمهم أنه توجه بعد ذلك إلى الاستثمار في مجال الإعلام ليكون أكبر مساهم في ١٠ شركات كبري تخصصت في الإعلام والمال ، وقد بدأت علاقته المباشرة بالإعلام في عام ١٩٧٣ عندما أنشأ محطة تليفزيونية صغيرة تعمل بنظام « الكابل » وكانت هذه « المحطة » بداية انطلاقه وأنشأ أكبر إمبراطورية إعلامية تشمل ثلاث محطات تليفزيونية عامة ، وعدد من القنوات الرقمية كما أنه بحكم منصبه يسيطر على التليفزيون الحكومي ، ويري الكثيرون أن إمبراطوريته الإعلامية ساعدت وتساعد في تجاوزه لنتائج كثير من الفضائح التي يرتكبها حتى أن الإيطاليين يمنحونه ثقتهم في الإنتخابات وكأن شعبيته لم تهتز كما هو متوقع ، ويصفه البعض بأنه « فيروس يهدد الأخلاق بارتباطاته مع المافيا

واحتكاره لوسائل الإعلام واستغلاله للرياضة وفي المقدمة منها كرة القدم وأيضا لفبركته القوانين لحماية مصالحه الخاصة ، وتكفي فضائحه التي لا تتوقف ولا تنتهي فهو عرضة دائمة لتهم كثيرة من بينها التهرب من الضرائب ، والفساد ، وتخريب الصحافة إلى جانب أعماله المنافية للأخلاق » . وقد جرت محاكمته أكثر من سبع مرات وإن كان لم يصدر ضده حكم قضائي قاطع ، هذا ويري بيرلسكوني أن غرامياته وفضائحه الجنسية التي تتداولها الصحف أحيانا شيء لا يستدعي الإعتذار قائلا : « أنه لا يخشي الإبتزاز » واثقا أن شعبيته بين الإيطاليين وصلت إلى رقم قياسي ، وبنفس الثقة والجرأه يقول بيرلسكوني إنه ليس قديسا إلا أن الصحف تبالغ في تصوير علاقاته الخاصة ، وقال بالحرف الواحد في مؤتمر صحفي ؟ « إن وسائل الإعلام الأجنبية كتبت أنني أكره النساء رغم أنه إذا كان هناك شيء واحد أعشقه فهو النساء !! » وكان بهذه الكلمات يرد على اتهام جديد تمثل في تلك المرة بأنه يبالغ في إحساسه برجولته ، وأنه يفضل الجميلات في المناصب السياسية مثل عارضة الأزياء السابقة « مارا كارفانا » التي اختارها « وزيرة المساواه » في حكومته ! ، وبنفس الثقة في نفسه يقول بيرلسكوني انه « نابليون سياسة ايطاليا » وإنه « عبقري على المستوى الدبلوماسي » ، ويقول المراقبون إنه « مقاوم للصدأ » وإنه « منظر فن الشطارة » بدليل تجاوزه لفضائحه التي وصلت إلى ذروة عالية عندما اتضح أنه يقيم حفلات في منتجعه بصحبة العاهرات والمخدرات ، وإن كان هو كعادته قد رد تلك الأخبار إلى خبث القضاء والصحافة والمعارضة ، ولاشك أنه نجح في تجاوزه كل فضائحه بجرأته وجاذبيته إلى جانب ما ذكرناه عن امبراطوريته الإعلامية التي يجيد استخدامها إلى جانب ما يقدمه لناخبيه من وعود ترتكز على ميولهم ومصالحهم ومخاوفهم ، حيث ترتبط القيم التي يدافع عنها في خطبه (والتي لا يطبقها على الإطلاق) بمعتقدات تقليدية برجوازية صغيرة ، ولعل ذلك هو ما يفسر الحقيقة

التي تقول ان ناخبي بيرلسكوني ليسوا فقط الأغنياء وأصحاب النفوذ فالطبقات الوسطي والموظفون وجزء من العمال يصوتون أيضا له بسبب شعورهم بالخيبة إزاء سياسات « اليسار » ، ومن ثم فإنهم يفضلون التعلق بالآمال والأوهام بل والأحقاد التي يغذيها « اليمين » ولذلك يعولون على بيرلسكوني لمساعدتهم على إيجاد مخرج لهم ، رغم ما يتضح من اتساع الشرخ بين خطبه وتصريحاته وبين أفعاله ، وهذا ما يؤكد أنه إذا كان الكثيرون من الإيطاليين يعتقدون أنهم ماهرون شطار إلا أنه يتم خداعهم في الواقع إذا لم يكونوا يخدعون أنفسهم ، فإن كان بيرلسكوني يبدو كساحر خيب الأمال ويثير الإعجاب في الوقت ذاته فإنه سيحين وقت يستفيق فيه الإيطاليون من السحر الذي يمارسه عليهم « بيرلسكوني » ويفسخون العقد الذي وقعوه معه بأصواتهم الإنتخابيه وذلك عندما يدركون أن سياسة عدم فعل أي شيء لن تفضي إلا للخراب كما أن تجاهل الأزمات لا يكفي لتخطيها وتجاوزها ، وربما يكون القرار الذي أصدرته المحكمة الدستورية الإيطالية بإلغاء قانون الحصانة الذي يحمي كبار المسئولين في الدولة ومن بينهم رئيس الوزراء سيلفيو بيرلسكوني مقدمة لملاحقتهم مما يفتح الباب لتوجيه اتهامات له تتعلق بالرشوة واستغلال النفوذ والتهرب الضريبي وان كان ذلك لا يعني إجباره على الاستقالة وقد ينجح مرة أخرى في مواجهة الأزمة المتوقعة بامكانياته الإعلامية التي بدأ يستخدمها في انتقاد المحكمة الدستورية بدعوى أن اليسار الإيطالي هو الذي يحركها ، إلى جانب ما يمتلكه من كاريزما وحس مرح ظهر مثلا في أحد مؤتمراته الصحفية عندما سألته فتاة قائلة : « ماذا أفعل كواحدة من الفتيات والشباب لمواجهة البطالة وأحصل على فرصة عمل ؟ » ، فأجاب ضاحكا « تتزوجين ابن بيرلسكوني !! » . ويبدو أن سيلفيو بيرلسكوني « ابن نكتة » فعلا حتى أنه أشاع حالة من المرح والبهجة في اجتماع حزب الشعب الأوروبي بمدينة بون الألمانية عندما أطلق نكتة

تتناوله هو شخصيا ، إذ تقول هذه النكتة التي حكاها بطريقته أنه كان يركب طائرة تعرضت فجأة للسقوط وكان معه فيها الرئيس الأمريكي أوباما ، وبابا الفاتيكان ، وأحد مساعدي البابا الشبان ، وبالصدفة لم يكن في الطائرة سوى ثلاث مظلات إنقاذ فقط ، فأخذ أوباما المظلة الأولي وقال : « أنا أهم رجل في العالم » وهبط بها من الطائرة ثم أخذ بيرلسكوني المظلة الثانية وقال : « أنا أذكي رجل في العالم » وهبط من الطائرة ، وعندئذ طلب البابا من مساعده أن يأخذ هو المظلة الثالثة المتبقية قائلا له « أنت لا تزال في مقتبل العمر ولك الحق في النجاة » ولكن مساعد البابا رد عليه قائلا : « أيها الأب مازال لدينا مظلتان واحده لك وواحدة لي » فتساءل البابا قائل : كيف ذلك ؟ فقال المساعد : « نعم أيها الأب لأن بيرلسكوني أخذ بدلا من المظلة حقيبة الظهر الخاصة بي !!! » .

وهكذا أثار بيرلسكوني موجة من الضحك على نفسه ، ويبدو أنه لم يكن يدري أنه سيكون بطل مشهد درامي تراجيدي بدلا من المشهد الضاحك بعد ذلك وتحديدا أثناء مؤتمر انتخابي في ميلانو عندما أخذ يخطب من أجل حشد الدعم قبل الانتخابات التي ستعقد بعد شهور قليلة وعندما لم يلمس أنه حصد الدعم الذي تصوره بل كانت النتيجة عكسية ، فتح صدره أمام الجميع في إشارة إلى أنه لا يخاف ومستعد لأية مواجهة ، لكنه لم يكن يدري أن المواجهة التي يتحداها سوف تأتيه بأسرع ما يمكن ، فبمجرد أن فرغ من خطابه قذفه شاب في وجهه بتمثال تسبب في تهشم أنفه وأسنانه واصابة حاجبه ، ولم يفق بيرلسكوني من صدمة المفاجأة سريعا إذ فوجيء بالدماء تغرق وجهه وفكه بعد كسر أحد ضروسه ، واستطاع حراسه القبض على الشاب المعارض « ماسيمو تارتاجليا » البالغ من العمر ٢٧ عاما ، بينما تزايدت صيحات المحتجين الذين وصفوا خطاب بيرلسكوني بأنه خطاب مهرج

وأن ما تعرض له هو أبلغ رد عليه ، ثم تولت الصحف الإيطالية بقية الحديث حيث تصدرت صورة بيرلسكوني وقد غطت الدماء وجهه صفحاتها الأولي ودار الجدل بين الموالين له الذين اعتبروا الحادثة عملا إزهابيا ، وبين خصومه الذين رأوها ردا طبيعيا على الحالة التي أحدثها بيرلسكوني في البلاد ، بينما رأت صحيفة تكتل اليسار « لاريبوليكا » (أن الفيلم الدراماتيكي الذي حدث في ساحة كاتدرائية ميلانو يدل على تدهور المناخ السياسي في إيطاليا) ورغم أن بيرلسكوني غادر المستشفي بعد خمسة أيام إلا أن الأطباء نصحوه بعدم الظهور العلني لمدة أسبوعين على الأقل .

والطريف أن التمثال الذي قذف به ذلك الشاب رئيس الوزراء في وجهه ، قد حقق طفرة كبيرة في المبيعات في إيطاليا حيث أقبل السائحون على شراء نموذج من هذا التمثال الذي يمثل نموذجا لكنيسة مبنية على الطراز « القوطي » وصار السائحون يشيرون إليه باسم « تمثال بيرلسكوني » وكانوا عند شرائه يحاولون معرفة وزنه وكيف تسبب في كل هذه الإصابات لرئيس الوزراء الذي لم يستطع أن يتفادي ضربة التمثال كما سبق أن تفادي الرئيس الأمريكي بوش حذاء الصحفي العراقي رغم أن بيرلسكوني فاز من قبل بلقب نجم « الروك » الذي منحته إياه مجلة « رولنج ستونز » بطبعتها الإيطالية ، وقالت انه يتبع نمط حياة صاخبا ومثيرا للجدل مما منحه شهرة عالمية واسعة ! .

هذا وكان من الطبيعي أن يؤكد بيرلسكوني أن إصابته الدامية لم تؤثر فيه أو تجعله يتراجع عن أسلوب حياته ومنهجه ، مثلما تجاوز أية أزمة صحية مثل الحمي القرمزية التي ألزمته الفراش عدة أيام ، بل أنه لكي يثبت أن السلطة ومعها الثروة

تحقق له الصحة وطول العمر أعلن أنه مستعد لكي يلجأ إلى المحكمة ليثبت أنه غير عاجز جنسيا كما وصفته إحدى الصحف مؤكدا أنه رفع أكثر من دعوى قضائية على تلك الصحيفة وطالب بإلزامها بدفع تعويض كبير له لا يقل عن مليوني يورو .

■ ■ ■

البابا .. الشاعر .. السياسي .. الضاحك

[٨٧ عاما]

اسمه نظير جيد ، أو نظير clever كما كان يسميه المدرسون وزملاؤه في المدرسة لكنه تخلي عن اسمه مرتين ، وفي كل مرة كان يبدأ مرحلة جديدة في حياته وعطائه وفي كل المراحل كان ينطلق من قاعدة ثقافية عريضة بناها من حبه ونهمه للقراءة وقدرته غير العادية في التحصيل والحفظ ونظم الشعر ، وممارسة الصحافة إلى جانب ما اتسمت به شخصيته من صفات جعلت الآخرين يطمئنون إليه ، ويثقون فيه ، وفتحت له الحياة أحضانها ، رغم أنها استقبلته عند مولده استقبالا عبوسا صادما فلم تكد الفرحة بقدومه تعلن عن نفسها بين أفراد الأسرة حتى انشغلت عنه بالحزن الذي دخل المنزل مع وفاة أمه التي أصيبت بحمي النفاس ، ورحلت فجأة دون أن ترضع الطفل الوليد فصارت لحظة وصوله إلى الحياة مقرونة بالحرمان من نهر الحب الذي يرتوى منه الأبناء في طفولتهم ، كما اقترنت بمشاعر الحزن التي سادت البيت حتى أنهم فاتهم أن يسجلوا اسمه في سجل المواليد ودفع هو ثمن ذلك بتخلفه عام دراسي لعدم تقديم شهادة الميلاد ، إلى أن تم حل المشكلة بأن تم تسنينه ليكون تاريخ ميلاده ٢ أغسطس سنة ١٩٢٣ قبل وفاة أمه بيومين ، لكن طفولته رغم كل ما أحاط بها حملت في ثناياها ما استقر في ذهنه وفي وجدانه وشكل موقفا هاما في رؤيته للمجتمع ، حيث كانت أول سيدة ترضعه إحدى الجارات المسلمات التي شاركت في العزاء ، وحملت الطفل الذي كانوا قد نسوا أيضا اختيار اسم له وسط دوامة الحزن والمفاجأة بسبب رحيل الأم ، وعندما استردت الأسرة أنفاسها وتوازنها اختارت له اسم « نظير » ، وليس لدي تفسير خاص لاختيار هذا

الاسم إلا إذا كان شائعا وقتها ، أو ربما لأنه عندما يكبر لن يكون له نظير في شخصيته والمواقع الكبيرة التي يشغلها أو تأتي إليه والتي حملته إلى أن يكون البابا شنوده الثالث بطريرك الكنيسة القبطية (« وأعظم شخصية مسيحية ظهرت في القرن العشرين ») كما وصفه الأنبا بيشوى الرجل الثاني في الكنيسة .

ولم يكن اسم « شنوده » هو ثاني اسم يحل محل اسم « نظير » حيث كان قد سبقه إلى ذلك اسم « انطونيوس » الذي تغير هو الآخر ليستقر نهائيا اسم « شنوده » مقرونا بصفة « الثالث » مسبوقا بكلمة « البابا » وربما يتصور البعض أنه نشأ في أسرة فقيرة دفعته ظروفها القاسية إلى التوجه للرهبنة ، لكن العكس هو الصحيح فقد كان من أسرة من أثرياء الصعيد إذ ورث والده « جيد روفائيل » مائة وعشرين فدانا في قرية سلام بمركز أسيوط التي عاشوا فيها ، وكانت والدته « بلسم جاد » من أبنوب الحمام تملك أرضا ورثتها عن والديها تزيد على ثلاثين فدان .

ولذلك يقول البابا شنوده : « لم أكن أعاني الفقر في طفولتي ، ولكنني ظللت أشعر بشعور الفقراء في كل مراحل حياتي » ، ومثلما كانت طفولته مختلفة لما أحاط بمولده ، فإن فترة صباه وشبابه كانت مختلفة أيضا ، فتلقي تعليمه في أكثر من محافظة ، حيث دخل أولا مدرسة الأقباط الابتدائية بدمنهور لأنه كان مع شقيقه الأكبر «روفائيل » الذي عين في وظيفة بوزارة المالية في دمنهور فاصطحبه معه لترعاه زوجته « جوليا حليم » التي حلت بعطفها وحنانها محل أمه فعوضته عن فقدانها ، حتى أنه يتذكرها دائما كما كان يحمل لأخيه الأكبر إعزازا وتقديرا فكان يسبق اسمه بلقب « الأستاذ » وقد انتقل معه إلى بنها ، والتحق بمدرسة الأمريكان بها ، ثم انتقلت الأسرة مرة ثالثة إلى القاهرة حيث صار الأخ روفائيل رئيس قسم بوزارة المالية وسكن في شبرا ، ويقول البابا شنوده : « إنه في تلك الفترة تعرف على حياة

العاصمة (القاهرة) التي اختلفت طبعا عن دمنهور ، وبنها » ، وفيها عرف السياسة والأحزاب ، وعاش أجواء ثورة ١٩١٩ حيث المسلمون والمسيحيون وحدة واحدة ، وكان ألمع وزراء الوفد مكرم عبيد ، وكان رئيس مجلس النواب ويصا واصف باشا .

وهكذا ، وفي هذه الفترة أيضا عرف الطريق إلى الصحافة ، والجمعيات ، والتقي بمدرسين في مدرسة الإيمان الثانوية أثروا في تفكيره في مرحلة التكوين ، وظهرت مواهبه في حفظ الشعر ونظمه ، وأدمن القراءة التي بدأت معه منذ الصبا لأن والده كانت لديه مكتبة كبيرة ، وقد أخذ عنه حبه للقراءة ، حتى أنه لم يختلط كثيرا بأقرانه من الصبية والشباب لأن كل وقته كان يقضيه في القراءة وحفظ الأشعار حتى أنه في السنة الرابعة في المدرسة الثانوية حفظ عشرة آلاف بيت من الشعر ، كما حفظ خطب الزعيم مكرم عبيد ومرافعاته الشهيرة في المحاكم خاصة وأنه كان مثله الأعلى ، وبعد أن صقل موهبته في نظم الشعر اشتهر بين زملائه وأصبح شاعر المدرسة ثم شاعر الطلبة ، كما أخذ ينشر قصصه وكتاباته التي اتسمت بالمرح وخفة الظل وهي الصفة التي لم تفارقه وظلت معه حتى وهو يلقي دروسه ومواعظه .

وفي هذه المرحلة من العمر وهو في السابعة عشر بدأ يرتبط بالكنيسة ، ويخدم في مدارس الأحد في « كنيسة انطونيوس » ، وكان كعادته يحتل المركز الأول في المسابقات الثقافية التي كانت مدارس الأحد تنظمها ، مثلما كان الأول دائما في السنوات الدراسية ، وبعد نجاحه في الثانوية العامة (التي كانت تسمي التوجيهية) دخل كلية الآداب واختار قسم التاريخ لأنه يحب دراسة التاريخ ، ولفت أنظار الأساتذة الكبار بقدرته على إعداد الأبحاث التاريخية الممتازة ، وانكب على دراسة التاريخ المصري القديم ، والتاريخ الإسلامي الذي كان يحصل فيه دائما على تقدير

ممتاز ، واستثمر إجادته للغة الإنجليزية في الاستفادة من المراجع الأجنبية وترجمة بعض فصولها ، كما استفاد من أساتذته الكبار بالكلية الذين علموه أصول التفكير العلمي ، واكتسب بثقافته ورزانته والكاريزما التي تمتع بها صداقة جميع زملائه ، وعندما كان في السنة الثالثة بالكلية التحق بالكلية « الإكليريكية » في القسم الليلي الذي كان يدرس فيه الطلبة ، وخريجو الجامعات ، كما بدأ يتردد على الأديرة ، ويقضي فيها أجازات الصيف ، وبعد حصوله على الليسانس في كلية الآداب في عام ١٩٤٧ التحق بالتدريس ، وعمل مدرسا للغة العربية في مدرسة إنجليزية ، وفي نفس الوقت كان يعلم اللغة الإنجليزية لتلاميذ مدرسة ابتدائية ، وكأنما أراد أن يثبت قدراته في الجمع بين الوظيفتين ، كما يثبت إجادته الكبيرة للغة العربية واللغة الإنجليزية .

ثم بدأت مرحلة أخرى في حياته الخصبة عندما التحق بكلية ضباط الاحتياط ، وكعادته كان أول الخريجين من ضباط مدرسة المشاه في سنة ١٩٤٧ وأصبح يحمل رتبة ملازم ، ومن الجدير بالذكر أنه كان يتولي الإشراف على إعداد الإفطار والسحور للطلبة المسلمين في شهر رمضان ، وخلال خدمته العسكرية كضابط احتياط نشأت له صداقات عديدة منها مع الفريق يوسف صبري أبو طالب الذي كان يداعبه بقوله : « إنه يسبقه في الدفعة لأنه خريج عام ١٩٤٨ » ، ومن المؤكد أن البابا التقي خلال تلك الفترة بالعديد من الضباط الذين شاركوا في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وقد عرف من خلال أحاديثه معهم الكثير مما يرتكبه اليهود ضد الفلسطينيين مسلمين ومسيحين ، ولا يمكن تجاهل صلة تلك الفترة و تلك الأحاديث بموقفه الرافض بشكل حاسم للتطبيع مع إسرائيل ، وزيارة الأقباط للقدس إلا مع إخوانهم المسلمين ، وبعد تحقيق حل نهائي للقضية الفلسطينية

وتحقيق السلام العادل والدائم والشامل .

هذا وبعد انتهاء خدمته العسكرية ، عاد إلى مسيرته الدينية ، وتفرغ للخدمة في بيت مدارس الأحد بالجيزة ، والإشراف على الملجأ التابع لها ، وتدريجيا بدأ يقتصد في طعامه ، ويتخلي عن الزينة والملابس الأنيقة ، ويركز قراءاته في الكتب الدينية ، وأثار ذلك اهتمام شقيقه « روفائيل » وشقيقه « شوقي » الذي كان قد دخل في سلك الكنيسة وأصبح القمص « بطرس جيد » ، وبعد أن تولي رئاسة تحرير مجلة « مدارس الأحد » ، وصار سكرتيرا للجنة الدائمة لمدارس الأحد ، حدث التطور الأكبر عندما حمل نظير جيد حقيبته وكتبه وخرج من البيت إلى دير السريان في صحراء وادي النطرون وعاش فيه ، وأصبح اسمه « الراهب أنطونيوس » ، وانقطع تماما عن مراسلة أو لقاء أقاربه وأصدقائه ، انقطع عن حياة الناس ، وأقام لمدة ست سنوات في مغارة تبعد عن الدير بخمسة كيلومترات وتفرغ تماما للوحدة والتأمل الروحي ، لا يتحدث مع أحد إلا حين يأتي إليه كل أسبوع أو أسبوعين مندوب من الدير يحمل قليلا من الطعام والماء ، وكثيرا من الكتب ، وعن هذه السنوات الست يقول البابا شنوده : « إنها كانت أجمل سنوات حياته وأكثرها خصوبة وإحساسا بالطمأنينة والراحة النفسية » ، وطبعا استغل تلك الفرصة الطويلة لكي يقرأ مئات وربما آلاف الكتب ، حتى دعاه أسقف الدير للعودة من المغارة لكي يتولي النشاط الثقافي فيه ، ويشرف على المكتبة ويتابع تنظيم المخطوطات التاريخية فيها ، ثم جاءت سنة ١٩٥٥ لتضيف نقلة أخرى بالنسبة له عندما أصبح قسيسا ، ثم نال رتبة القمص بعد سنة واحدة ، ثم اختاره البابا « كيرلس السادس » سكرتيرا خاصا ، وممثلا له في لجان المجمع المقدس ، ولكنه فضل أن يعود مرة أخرى إلى الدير للوحدة ، والتأمل الروحي ، والقراءة ، وصار مسئولا عن استقبال الرحلات التي

تصل إلى الدير ، وإلقاء الموعظة ، ولم تمض شهور حتى طلبه « البابا كيرلس السادس » ليعرض عليه أن يصبح أسقفا على الكلية الإكليريكية ، ولكنه رفض وقال للبابا : «أنا لا أستحق .. وأريد أن أعيش في البرية التي وهبت نفسي لها » ، وعلى مدى ساعتين كاملتين حاول البابا إقناعه بترك الدير ، والعودة إلى القاهرة ، ونظرا لما ظهر جليا من إمكانياته وقدراته وثقافته العريضة صمم « البابا كيرلس السادس » على أن يجعله أسقف الإكليريكية بالرغم من معارضته ، فطلب من أسقف الدير أن يصحبه إلى القاهرة لياخذ البركة من سيدنا البابا ثم يعود إلى الدير ، وبعد أداء الصلاة ، وعندما انحني على يد البابا ليقبلها فوجيء بالبابا يضع يده على رأسه هو وأسقف الدير ، وقال له : « رسمتك يا شنوده أسقفا على الإكليريكية».

وهكذا أصبح الراهب انطونيوس الأسقف شنوده رغم أنفه ! ويقال إنه بكي في تلك اللحظة بشدة ، وبدا عليه كما لو كان يفكر في الهرب ، حتى أن البابا كيرلس السادس قال له : « لا تغادر المكان حتى الرسامة » وتلقي الأنبا شنوده الأمر الذي لا يمكن عصيانه ، واستسلم للأمر الواقع ، وهكذا حدث التحول الكبير في حياته دون أن يخطط له أو حتى يفكر فيه ، وابتداء من ٣٠ مارس عام ١٩٦٢ أصبح الأنبا شنوده أسقف المعاهد الدينية ، والتربية الكنسية ، ومسئولا عن الكلية الإكليريكية .

وكما هو متوقع ظهرت بصماته الواضحة فتضاعف عدد الطلبة في تلك الكلية من مائة فقط إلى مائتين وسبعين طالبا ، وارتفع عدد طلاب القسم الليلي للالتحاق بالكلية في القسم الليلي ، ولم يتحقق ذلك بسهولة فقد خاض معركة حامية من أجل تعليم الفتيات ، كما خاض معركة أخرى عندما فتح أبواب الكلية الإكليريكية لكل من يريد حضور المحاضرات بعد أن كانت مقصورة على الطلاب فقط ، وكان من

الطبيعي أن تتألق جاذبية محاضرات الأنبا شنوده وما تضمنته من معلومات غزيرة يصوغها في قالب أدبي بليغ يتناسب مع جميع مستويات الجمهور فتزايد عدد الحاضرين حتى ضاقت بهم مدرجات الكلية ، ومع نجاحاته المتواصلة انتهت علاقته تماما بمرحلة العزلة الكاملة التي كان يفضلها وأصبح يجد نفسه وسط الناس ليجمع بين الزهد والقيادة ، وبين الرهبنة ومتابعة التطورات الحضارية في العالم ، ونظرا لنجاحه في تحقيق تلك المعادلات التف حوله الشباب وصارت له جماهيرية جارفة .

ثم وقعت النكسة في ١٩٦٧ ، وبدأت هجرة الأقباط إلى الخارج ، وشكلت بعد سنوات قليلة ظاهرة مؤثرة فقد أصبح للكنيسة جاليات في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، وأصبح لها صوت تحاول الكنيسة الاستفادة منه ، وتحاول أحيانا كبح جماحه ، ولكن في كل الأحوال استطاعت بهم ولهم مد فروعها إلى هذه الدول وأصبح لها تواجد في أماكن لم تصل إليها من قبل ، وساعدها في ذلك أن المهاجرين دعموا الكنيسة بما يقدمونه من هبات وتبرعات ، وقد واكبت ذلك تطورات بالغة الأهمية حيث رحل الزعيم عبد الناصر ، وخلفه الرئيس أنور السادات ، كما رحل البابا كيرلس ، وفي ١٤ نوفمبر من عام ١٩٧١ اعتلي البابا شنوده الثالث كرسي البطريركية وسط ترحيب جماهيري ورسمي ، لكن الأحداث الطائفية فرضت نفسها وانفجر العنف الديني فزاد التصاق الأقباط بكنيستهم ، ومن ثم تزايد دور رجال الدين ، وزاد الخلاف بين قائد الكنيسة وقائد الدولة ، ووقع الصدام بين الرئيس السادات والبابا شنوده الثالث ، وانتهي بصدور القرار بالتحفظ على البابا في دير الأنبا بيشوى في إطار القرار الصاخب في سبتمبر ١٩٨١ باعتقال عدد غير قليل من رموز الدولة ، وقبل أن يمر شهران على هذا القرار تم اغتيال السادات ،

وأفرج الرئيس حسني مبارك عن جميع المعتقلين ، وعاد البابا شنوده إلى موقعه ليواصل دوره الذي تميز بقدرته على توفير إجابة لكل تساؤل مثار بحكمة وحنكة وذكاء وفقا لكل موقف فهو يعرف متى يكون حاسما ومتى يكون دبلوماسيا ، ومتى يكون جادا صارما ، ومتى يكون مرحا تثير تعليقاته الساخرة ، البهجة والمرح ، والأمثلة لهذا الجانب في شخصية البابا شنوده كثيرة منها :

- شكت له زوجة في الاسكندرية من زوجها قليل الأب فداعبها قائلا : « في فترة الخطوبة الخطيب بيتكلم والخطيبة تسمع ، وبعد الزواج الاتنين بيتكلموا والجيران تسمع !! » .

- ولأن قفشات ونكات البابا شنوده لاتنتهي ، فقد فكر أحد الشمامسة في تسجيل هذه القفشات وإصدارها في شريط كاسيت بعنوان « اضحك وتأمل » ويتضمن الشريط ١٣ نكتة وقفشة منها :

– واحد بعت لي جواب بيقول فيه أنا صعيدي وبلدياتك وعندي سؤال : « هل يوم القيامة أثناء الدينوتوية حنرجع صعايدة زى ما أحنا والـلا لأ ؟ » ورديت عليه قلت له : « في الدينوتوية مش حترجع صعيدي لأن ربنا حيكون صلحك على الآخر ! » .

– في قصة قرأتها زعموا أن نملة مشيت فوق منارة احدى الكاتدرائيات الكبيرة ، ثم قالت النملة للكاتدرائية : « أنا آسفة اني تقلت عليكي !! ».

– أحيانا تأتيني سيدة وهي تبكي وتقول لي : « يا أبونا الواد مكفر سيئاتي ، قلت لها ، طيب انتي ليه يكون عندك سيئات عشان الواد يكفرها ؟ » .

- وبعيدا عن ذلك الشريط الضاحك يتذكر أصدقاء البابا شنوده مواقف وتعليقات له أثارت الضحك ومنها :

– في لقاء مع الرئيس مبارك ضم الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وقداسة البابا

رن موبايل البابا عدة مرات وكان يرد باقتضاب قائلا : « أنا مشغول .. عندي اجتماع .. كلمني غدا .. ليس الآن » ، « فسأله الشيخ طنطاوي ضاحكا : يا قداسة البابا أليست لي مكالمة من هذه المكالمات ؟! ، فرد البابا قائلا : يا سيدي التليفون بيضرب جرس .. لما يؤذن أعطيه لك » .

– سأله مذيع : « ما حكاية الأقباط الذين يتحدثون عن دولة لهم في أسيوط ؟ » فقال البابا : « إزاي الكلام ده ؟» يعني عندنا أساقفه كتير قوى رح نوزعهم إزاي على أسيوط .. وساعتها نخلي كل أسقف على حارة ، ونسميهم « الآباء الحواريون ! » .

- ونترك ذلك الجانب الضاحك في شخصية البابا شنوده ، لتستوقفنا تصريحاته وآراؤه التي تجسد مواقفه الوطنية والعربية ، والإصلاحيه .
- أقباط المهجر قلة مارقة لا تعبر عن الأقباط في مصر ولا يعلمون شيئا عن طبيعة مصر .
- ترشيحي لجمال مبارك ليس موافقة على التوريث .
- كيف يترشح قبطي للرئاسة وهو غير قادر على الفوز في انتخابات النقابات ؟
- لا تعيروا انتباها لما تروجه الفضائيات هذا العام .
- الله منحنا الفرصة لنكلمه ، وبعض أصحاب المناصب لا تستطيع الوصول إليهم .
- لا ينبغي أن يتواصل الشباب عبر الشات أو الإيميل مع الفتيات الأجنبيات .
- يجب ألا يجهر الأقباط بصلواتهم في المواصلات العامة .
- العذراء ظهرت في أماكن متعددة بالقاهرة ، والمسلمون يقدرونها أكثر من بعض البروتستانت .

- مشروع نقل وزارعة الأعضاء البشرية يستحق الاهتمام مع التأكد من ثبوت حالة الوفاة .
- أنا غريب رماه الله في دنيا مظلمة !
- لا تصدقوا الآباء الكهنة الذين يقولون لكم ان الملائكة تظهر لهم ! .

هذا وقد تردد البابا شنوده الثالث الذي احتفل الأقباط بالذكرى الثامنة والثلاثين لاختياره بطريرك على الولايات المتحدة وألمانيا عدة مرات للعلاج من عدة أمراض مثل « الإنزلاق الغضروفي ، وقصور في وظائف الكلي ، ومتاعب في عينيه ، وقد استغل البعض ذلك وروجوا أكثر من مرة إشاعات عن وفاته ، وكان يعود في كل مرة ليستأنف نشاطه كما تعود ، وبذكائه أراد أن يؤكد لمروجي الإشاعات أنه بخير وصحة جيدة ، وذلك عندما سأله شاب عن « آخر » اشعاره ، فرد عليه قائلا : « قل أحدث أشعاري ، ولا تقل آخرها !! »

■ ■ ■

قبطي من دولة مسلمة ، أبيض من قارة سمراء

ثري من بلد فقيرة ، سادس أمين عام للأمم المتحدة

[٨٨ عاما]

أعترف أنني لست صاحب كلمات هذا العنوان ، فقد جاءت على لسان مذيع الـ BBC عندما تحدث عن تولي الدكتور بطرس غالي منصب الأمين العام للأمم المتحدة في أول يناير من عام ١٩٩٢ ، وأتحدث أنا عنه فأقول :

في يوم ١٤ نوفمبر ١٩٢٢ احتفلت أشهر عائلة في منطقة الفجالة بالقاهرة بمولد واحد من أبنائها ، وأحيط مولده بدعوات وأمنيات بأن يحتل عندما يكبر منصبا يليق باسم العائلة التي تتمتع بمكانة سياسية واجتماعية مرموقة فكان منها جده رئيس الوزراء (بطرس بطرس غالي) ووزير الخارجية (واصف غالي) وآخرون ممن تولوا مناصب كبيرة قبل ثورة يوليه ١٩٥٢، وقد تحققت الدعوات والأمنيات وإن كانت لم تصل إلى أن يشغل هذا الابن أكبر منصب سياسي ودبلوماسي في العالم كأمين عام الأمم المتحدة ، وذلك بعد أن مر بمراحل هامة في حياته حيث حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة في عام ١٩٤٨ ، وبعد عام واحد حصل على دبلوم العلوم السياسية وسافر إلى باريس لينال الدكتوراه في عام ١٩٤٩ ، ثم عاد إلى القاهرة ليصير أصغر أستاذ للقانون الدولي بجامعة القاهرة ، ورئيسا لقسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد حتى عام ١٩٧٧ لتبدأ انطلاقته مع المناصب الأكبر فقد اختاره الرئيس الراحل السادات وزيرا للدولة معنياً بشئون الاشتراكية الدولية ثم صار وزير الدولة للشئون الخارجية وبالتالي صار قريبا بل ملاصقا لمنصب وزير الخارجية وهو المنصب الذي داعب خياله كثيرا ربما تأثرا بعمه واصف غالي الذي

كان من أبرز وزراء الخارجية ، وإن كان ذلك لم يتحقق له إلا أنه انطلق إلى المنصب الأكبر جداً ليكون سادس أمين عام للأمم المتحدة من عام ١٩٩٢ حتى عام ١٩٩٦ ولم يتم التجديد له كما كان متوقعا بسبب موقف الولايات المتحدة الأمريكية ضده ، وتقول مادلين اولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة في مذكراتها (أنها استعدت منذ توليها منصبها لمنع إعادة انتخاب بطرس غالي لولاية ثانية لانتقاداته المتزايدة للولايات المتحدة) ، ويقول هو في كتابه الشهير « بدر البدور » (إن وقوف أمريكا ضد التجديد لي كان بهدف إعطاء درس وتوجيه تحذير إلى كل من يشغل موقع امين عام الأمم المتحدة مغزاه أن من لا يتبع تعليمات أمريكا سيكون مصيره مثل بطرس غالي) والطريف أن الدكتور بطرس غالي يذكر أنه أثناء زيارته لنيودلهي قابله عراف هندي مشهور قال له : (لا أظن أنك ستنجح في محاولتك للتجديد كأمين عام للأمم المتحدة لكنني أعتقد أنك في المقابل سوف يسطع نجمك أكثر) ومن الطريف أيضا أنه يذكر في كتابه « بدر البدور» أن الرئيس حسني مبارك عندما قابله بعد خروجه من الأمم المتحدة بدا عليه أنه في غاية الارتياح وكأنه يتشفي فيه ويكاد يقول له : « لو أنك لم تتحد أمريكا لجددوا لك » وإن كان الدكتور بطرس غالي قد فقد فرصة التجديد كأمين عام للأمم المتحدة فإنه لم يبتعد عن الأضواء الدولية حيث تولي بعد ذلك منصب « أمين عام المنظمة الفرانكوفونيه « ثم صار » رئيس المجلس القومي لحقوق الإنسان » وإن كان البعض يري أنه يغيب كثيرا عن سياسات المجلس وقراراته ، وذلك يتناقض مع المعروف عنه من إيمانه المطلق بالعمل والحركة بذهن متقد قد يحسده عليه الكثيرون وتقول سكرتيرته الانجليزية أثناء عمله في الفرانكفونية وتبلغ من العمر ستين عاما (أي أصغر منه بأكثر من عشرين عاما) « إنها تمنت العمل مع هذا الرجل منذ شاهدته في حوار تليفزيوني وبدا مفعما بالنشاط والحجة وقوة المنطق . » ويقول هو عن نفسه إنه يعمل ٨

ساعات يوميا ويتمني أن يتعلم لغة أجنبية ثالثة كما يتمني أن يتعلم - في هذه السن - العزف على آلة موسيقية وإذا كانت السياسة قد اختطفته من مجال الثقافة والأدب إلا انها عوضته بسخاء ، والمعروف أنه جمع بين الثقافات العربية والفرنسية والانجليزية وتأثر بكتابات « طه حسين» و « نجيب محفوظ » ومن فرنسا «سارتر» و « كامي » وهو يكتب بثلاث لغات ، كما أنه أنشأ مجلة الأهرام الاقتصادي ، وأسس مجلة السياسة الدولية .

من أقواله :

- أفضل شيء تفعله بعد سن الثمانين هو العمل ٨ ساعات يوميا للتغلب على مشاعر الشيخوخة .
- نحن أمام ظاهرة غير مسبوقة في تاريخ الإنسانية وهي « العولمة » .
- لن أري في حياتي - سلاماً بين إسرائيل وفلسطين .
- أؤمن بالتحاور مع كل التيارات ولكنني ارفض « الإخوان المسلمين » .
- هل أستطيع أن أدين دولة فرانكفونية قامت بسجن صحفي أو منعت منظمة دولية غير حكومية بينما حكومة إسرائيل تقتل وتصيب الآلاف من الفلسطينين وزعمائهم وقادتهم .
- السادات كانت فلسفته التحاور مع « المتطرف » ليضمن موافقة « المعتدل »
- من يرد أن يعرف كل أسرار العرب فليسافر للخارج .
- خناقات النواب في مجلس الشعب أفضل من النوم في الجلسات .
- إسرائيل التي نعرفها لن يكون لها وجود خلال العشرين عاما القادمة حيث أن ٢٣٪ من حاملي الهوية الإسرائيلية من عرب ١٩٤٨ ، وبعد عشرين عاما سترتفع

نسبتهم إلى ٤٠٪ أو أكثر ، وهو ما يعني أنه لن يكون هناك وجود عمليا لدولة إسرائيل اليهودية ، وانني أعتمد في رأيي هذا على إستقرائي لاتجاهات المستقبل في ضوء ما أراه وأسمعه وأحلله .

- قضية حقوق الإنسان أصبحت قضية دولية مثل قضايا البيئة ومن ثم لا يمكن أن تعالج على المستوى الوطني فقط وإنما تشارك فيها كل الدول ، ولذلك تعمل الأمم المتحدة على هذا الملف منذ انتهاء الحرب البارده ، ورؤيتها تقوم على أن حقوق الإنسان جزء لا يتجزأ من الديمقراطية ، ولذلك فإنني لا أري ما يدعو إلى الحساسية والتوجس عندما تتم مناقشة ملف حقوق الإنسان في مصر أمام المجلس الدولي لحقوق الإنسان وليس في ذلك أي تدخل في شئوننا .

- في كتابي « أجندة الديمقراطية » طالبت بزيادة دور المجتمع المدني أي المنظمات غير الحكومية والتيارات المختلفة والجامعات والأحزاب السياسية وذلك حتى يكون هناك لاعبون مختلفون إلى جانب الدول الأعضاء في الأمم المتحدة التي لا يمكن إصلاحها إلا بدخول تمثيل أوسع للشعوب ، ومن ثم تكون هناك نقابات ومنظمات أعضاء في الجمعية العامة للأمم المتحدة . وانني أري أنه قد آن الأوان لإعادة النظر في ميثاق الأمم المتحدة .

- إصلاح مجلس الأمن يبدأ بتغيير ميثاق الأمم المتحدة كما أعلنت أكثر من مرة .

- العلاقات بين مصر والجزائر أهم بكثير من اختلاف بسبب كرة القدم .

- الرقابة على الانتخابات أصبحت أمرا مهما وموجودا بالفعل في كل دول العالم وهي شهادة مهمة لأي انتخابات نزيهه وشفافة ، وإذا كانت مصر تشارك أحيانا في الرقابة الدولية على انتخابات تجرى في العديد من الدول فلماذا لا توافق

الحكومة على وجود هذه الرقابة على الانتخابات في مصر .

- في إطار العولمة وبعد أحداث ١١ سبتمبر أصبح هناك خوف من المسلمين في أوروبا بل ان الخوف امتد إلى الجاليات الأجنبية بصفة عامة تقريبا والحل مرتبط بالانفتاح أكثر على الآخر وإعطاء دور للمجتمع المدني في أن يقوم بمد الجسور مع العالم ليتعرف الآخرون علينا بشكل أفضل .

- قضية المواطنة والاهتمام بالمصريين الذين يعملون أو يعيشون في الخارج قضية بالغة الأهمية ، وقد لا يعلم البعض أن ما يقدمه المصريون في الخارج لميزانية الدولة يتراوح بين ٤ و ٧ مليار دولار سنويا وهو مبلغ يتعدي إيراد قناة السويس ، وما لم تبذل الجهود الحقيقية لضمان استمرار ارتباط الجيل الثاني والثالث من المهاجرين قد يتوقف هذا الدعم الكبير .

- أري أنه لا بد من عقد مؤتمر سنوى للمهاجرين ، بل أري أنه لا بد من إتاحة الفرصة لهم كي يشاركوا في الانتخابات وهذا أمر ضروري من أجل ربطهم بوطنهم الأم .

- لماذا نتكلم عن ضغوط أمريكا وننسي ضغوط أوروبا ؟

- هيكل يقول كلاما صعبا لا افهمه أحيانا .

- كمال الجنزوري رئيس الوزراء الأسبق عابس وميال إلى الإمساك بكل نشاطات البلد وكان يكن العداء لابن شقيقتي يوسف بطرس غالي .

- الأزهر مؤسسة تقليدية معروفة بإنغلاقها .

- الأمم المتحدة سوق للأوهام .

- لا مانع من أن يحكمنا رئيس خواجه !

- الفرانكفونيه يمكن أن تنهي احتكار القطب الواحد .

- الدكتور البرادعي كان طالبا عندي في الخارجية وترشيحه للرئاسة خاص به هو .
- هل البلد ليس فيها غير هيكل والبرادعي .. أين التجديد وأين المعارضة ؟
- الأفضل أن تكون مدة الرئاسة محددة ولا بد من وجود مجموعات ضغط لتحقيق الإصلاح .
- أتوقع انفصال جنوب السودان قريبا .

الجوائز والأوسمة :

حصل الدكتور بطرس غالي على جوائز وأوسمة من ٢٤ بلداً تشمل إلى جانب مصر : بلجيكا - إيطاليا - كولومبيا - جواتيمالا - فرنسا - إكوادور - الأرجنتين - نيبال - لكسمبرج - البرتغال - النيجر - مالي - المكسيك - اليونان - شيلي - بروني - دار السلام - ألمانيا - بيرو - كوت ديفوار - الدانمرك - جمهورية أفريقيا الوسطي - السويد - كوريا - كما قلد أيضا وسام فرسان مالطة .

■ ■ ■

الذي خلع الجاكت وسط محكمة إنجليزية

فخلع كل الحاضرين جاكتاتهم !!

الوزير .. المفكر .. والفقيه الدستورى .. وهلم جرا !

[٨٠ عاما]

سأله صحفي : « ليس من قبيل الحسد أن أقول إنني أراك وأنت في الثمانين تقريبا تمتلىء حيوية ونشاطا إلى حد أن طاقم مكتبك وهم شباب في الثلاثينات لا يقدرون على مجاراتك ، فماذا فعلت لتحافظ على بنيانك ونشاطك وصحتك ؟! » .

وأجابه المفكر والوزير والفقيه الدستوري الدكتور « أحمد كمال أبو المجد» قائلا : الحمد لله وسأكون أمينا معك فأنا أعمل ولا أملك غير ذلك ، والصحة تاج يمنحه الله لعباده وأسأل الله أن يديمها على ، أما عن شعوري الداخلي فأنا لا أري نفسي ابن السبعين أو ابن الثمانين وإنما أتصور نفسي في العشرينيات أو الثلاثينيات ، وإنني أري أن الشباب يذهب عنك عندما يحدث أمران :

أولهما : إذا فقدت القدرة على الاستمتاع بعملك وحتى بالأشياء الصغيرة .

وثانيهما : أن تفقد القدرة على التطلع إلى مشروعات طويلة المدى ، تقع في اتخاذ قرارات غير محسوبة !!

هكذا لخص الدكتور كمال أبو المجد رؤيته للحياة ومشواره العميق العريض خاصة منذ بدأ حياته العملية كمعاون نيابة في عام ١٩٥١ وحتى أصبح قاضيا ورئيسا لمحكمة دولية (المحكمة الإدارية للبنك الدولي بواشنطن) ، ونترك له مرة أخرى الحديث عن أبرز ملامح رحلته العملية حيث يقول : « إنها رحلة طويلة والعمل بالنيابة أحد محاورها الكثيرة جداً ، مثل محور الوظيفة العامة ، والقضايا

السياسية والاجتماعية ، وتحمل مسئوليات عامة (وزارية) في مصر والتدريس لأجيال ، والإشتغال بالعمل الإسلامي في العالم ، والعمل بالإعلام والدخول في حوار الحضارات ، كلها قضايا أذن الله ويسر أن أسهم فيها بحيث عندما أطل ورائي أجد أن فضل الله على كبير ، وأعطاني القدرة والمكنة بأن أعطي في هذه المجالات ، وأنا في حياتي أشكو الإزدحام ولا أشكو الملل أبدا ، وشعاري الدائم هو : « صداع العمل الكثير خير ألف مرة من كآبة البطالة» .

ومن ذكرياتي التي ساهمت بالتأكيد في تشكيل أسلوب حياتي واهتماماتي أنني اخترت الالتحاق بكلية الحقوق لأن والدي كان عنده كتاب اسمه (الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية) ورأيت فيه صورا لقضاة محكمة النقض ، والنائب العام ، ونقيب المحامين وأعضاء محكمة استئناف القاهرة ، وكان الكتاب على ورق مصقول تحيط به حاشية مذهبة ، ووجدتني مشدودا إلى دراسة القانون ودخلت كلية الحقوق ! ، وفي سنة ١٩٥٤ ذهبت إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه وأذكر أن زملاءنا الذين سبقونا إلى هناك بسنة أو سنتين نظموا لنا حفلة تكريم انتهت إلى أنهم أغضبونا لأنهم وصفونا بالخيانة لأننا نؤيد الثورة رغم خلافات الإخوان معها ، ثم خرجت مطرودا من فرنسا حيث كنت أذهب إلى مسجد في باريس لإلقاء كلمة بعد الصلاة ، فلما قامت الثورة الجزائرية نسيت أنني في فرنسا وألقيت كلمة في المسجد وقلت الآية الكريمة « لنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون » .. فوجدت البوليس يطلبني باستمرار وجاء لي الأمر بالطرد وسافرت إلى لندن حيث استكملت دراستي هناك وعدت إلى القاهرة لمناقشة ما أنجزته .

هذا ما قاله الدكتور أحمد كمال أبو المجد عن رحلة حياته بصفة عامة ، ونحول نحن هذه الرحلة إلى أرقام وبيانات محددة فنقول :

☒ولد الدكتور كمال أبو المجد في قرية بني عديات بمحافظة أسيوط في عام ١٩٣٠ .

☒بعد أن تخرج في كلية الحقوق في ١٩٥٠ عمل كمعاون نيابة في ١٩٥١ .

☒كان له دور بارز في إنشاء منظمة الشباب التي احتضنها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر .

☒كان له دور بارز أيضا في إنشاء التنظيم الطليعي الذي ألغاه الرئيس الراحل السادات

☒عمل مستشارا ثقافيا لمصر في واشنطن .

☒تولي وزارة الشباب .

☒تولي وزارة الإعلام (١٩٧٣ ـ ١٩٧٥) .

☒أول عربي يتم اختياره قاضيا في المحكمة الإدارية للبنك الدولي ثم صار رئيسا لهذه المحكمة .

☒يشغل حاليا موقع نائب رئيس المجلس القومي لحقوق الإنسان .

☒أستاذ القانون الدستوري بجامعة عين شمس .

☒ليس عضوا في أي حزب بما في ذلك الحزب الوطني .

ومن المسلم به أن الدكتور أحمد كمال أبو المجد من أبرز مثقفي مصر والوطن العربي ، وهو مثقف من طراز خاص فيمتلك المزيد من المعرفة المتنوعة ويتميز أسلوبه بالسلاسة والجاذبية ، وله تجربة طريفة عندما كان في محكمة بانجلترا ليدلي بشهادة قانونية كخبير قانوني في الشرق الأوسط ، وحيث أن الشاهد في مثل هذه القضايا يعصره محامو الطرفين عصرا ولمدة تصل إلى أربع ساعات وكان الجو حارا

جدا ، فطلب من القاضي : أن يدلي بشهادته من غير الجاكته ، فصمت القاضي لحظة ثم قال « لا مانع » فأسرع إلى خلع جاكتته ، واتضح أن الكثيرين من الحاضرين في الجلسة كانوا يعانون أيضا من الحر فأسرعوا إلى خلع جاكتتاتهم .

هذا ولأنه سياسي بمعني الكلمة فلم يركب موجة التصعيد ضد الجزائر بعد مباراة كرة القدم في الخرطوم وما أثيرت من حملات إعلامية جامحة أساءت للعلاقات بين البلدين ، وطالب هو باحتواء الأمر بأسرع ما يمكن .

☒ **من أقواله البليغة التي تحمل معاني كثيرة :**

- الحاكم قد يغفر لك كل شيء إذا كنت تتحدث « إليه » لكنه لا يغفر لك شيئا إذا كنت تتحدث « عنه » .
- تعاظمت الفجوة بين الشعب وحكومته ، ويقع اللوم على فريق الحكام ، والنخبة المثقفة .
- تعليقا على حالة الشماتة التي انتابت الجماهير التي كانت تشاهد الحريق الذي كاد أن يأتي على مجلس الشوري قال ان موقف الشامتين يعبر عنه بحكمة واضحة الشاعر الذي قال :

لا أزود الطير عن شجرٍ قد بلوت المر من ثمره !

- إن انتشار ظاهرة الحجاب تعبر عن ظاهرتين : أولاهما موجة التدين التي تسود المنطقة والعالم الإسلامي ، وثانيتهما أن الشعوب عندما تتوه تريد أن تثبت ذاتيتها من خلال شعار ما ، والحجاب هو شعار لهوية معينة .
- الحياة فيها شوق إلى قيم محددة .. قيم الاستقرار والأمن الحقيقي .
- القرآن والسنة لا يغنيان عن العقل والعمل .
- إلغاء الشريعة الإسلامية جنون ، والتدين المنتشر الآن تدين غير صحيح .

- التفسير الحرفي للقرآن الكريم خطأ ، والتقليل من اهمية الاجتهاد أخطر الأمور التي تواجه الأمة .
- لكي تعيش في سلام عليك أن تعرف أن من ليس ضدك فهو معك .
- إسرائيل دولة ديموقراطية في الداخل وعنصرية وتوسعية في المنطقة .
- أنا أعشق الموسيقي والرسم كما أحب صحبة الناس .
- لا أفرض الحجاب على أحد من أسرتي .. لكنني أفرض الاحتشام .
- علي بن أبي طالب القاضي الأول في الإسلام وتعجبني حكمته كما أنه لم يكن من المتجهمين .. بل كان يحب المزاح .
- أنا أؤمن بثلاثة محاور :

١. العقل واستخدامه استخداما منضبطا .

٢. الحرية وتمكين الناس من ممارستها حتى يسعدوا ويبدعوا .

٣. المحور الثالث في الترتيب والأول في الأهمية هو مراقبة الله سبحانه وتعالي وإدراك أن الله لا يريد منك شيئا وإنما يريدك أن تكون نعمة على عباده .

- الخوف ليس مهنتي .
- يسعدني أنني في حالة سلام دائمة وصفاء مع النفس ومع من حولي .
- بعض الوزراء من رجال الأعمال يستغلون مناصبهم وعلى المكابر في ذلك أن يصمت .
- رؤيتي « أمة في خطر » تعكس خوفي من المستقبل لأننا نعيش فعلا في خطر وتحد من الوجود الصهيوني وتحد من التخلف !
- إذا اختلطت السياسة بالقضاء ولو من بعيد فأهل البلد جميعا في خطر عظيم .
- لا بديل عن التحرر من الخوف حتى يمكن صناعة المستقبل .

- يجب أن يتم سن تشريع للقضاء على الفهلوة ، وإعطاء الفرصة الحقيقية للكفاءات بعيدا عن مفاهيم الواسطة والمحسوبية .
- أحذر من حالة البطء التي تسيطر على المجتمع بدعوى أن الدنيا مش حتطير ، لأنه من الحتمي مواكبة ما يحدث في العالم من تطورات .
- مجلس قيادة الثورة كان سلاحه الوطنية الحماسية مع غياب الخبرة السياسية .
- أنا رجل قانون ولا بد من وجود قانون مقنع وإذا اختلطت السياسة بالقضاء فالناس كلهم في خطر .
- ليس في الإسلام رجال دين يحكمون ، والاجتهاد يتجزأ ، ومعرفة المصالح تتنوع .
- الديمقراطية كنظام يضع القرار في يد الأغلبية مقبول في العقل .
- زمان كان المواطن يختار : يقول أو لا يقول ، أما الان فهو يختار : لمن يقول ؟
- أتباع الأنبياء في الدنيا عليهم التعاون لترشيد الإنسانية .
- مصر عندما قامت الثورة في ١٩٥٢ شارك في تنظيمها الداخلي عدد من رموز الإخوان المسلمين ، وحدث شد وجذب وقد أخطأ الضباط الأحرار وقيادات الإخوان تكتيكيا في التعامل مع بعضهم .
- هيبة القاضي ضمان للمتقاضين فلا بد أن يدخل المرء إلى القاضي وهو مطمئن لعدله .
- إذا ذهب « الفقر » إلى بلد قال له « الكفر » خذني معك !
- هناك مواطنون مصريون يعيشون عيشة الكلاب في العشوائيات والأماكن الفقيرة .

- الزيادة السكانية تمثل بعدا من أبعاد الفقر .

- ظاهرة انتشار الفساد الذي في ظله تقيد الحقوق والحريات ظاهرة لا يمكن تجاهلها .

■ ■ ■

الدكتور عاطف .. المتفائل دائما

[٧٨ عاما]

كنت أراه في نادي الصيد وهو يمارس رياضة المشي يوميا وقد بدت على ملامحه علامات الإرهاق والمرض ، وعندما عين وزيرا في عام ١٩٨٤ لم يتوقف عن ممارسة رياضته لكنني - مع أصدقائي - بدأنا نلاحظ أنه أكثر نشاطا وحيوية ، والمثير للانتباه أن هذا النشاط وتلك الحيوية زادا عندما اتسع مجال « سلطته » وصار رئيسا للوزراء في ١٩٩٩ ، حتى أن صديقا لي قال « يبدو أن الدكتور عاطف صار شابا ما شاء الله » وهكذا كان الدكتور عاطف عبيد - أطال الله عمره ومتعه بالصحة - نموذجا حيا للقاعدة العلمية التي تؤكد العلاقة بين « السلطة وطول العمر » ..

وقد ولد « عاطف » في إحدى قري مركز السنطة بمحافظة الغربية في ١٤/ ٤/ ١٩٣٢ وكانت أقصي آمال والديه أن يحصل على مؤهل جامعي ووظيفة محترمة ، وما أن شب عن الطوق واجتاز مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي بتفوق حتى وضع قدميه على طريق الحظ والطموح ، فبعد أن حصل على بكالوريوس التجارة في عام ١٩٥٢ (نفس العام الذي قامت فيه ثورة يوليو) استهواه التفوق الدراسي فحصل على الماجستير في عام ١٩٥٦ ثم درس بجامعة « إلينوى » الأمريكية مبعوثا على نفقة مصر ونال الدكتوراه ، وعمل أستاذا بجامعة القاهرة وفي جامعة بيروت ، وأثناء عمله الجامعي عمل مستشارًا لوزارات الكهرباء والصناعة والتعليم العالي والإسكان ، ومستشارا لمنظمة العمل الدولية لتطوير برامج الإدارة ، ومستشارا لمؤسسة الأهرام إلى جانب أنشطة ومواقع أخرى وضعته بالقرب من المناصب الأكبر ، وقد حدث ذلك فعلا وتحديدا في عام ١٩٨٤ عندما

أخبرته سكرتيرته بأنه تم تحديد موعد له لمقابلة رئيس الوزراء المكلف كمال حسن علي فقال لها : « دي ناس بتعمل مقالب ! » وعندما تكرر الاتصال طلب منها التأكد من مصدره ، وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها حيث عين وزيرا لشئون مجلس الوزراء ووزيرا للتنمية يعني تولي وزارتين في وقت واحد ، وكان عمره وقتئذ ٥٢ عاما ، ولم تستمر حكومة كمال حسن علي سوى سنة واحدة ، وشكل الدكتور علي لطفي الحكومة الجديدة ، واحتفظ الدكتور عاطف عبيد بموقعه الوزاري في كل التغييرات والتعديلات الوزارية إلى أن جاء عام ١٩٩٩ وتحققت المفاجأة الأكبر باختياره رئيسا للوزراء خلفا للدكتور كمال الجنزوري ، وكانت سعادته بتلقي الخبر تفوق الوصف ، ولأنه متفائل بطبعه فقد أسرف في التصريحات وإطلاق الوعود الوردية التي جعلت المواطنين يتوقعون من حكومته الكثير لكنهم اصطدموا بالواقع الذي لم يسمح بتنفيذ تلك الوعود البراقة ، فتعرض للنقد والاتهامات بفشل أسلوب الخصخصة وبيع شركات ومؤسسات القطاع العام ، وبعد أن كان يحظي بحب وتقدير طلبته عندما كان أستاذا بالجامعة وجد نفسه محاطا بمشاعر سلبية ظهرت بوضوح في الاستجوابات وطلبات الإحاطة التي انهالت عليه في مجلسي الشعب والشوري .

والطريف أنه لم يضق صدره أو ينزعج من الانتقادات التي انهالت عليه من صحف المعارضة وحتى الصحف الحكومية إذ أنه كان يقنع نفسه بأن كل ما يقال نقدا وتجريحا ليس إلا مثالا لما يفعله الطلبة الفاشلون الذين يعجزون عن اجتياز الاختبارات فيلقون المسئولية على أستاذ المادة مع أنهم هم الذين قصروا ولم يؤدوا ما عليهم !

وهكذا لم يفقد الدكتور عاطف عبيد طوال رئاسته للوزارة تفاؤله كما لم يفقد

ابتسامته الشهيرة حتى عندما كانت تنزلق على لسانه تصريحات لا تتفق مع الواقع أو الظرف الذي تمر به البلد وكان يؤمن بأن الوقت الذي يبذله في موقعه السياسي والتنفيذي والذي يصل إلى عشرين ساعة يوميا يكفي جدا ومن الظلم أن تضاف له أية منغصات مثل المظاهرات والاحتجاجات ، خاصة أنه بطبيعته يميل دائما إلى البعد عن التوتر حتى أنه لا يكاد ينتبه إلى الخطر الذي يحيط به إلا عندما ينبهه الآخرون ، ولذلك كان قرار الرئيس بحل حكومته واستبدالها بالحكومة التي تولي رئاستها الدكتور أحمد نظيف مفاجئا له تماما ، وإن كان قد تم تعويضه بتعيينه رئيسا للمصرف العربي الدولي بمرتب شهري يتجاوز نصف مليون جنيه كما أنه لم ينعزل عن المجتمع والسياسة ، وظل موضع اهتمام الرئاسة بعكس ما حدث مع الدكتور كمال الجنزوري ، ولأن موقعه الجديد في البنك الكبير يعتبر امتدادا لممارسة السلطة فإنه لم يفقد ابتسامته وتفاؤله وحيويته وما زال يحافظ على أسلوب حياته حيث يقوم مبكرا من النوم في السادسة والنصف صباحا ويذهب إلى نادي الجزيرة ليمارس لعبة الكروكية التي يعشقها على مدي أكثر من أربعين عاما أي بعد عودته مباشرة من الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٦٥ وهو يكتفي باللعب لمدة ساعة يوميا يمشي خلالها أربعة كيلومترات ، وهذه الساعة - كما يقول - تتيح له فرصة خلو الذهن من مسائل والتزامات العمل اليومي .

ولعل أهم ما ذكره حول المنصب الوزاري أنه يحقق لصاحبه « السعادة » مهما كانت المسئوليات ثقيلة ومن تحصيل الحاصل أن تقول إن « السعادة » ترتبط بالصحة الجيدة ، كما ترتبط الصحة بالعمر .

ومن أقواله :

- لم أفكر ولم أتوقع أن أصبح وزيرا في يوم من الأيام .

- صندوق النقد يتلقي تعليماته من السفير الأمريكي بالقاهرة !
- البنك الدولي اشترط تسعير المياه لتمويل المشروعات وقال لي الرئيس « إياكم أسمع حاجة عن هذا الموضوع » .
- عبد اللطيف الحمد رئيس الصندوق العربي للإنماء قال : « فليذهب البنك الدولي إلى الجحيم ، وسأوفر لكم التمويل في الحال » .
- الدكتور عاطف صدقي سألني عن ظاهرة شركات توظيف الأموال فقلت له : « هذه تجارة أساسها النصب » .
- مصر كانت مهددة في عام ١٩٨٤ بقطع المعونات ووقف توريد القمح بسبب أزمة الاحتياطي النقدي ، ولم يكن لدينا نصف مليون دولار لسداد قسط قمح للولايات المتحدة وقتها .
- انتشرت تجارة الشنطة في ظل الانفتاح وقفزت أسعار العقارات ولم يقبل أحد على إقامة المصانع أو الشركات المنتجة .
- رجال القوات المسلحة قادوا التنمية في الحياة المدنية وأسسوا مركز المعلومات وجهاز شئون البيئة ومركز إعداد القادة ، وأعادوا هيكلة أمانة مجلس الوزراء .
- بناء القوة العسكرية وتنميتها يعتمد على الاقتصاد القومي .
- قوة الردع المانعة للعدوان بوليصة تأمين لجميع الاستثمارات .
- سالت دموعي بغزارة ثلاث مرات في المرة الأولي كانت في ٦٧ حزناً على الهزيمة والنكسة - في الثانية ٧٣ كانت فرحا بالنصر - وفي ٢٠٠٩ كانت من ألم الجحود الذي لا قيته .
- حرب أكتوبر شرعية لا تموت .

- رجال أعمال كبار أساءوا للبلد وهاجموا مناخ الاستثمار أمام سفارات ومؤسسات دولية وشخصيات أجنبية كبيرة وأيضا في حضوري ، وكان ردي عليهم : « الثروة التي في أيديكم تحققت في المناخ الذي تهاجمونه » .
- بعض رجال الأعمال أجروا تصالات بمسئولين في صندوق النقد الدولي وقالوا لهم أن الحكومة حررت سعر الصرف شكلا فقط ! .
- أصحاب المصالح من رجال الأعمال جمعوا الدولارات في أجولة وحولوها إلى الخارج .
- بعض رجال الأعمال سعوا لإحراج الحكومة ودفعها إلي التراجع عن تحرير سعر الصرف .
- اخترت الدكتور فاروق العقدة محافظ للبنك المركزي لأنه من أكفأ وأخلص القيادات المصرفية ولديه قدرة على مواجهة التحدي .
- قلت لرؤساء البنوك : « إذا قال لكم رجل أعمال (أنا جاي من طرف رئيس الوزراء أو غيره) .. أطردوه ! » .
- أذكر أن الرئيس قال لمحافظ البنك المركزي : « إحتفظ برقم الاحتياطي النقدي في جيبك لترد على في أي وقت » .
- لا بد من استكمال مشروع تعميق التصنيع المحلي في مختلف القطاعات .

■ ■ ■

رجل المهمات الصعبة

قال عنه عبد الناصر
« إنه يستحق أن يصنع له تمثال من ذهب »
[٩٣ عاما ... ما شاء الله]

إنه الدكتور حسن عباس زكي الذي ساهم بقسط وافر في صنع أخطر القرارات الاقتصادية مثل التمصير ، وإنشاء القطاع العام والتحول الاشتراكي وكان هو الوزير الذي صدر في عهده قانون التأميم .. والمثير أن اسمه كان في مقدمة من تم تأميم ممتلكاتهم . ويسجل التاريخ أنه هو الذي أقنع الزعيم الراحل عبد الناصر بتطبيق فكرة الاقتصاد الإسلامي في البنوك ... والحديث يطول عن الدكتور أحمد عباس زكي العالم البارز في دنيا الاقتصاد والمال ، وأصغر من تولي الوزارة في عهد عبد الناصر ليكون نموذجا في الفكر الراجح والعطاء الوفير حتى قال عنه عبد الناصر : « إنه يستحق أن يصنع له تمثال من الذهب» ، ثم هو أيضا من أبرز علماء التصوف والعلاج بالقرآن الكريم ، إلى جانب ما يتمتع به من ثقافة عريضة بمفهومها العلمي الواسع حتى أن مكتبته تضم عشرات الآلاف من الكتب أهدى منها ثلاثة عشر ألف كتاب لدار الكتب ، ومثلها إلى المكتبة التي يضمها البرج الإداري للدكتور حسن راتب ، ولكي نتناول ذلك كله بالتفصيل فإننا نحتاج إلى مئات وآلاف الصفحات »، ومن ثم فإننا في إطار المساحة الممكنة للتحدث عنه نكتفي بهذه النقاط :

- ولد الدكتور حسن عباس زكي في ٢ يناير من عام ١٩١٧ .
- تخرج من كلية التجارة بجامعة القاهرة في عام ١٩٣٨ .

- حصل على دراسات عليا من الجامعة الأمريكية بواشنطن في عام ١٩٥٣.
- عمل مندوبا للحكومة في بورصة القطن خلال الفترة من ٥٤ ـ ١٩٥٦ .
- عين مديرا عاما للنقد في عام ١٩٥٧ .
- صار عضوا بمجلس الشعب في عام ١٩٥٧ .
- نتيجة لإنجازاته الكبيرة كوكيل لوزارة المالية والاقتصاد خاصة في عمليات التمصير ، ونقل ملكية البنوك والشركات الأجنبية لمصر وإداراتها بنجاح ، اختاره الرئيس عبد الناصر ليكون أول وزير للخزانة في عام ١٩٥٧ .
- بعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا في عام ١٩٥٨ تم اختياره وزيرا للاقتصاد والتجارة في مصر (الإقليم الجنوبي وقتئذ) ، ونظرا لثقة عبد الناصر فيه كان يختاره بنفسه لتولي وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية كلما تم تشكيل جديد لمجلس الوزراء ولعلنا نقول إن ثقة عبد الناصر فيه لم تكن مقصورة على أدائه فقط حيث كان يهتم بالاستماع إلى آرائه في مختلف القضايا واثقا مما يقوله لأنه كان يقول رأيه بصراحة وموضوعية نابعة من مجرد من الهوي والأغراض الشخصية .
- ظل رئيسا للجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب من ١٩٥٧ حتى عام ١٩٧٠ .
- في عام ١٩٧٢ انتقل إلى الخارج حيث عمل مستشارا لرئيس دولة الإمارات في الفترة من ١٩٧٢ حتى ١٩٨٥ وعمل في الوقت نفسه نائبا لرئيس صندوق أبو ظبي للإنماء الاقتصادي العربي .
- ويتواصل عطاء الدكتور حسن عباس زكي فيشغل الآن موقع رئيس مجلس إدارة الشركة المصرفية الدولية منذ عام ١٩٧٣ إلى جانب عضويته في مجالس إدارات عدد من البنوك ، كما يرأس المجلس الأعلى لجمعية الشبان المسلمين العالمية ، والمركز

العالمي للتوثيق والتربية الإسلامية ، بالإضافة إلى رئاسته لعدد من الجمعيات الخيرية ، ورئاسته لرابطة أبناء المالية .

من جهة أخرى صدرت له عدة مؤلفات وبحوث منها : « نحو تنمية المجتمع العربي - انسياب الأموال العربية في الخارج - خلق أدوات إئتمان إسلامية - طريق الغد - لمحات على طريق التطور الاقتصادي في مصر - استثمار الأموال العربية في الخارج - التحديات الاقتصادية - العولمة - الخصخصة - اتفاقية الجات » .

☒ **أوسمة على صدره : - حصل الدكتور حسن عباس زكي على :**

- وسام الجمهورية من الدرجة الأولى .
- وسام النيلين من السودان من الدرجة الأولى
- وسام يوغسلافيا الثالث .
- وسام رومانيا .
- وسام الكونغو فاس .
- وسام اليونان .
- وسام الصومال .

☒ **من أقواله :**

- لا بديل عن وجود القطاع العام إلى جانب القطاع الخاص وتكفي الإشارة إلى أن بعض المجموعات الاقتصادية كمجموعة النمور الآسيوية تعتمد بنسبة تصل إلى ٨٠٪ على القطاع العام .
- أصبحت البورصة متقدمة جداً على المستوى الفني وهي توفر معلومات كافية عن الشركات .

- على المستثمر الصغير أن يستفيد من صناديق الاستثمار التي أنشأتها البنوك .

☒ صورة لا ينساها ولا تفارق مخيلته :

يتذكر مراحل الوحدة التي ألحت على قيامها القيادة السورية برئاسة شكري القوتلي ، وعدد كبير من القادة العسكريين الذين جاءوا إلى مصر طالبين الوحدة ورافضين أن يعودوا إلى سوريا إلا بعد أن يعلن عبد الناصر موافقته عليها ، وقد ظل هؤلاء الضباط مقيمين في مصر فيما يشبه الاعتصام لأن عبد الناصر كان يرى أن الظروف ليست مواتية لهذه الوحدة .

ويقول الدكتور حسن عباس زكي :

«في مرحلة المباحثات التمهيدية التي سبقت إعلان الوحدة سافرت مع عبد الناصر إلى دمشق ، وما كادت أقدامنا تطأ أرض المطار حتى فوجئنا بما لا يتصوره عقل ، فقد تجمع ملايين السوريين - وهذا الرقم ليس فيه أي مبالغة - في شوارع دمشق ليكونوا في استقبال عبد الناصر والوفد المرافق له ، وكان هذا المنظر من الصور التي لم تفارق مخيلتي حتى الآن فقد رأيت ما لم يتخيله عقل خاصة ذلك المشهد الذي رأيت فيه السيدات والفتيات السوريات وهن يلقين بحليهن الذهبية تحت أقدام عبد الناصر ليمشي عليها ، وإنهالت علينا الأساور والحلقان والعقود والحلي من كل جانب حتى أمتلأت الأرض تحت أقدامنا بالذهب» .

كما قلت يحتاج الحديث عن الدكتور حسن عباس زكي لآلاف الصفحات وعشرات الكتب ، لكن ما ذكرته على أي حال قد يلقي بعض الضوء على هذه الشخصية الثرية فكرا وعطاء متواصلا ، وإن كنت قد أوضحت في مقدمة الكتاب ما يربط بين السلطة وطول العمر ، فلعلني أضيف أن الأمر بالنسبة للدكتور حسن عباس زكي - أطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية - يتمتع - إلى جانب ما توفره

السلطة من عناصر ومقومات ـ بصفات خاصة به لا يمكن تجاوزها ، وهي صفاء الذهن والروح والنظام الدقيق الذي يتبعه في حياته ، وكذلك الجانب الصوفي في شخصيته وما يوفره من سمو الروح ونقاء السريره .

■ ■ ■

الثعلب !!

[٧٨ عاما]

تحفظت كثيرا في اختيار الصفة التي تنطبق عليه ، بل ترددت فعلا في الإشارة إليه بهذه الصفة ، لكنني وجدتني أستعيد تجربتي معه عندما تم انتخابي عضوا بمجلس الشعب في عام ٢٠٠٠ ، وسرعان ما أطلت على صورته في مختلف المواقف المتباينة وهو يخوضها بمرونة مذهلة ، ومقدرة على امتصاص غضب أشرس أعضاء المعارضة ، حتى أنني وجدت عددا من أقطابهم يترددون على غرفته المجاورة لقاعة الجلسات ويشتركون معه في الأحاديث التي تنتهي أحيانا بتعبيرات أو بسمات قبولا واستحسانا لآرائه وحكاياته ، والمدهش أن بعضهم كان بعد تلك اللقاءات معه ، يخرجون وهم يخبطون كفا بكف لأنهم لا يعرفون إن كان معهم (في مواقفهم) أو ضدهم !! .

وكم كان يدهشني أثناء الجلسات عندما يرفض بلهجة حادة موقفا أو رأيا لأحد النواب ويقول إنه سيخرجه من الجلسة وسيحوله إلى لجنة القيم ، لكنه لا ينفذ تهديده ، ويقول له مبتسما : « إعتبر دا إنذار .. ويأأخي راعي ألفاظك وأنت بتتكلم .. أنت نائب محترم ولا يليق بك هذا الإنفعال !! » .. وهكذا ينتهي الموقف بسلام ، وربما نري هذا العضو وهو يصفق له ! وأنا لا أنسي تصويت أعضاء المعارضة لصالحه للمجلس (مع نواب الوطني) في بداية كل انعقاد لدور تشريعي جديد ! هذا رغم انتمائه القوي للحزب الوطني .

هو إذن وبحق ثعلب و« داهية » فعلا ، تساعده في ذلك ملامحه المتمثلة في وجه طفولي بريء جداً ، والذي يخفي وراءه أكثر من قناع يظهر في لحظة الغضب أو

المناورة ، كما أنه يتمتع بخفة ظل ، وسرعة بديهة ، وثقافة تفتح له أبواب الخروج من أي مأزق يدفعه إليه محاور صحفي أو إذاعي أو تليفزيوني حتى أن أي صحفي لا يستطيع الخروج من حواره معه إلا بالقدر الذي يسمح هو به ، وإذا كان أحد المعارضين قد وصفه بإنه (حسين رياض) الفنان الذي يقوم كثيراً بدور الرجل الطيب البسيط رغم أنه يخفي وراء ذلك قناعا شخصيا مغايرا تماما ، لكن ذلك لا ينفي إطلاقا قدرته المذهلة في ممارسة اللعبة السياسية بشكل احترافي واضح ومن ثم يجيد تماما لعبة التوازنات والإمساك بالحبل من طرفيه لأنه يدرك تماما أين مواضيع الإثارة وكيفية التعامل معها .

إنه إذن لا يحتاج للتعريف الآن ، فهذه الصفات كلها تعلن أننا نتحدث عن صاحب الرقم القياسي في البقاء على منصة مجلس الشعب رئيسا لأكثر من ٢٠ سنة ، الدكتور فتحي سرور الذي تصدر فعلا قائمة أطول رؤساء مجلس الشعب بقاء في موقعه بين أكثر من عشرين رئيسا شغلوا هذا الموقع خلال مائة عام حيث بدأ البرلمان المصري مشواره في عام ١٩٠٩ ، وبدأ الدكتور سرور مسيرته كرئيس لهذا البرلمان في عام ١٩٩٠ حتى عام ٢٠٠٩ وقد يضيف سنوات أخرى في دورة جديدة ! .. ومثلما نال مدح وثناء وإشادة الكثيرين ، تعرض أيضا لبعض الانتقادات مثل وصفه بأنه « زعيم ترزية القوانين » الذين يفصلون القوانين التي يحتاجها النظام خاصة وأنه يعتمد على ثقافته القانونية الواسعة كأحد أبرز علماء القانون في تفسير وتبرير أية معضلة قانونية .

☒ لغة الأرقام والتواريخ

- السيرة الذاتية :

✓ الدكتور أحمد فتحي سرور .

✓ مواليد ٩ يوليو ١٩٣٢ ، برج السرطان الذي يكون من ينتمي إليه ـ غالبا ـ رجلا ذكيا وحريصا ، وهادئا وبشوشا ، وإن كان الدكتور سرور يفضل أن تضاف إلى تلك الصفات : « الدقة في تقدير الأمور ، والعقلانية والقدرة على تجاوز الانفعال السريع » .

❊ الدرجات العلمية :

✓ ليسانس الحقوق ـ جامعة القاهرة ١٩٥٣ .

✓ الماجستير في القانون المقارن ـ جامعة ميتشجن ـ بأمريكا .

✓ الدكتوراه في الحقوق ـ جامعة القاهرة ١٩٥٩ .

❊ الدرجات الفخرية :

✓ الدكتوراه الفخرية في العلوم السياسية ـ جامعة كونستانيتينا ـ أمريكا ٢٠٠١ .

✓ الدكتوراه في القانون ـ جامعة بولونيا ـ إيطاليا ٢٠٠٢ .

❊ الجوائز العلمية :

✓ جائزة الدولة التشجيعية في القانون الجنائي ١٩٦٣ .

✓ جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية ١٩٩٣ .

❊ التدرج القضائي :

✓ معاون نيابة عامة ١٩٥٣ .

✓ مساعد نيابة عامة ١٩٥٤ .

✓ وكيل نيابة عامة من الفئة الممتازة (١٩٥٨ ـ ١٩٥٩) .

❊ التدرج الجامعي :

- ✓ مدرس بقسم القانون الجنائي ـ حقوق القاهرة ١٩٥٩ .
- ✓ رئيس قسم القانون الجنائي (١٩٧٨ ـ ١٩٨٣) .
- ✓ عميد حقوق القاهرة (١٩٨٣ ـ ١٩٨٥) .
- ✓ نائب رئيس جامعة القاهرة (١٩٨٥ ـ ١٩٨٦) .

*** التدرج السياسي :**

- ✓ وزير التعليم (١٩٨٦ ـ ١٩٩٠) .
- ✓ ورئيس مجلس الشعب (١٩٩٠ ـ حتى الآن) .

*** خبرات مهنية وعلمية :**

- ✓ محام لدي محكمة النقض .
- ✓ ملحق ثقافي في سويسرا .
- ✓ مستشار ثقافي في فرنسا .
- ✓ مندوب دائم لجامعة الدول العربية في اليونسكو .
- ✓ نائب رئيس المجلس التنفيذي لليونسكو .
- ✓ نائب رئيس المجلس الدولي للتربية .
- ✓ رئيس الاتحاد البرلماني الإفريقي .
- ✓ رئيس الاتحاد البرلماني العربي .
- ✓ رئيس مؤتمر رؤساء برلمان الدول الأورومتوسطية .
- ✓ رئيس الجمعية البرلمانية الأورومتوسطية .
- ✓ رئيس مجلس إدارة المعهد الدولي للقانون ـ فرنسا .

- ✓ عضو المجلس العلمي .
- ✓ رئيس اتحاد الحقوقيين المصرية .

*** الأوسمة :**

- ✓ وسام العلوم والفنون ـ الطبقة الأولي ـ مصر .
- ✓ وسام النيليين ـ السودان .
- ✓ وسام الكوكبة ـ طبقة ضابط عظيم ـ فرنسا .
- ✓ وسام الحمالة الكبري للعرش العلوي ـ المغرب .

*** الإصدارات العلمية :**

- ✓ نظرية البطلان في قانون الإجراءات الجنائية .
- ✓ الجرائم الغربية .
- ✓ الجرائم المضرة بالمصلحة العامة .
- ✓ الاختبار القضائي .
- ✓ الوسيط في شرح قانون العقوبات .
- ✓ أصول قانون الإجراءات الجنائية .
- ✓ الوسيط في الإجراءات الجنائية .
- ✓ السياسة الجنائية .
- ✓ الشرعية والإجراءات الجنائية .
- ✓ الوسيط من قانون العقوبات .
- ✓ الإستراتيجية الدستورية وحقوق الإنسان .

- ✓ الشرعية الدستورية وحقوق الإنسان .
- ✓ الدبلوماسية البرلمانية والتعاون الدولي .
- ✓ الحماية الدستورية للحقوق .
- ✓ القانون الجنائي الدستوري .
- ✓ النقض الجنائي .
- ✓ المواجهة القانونية للإرهاب .
- ✓ العالم الجديد بين الاقتصاد والسياسة والقانون .
- ✓ مجموعة كتب بالإنجليزية والفرنسية .
- ✓ مجموعة من الأبحاث العلمية .
- ✓ مجموعة من المقالات المنشورة .

*** إنجازات عندما كان مندوبا لجامعة الدول العربية لدي اليونسكو :**

- ✓ إدخال اللغة العربية كلغة عمل .
- ✓ مراكز إقليمية في الدول العربية .

*** إنجازات عندما كان وزيرا للتربية والتعليم :**

- ✓ استراتيجية تطوير التعليم .
- ✓ معاهد تكنولوجية عالمية .
- ✓ كليات للتعليم الصناعي .
- ✓ تطوير كليات الهندسة .
- ✓ تطوير المدارس الصناعية .

- ✓ الكمبيوتر في المدارس .
- ✓ تطوير المناهج .
- ✓ المساعدة في إنشاء مكتبة الإسكندرية .
- ✓ المدارس التجريبية الرياضية .
- ✓ الشبكة المؤمنة للمعلومات .
- ✓ التعليم المفتوح .

*** خبرات وإنجازت برلمانية :**

- ✓ رأس الاتحاد البرلماني الدولي لمدة ٦ سنوات .
- ✓ رأس اتحاد البرلمانات الإفريقية .
- ✓ رأس الاتحاد الأورومتوسطي .
- ✓ رأس الاتحاد الإسلامي العربي .
- ✓ أنشاء لجنة حقوق الإنسان .
- ✓ رأس لجنة النيباد .
- ✓ أصدر موسوعة مبارك للتشريعات .
- ✓ شارك في تأسس المنتدي البرلماني لدول حوض النيل .
- ✓ أنشأ مركز للمعلومات بمجلس الشعب .
- ✓ مركز للبحوث البرلمانية .
- ✓ أصدار مجلة المجلس .

☒ **من أقواله :**

- فشخرة بعض رجال الأعمال تشكك في وجود جرائم تجارة مخدرات وسلاح .
- لم أهاجم المعارضة وإنما قلت انها تحتاج لفصول تقوية .
- المستقبل قنبلة موقوتة .
- الأداء الفردي لبعض نواب الإخوان كان قويا وموضوعيا .
- أهم مهام رئيس البرلمان هي حماية المعارضة داخل البرلمان وإعطاؤها الحق في الكلام .
- تداول السلطة لا يكون إلا بين الأحزاب ، لذلك فإن معارضة المستقلين غير مجدية .
- لا أحب التخلص من المنفلتين من نواب المعارضة لأنهم مثل التين الشوكي طعمه لذيذ رغم الشوك !
- الخلط بين السياسة والدين يفسدهما معا .
- من الحتمي وجود قيادة حزبية تقود المعارضة داخل البرلمان لأن المستقلين زاد عددهم عن نواب المعارضة الحزبية وقد استحال عليهم قيادة المعارضة في المجلس .
- عدم تجانس المعارضة ، وتفتتها أخل بصورة النظام السياسي في المجلس .
- كله بالقانون !
- لم أتهرب من الخدمة العسكرية ، ولكن لم يصبني الدور .
- أصحح أوراق إجابات طلابي بنفسي حتى الآن .
- أرفض تشجيع السياحة بالرقص الخليع .

- توجد أمية قانونية رغم كثرة عدد خريجي الحقوق .
- الأقباط ليسوا أقلية أو ضعفاء ، واهتمامهم بالحياة العلمية والاقتصادية وراء عزوفهم عن الترشح للبرلمان .
- تبادل الشتائم سوء استخدام للديموقراطية .
- القوانين المصرية قادرة على مواجهة الظواهر الإجرامية القادمة من الغرب .
- أعترف بوجود تقصير في متابعة أعمال الحكومة نتيجة ضعف دور بعض اللجان .
- الاستقلال المالي والإداري والفكري للجامعات طوق النجاة لإصلاح التعليم .
- المؤسسات السياسية مطالبة بالتزام الصراحة والشفافية لأن الغموض ينشر الشائعات .

■ ■ ■

الداهية ... أخطر دماغ !!

[٧٧ عاما]

أعتقد أن كثيرين ممن سيلفت نظرهم هذا العنوان ، سوف تتجه أبصارهم على الفور نحوه لأنه بالفعل أخطر رجل في مصر ولأنه ببساطة أذكي معاوني الرئيس مبارك ، وهو - بالتأكيد - مهندس الأدوار الخفية ، وهو - بالتأكيد - جدير بأن تنهال عليه الألقاب والتعريفات فهو أكبر دماغ ، وهو « الصامد المرن » وهو « الرجل الحديدي » وهو « عين الرئيس » و « حارس النظام » ، وهو « رجل السلطة » و«رمانة الميزان » في الحزب الوطني وأهم عناصر التوازن فيه لأنه بطريقته الناعمة العميقة كفيل بضبط المعادلات المرشحة للتصادم داخل النظام والتي كان من الممكن أن تؤدي إلى انفلات سياسي لا تحمد عقباه ، ولعلني - من خلال تعاملي معه مباشرة أثناء توليه وزارة الإعلام على مدي أكثر من عشرين عاما - كنت ألاحظ وأتأمل دائما مواقفه ، وأسلوب تناوله لأعقد الأمور ، ويقظته التي تجعلك تتصور أن لديه الآلاف من قرون الاستشعار التي يستكشف بها الاتجاهات والأبعاد والخلفيات فيتحرك على الفور وبطريقته الخاصة لمواجهة ما يري فيه خطرا عليه أو على الحزب أو النظام بصفة عامة.

كما أن صفوت الشريف نموذج فريد في استثمار إمكانيات العاملين معه وتوظيفها في الاتجاه الصحيح المفيد ، وأشهد أنه كان صاحب قرارات اختياري لمختلف المواقع الإذاعية وصولا إلى رئاسة الإذاعة ثم موقع أمين عام مهرجان القاهرة للإذاعة والتليفزيون ، وأمين إعلام القاهرة ، وذلك دون أن أسعي - بأي شكل - إلى هذه المناصب ، والمهم على أي حال أن هذه المناصب والمواقع قد أتاحت

لي فرصة التعرف عن قرب على سمات شخصية الرجل « الأخطر » و « الأذكي » و« الأكثر يقظة ومثابرة » وقدرة على تجاوز الصعاب والعقبات والمطبات التي تعترض طريقه فيخرج منها سليما معافي بل أكثر قوة وحضورا ، مثال ذلك ما حدث عند خروجه المفاجيء من معقله المفضل « وزارة الإعلام » وأذكر أنني سألته ذات مرة عن إشاعة راجت حول توليه رئاسة الوزارة فقال لي : إنه لا بديل عنده لوزارة الإعلام .

وهكذا فإن ابتعاده عن منصبه الأثير لم يؤد إلى تراجع وتقلص أسهمه ومكانته كما توقع البعض ، فقد نقل بأسرع ما يمكن « مجلس الشورى » من مرحلة السبات العميق والكمون وخفوت الصوت والدور ، إلى مرحلة تعج بالنشاط والحيوية ، حتى عندما تعرض مبني مجلس الشورى للحريق أشرف بطريقته على تجديده وحوله إلى مناسبة تجسد نشاطه وتحركه وتخطيطه ، ثم حقق نفس النتيجة تقريبا عندما صار الرجل الثاني في الحزب الوطني - بعد الرئيس - كأمين عام للحزب ، فقد أضاف للموقع من نشاطه وتصريحاته الكثير رغم أن البعض توقعوا أن يناله ما نال الحرس القديم من ضعف أو استبعاد كما حدث لكمال الشاذلي ويوسف والي ، ولكنه وقد استوعب تماما كل ما يحيط بموقعه الحزبي ، نجح في أن يكتسب ثقة الجميع حتى ممن تشككوا فيه أو تربصوا به من الحرس الجديد ! .

وبنفس المقدرة أدار ويدير معركة الأحزاب ومعركة الصحافة وعندما آل إليه موقع رئيس المجلس الأعلى للصحافة كرئيس لمجلس الشورى ، فأحدث تغييرات مدوية في إدارات الصحف القومية التي كان رؤساؤها يعتقدون أنهم باقون في مناصبهم إلى الأبد ، لكنه أدار الخطة بذكائه وقدرته على إخفاء مشاعره ونواياه حتى أن رئيس الأهرام « إبراهيم نافع » كاد ينفجر غيظا عندما قابله بابتسامته الودود

عقب خروجه أو إخراجه من مملكته بالأهرام ، ويبدو أن إبراهيم نافع لم يكن يدرك أن صفوت الشريف يفعل ما يريد بهدوء ويضرب وهو يبتسم !! وقد تجلت هذه القدرات عند الرجل الخطير في تعامله مع « أحزاب المعارضة » ويكفي مثلا أنه نجح بأسلوبه في احتواء الغالبية العظمي من قيادات المعارضة ودمجهم في مسيرة التأييد أو التفهم للنظام ، حتى أنهم لم تصدمهم تفسيراته وتبريراته للمواقف والقرارات المتناقضة مثلما حدث بالنسبة لتعديل المادة ٧٦ من الدستور (ما بين رفض أي مساس بالدستور قبل التلميح لإمكانية التعديل ثم العودة إلى أهمية إجراء هذا المساس بالتعديلات المعروفة) .

وهكذا نجد أنه حتى معظم المعارضين يشهدون بذكائه وخبراته رغم أنهم مختلفون مع توجهاته ، ولذلك لم يخطىء كاتب معروف عندما قال : « ان صفوت الشريف لا يمكن الاستغناء عنه ، يرحل الحرس القديم ويأتي الجديد وهو باق .. بل يصبح صلة الوصل بين الرئيس .. والحرس الجديد .. لذلك يحبه الرئيس وأيضا يحتاجه !! » بل ان المواقف والأحداث والتطورات المختلفة أثبتت على الأقل داخل النظام أن الجميع في حاجة ماسة لمهاراته وقدراته .

واللافت للنظر أنه يقول في حوار صحفي : « إنني لم أطمع في أي منصب طوال حياتي وأنا رجل يندهش الناس من بساطته وصراحته » ، ثم أضاف « إنه حين يتحدث يذكر الحقائق التي لا يملك أحد أن يكذبها » ، ومن أمثلة تحركه اليقظ أنه يسارع إلى الرد على أي انتقاد يتعرض له من الصحف أو أي وسيلة إعلامية مهما كانت الإتهامات الموجهة إليه ، وبهدوء بالغ يتصل بمن ينتقده ويؤكد له أنه يؤمن بحرية الرأي ثم يرد بطريقته وذكائه على ما ذكره عنه ! .

وهكذا وبهذه السمات الشخصية المميزة احتفظ بمكانته إلى جانب الرئيس مبارك

طوال ثمانية وعشرين عاما قابلة للامتداد ويري البعض أنه يستحق درجة الدكتوراه في شخصية الرئيس !! حيث يكاد ينفرد بالقدرة على فك شفرة الرئيس ، وبهذه العلاقة حصل على الدعم الكامل في تحقيق طموحاته وأفكاره لوزارة الإعلام فأطلق العديد من القنوات الفضائية الرئيسية والإقليمية ، وأنشأ مدينة الإنتاج الإعلامي ، وأطلق القمر الصناعي (نايلسات) الأول والثاني ، ليصبح قائما على أمبراطورية إعلامية كبيرة ، هذا وبنفس الدعم الذي يحظي به انتزع لمجلس الشورى دورا برلمانيا جديدا فلم يعد مجرد ديكور للعمل البرلماني.

أرقام وتواريخ :

- ولد صفوت الشريف في ١٩/ ١٢/ ١٩٣٣ بمدينة زفتى بمحافظة الغربية .

- حصل على بكالوريوس العلوم العسكرية وعمل في مستهل حياته بالمخابرات العامة وحول هذه الخلفية العسكرية في شخصيته قال : « أنا يسعدني ودائما أعتز بأنني في الأصل من المدرسة العسكرية لكنني لم أستمر فيها لمدة طويلة .. يعني حياتي في العمل العام ، والعمل المدني والعمل السياسي والإعلامي هي أطول بكثير » .

- تلقي دراسات ودورات متخصصة في مجال الإعلام والاتصال والرأي العام والأمن القومي في انجلترا وألمانيا .

- عين رئيسا للهيئة العامة للاستعلامات في الفترة من ١٩٧٨ حتى ١٩٨٠ .

- عين رئيسا لمجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون في عام ١٩٨٠ .

- صار وزير الإعلام في ٣/ ١/ ١٩٨٢ واستمر حتى عام ٢٠٠٤ (حقق رقما قياسيا في تاريخ وزارة الإعلام حيث ظل في موقعه لأكثر من ٢٢ عاما) ، وبني امبراطورية إعلامية ضخمة تمثلت في إطلاق القنوات والإذاعات المحلية ، والقمر الصناعي نايلسات ، ومدينة الإنتاج الإعلامي .

- تولي منصب الأمين العام المساعد للحزب الوطني في عام ١٩٨٢ .

- صار رئيس مجلس الشورى منذعام ٢٠٠٤ .

- بالتبعية صار رئيس المجلس الأعلى للصحافة في نفس العام ٢٠٠٤ .

من أقواله :

- مصر تعيش أزهي عصور الديمقراطية .

- من حق المواطن أن يعلم ، وأن يُعلم عنه .

- مصر صاحبة الريادة الإعلامية .

- لا يمكن لأحد أن يتجاهل الدور المحورى لمصر .

- الحزب الوطني يضم بعض الفاسدين والمفروض أن يقوم الحزب بتطهير نفسه !

- أمانة السياسات هي عقل وقلب الحزب الوطني .

- نشد على عضد رجال الأعمال ونساندهم .

- الفوضي الخلاقة لها مريدون في الداخل والخارج .

- رجال الأعمال جزء من الاقتصاد ومن الخطورة التقليل من شأنهم .

- رجال الأعمال يتحملون وحدهم تنفيذ سبعين في المائة من مشروعات الخطة ويتيحون فرص العمل ، ويشاركون في إنشاء المستشفيات وتطوير العشوائيات .

- الأولوية للسوق الإفريقي .. هذا ما يجب التأكيد عليه .

- سوف يشعر الناس بثمار قانون التأمين الصحي الذي ينقلهم إلى علاج متقدم .

- حرية الرأي أتاحت للكبير والصغير الفرصة للتعبير عن احتياجات المجتمع .

- الحزب لا يمكن أن يكون حزبا إلا بعد أن يتحول فكره من خلال حكومته إلى التنفيذ فيصبح واقعا .

- اللعبة الديمقراطية تقول ان الحزب الذي يحول برنامجه الانتخابي إلى واقع هو الذي يفوز في الانتخابات .

- ليست لي أظافر أخربش بها (!!!) .

- أمن مصر خط أحمر لا نقبل الاقتراب منه.

- وجودنا في حوض النيل للحيلولة دون وجود ثغرة ينفذ منها الآخرون ليتلاعبوا بالاتفاقيات .

- البرنامج الانتخابي يصبح ملكا وحقا لكل لمصريين .

- قري مصر في حاجة إلى كاميرات أمينة لتنقل درجة تطورها .

- يجب تحقيق التوازن بين أن تساند الدولة رجال الأعمال لمصلحة الوطن وبين طمأنة المواطنين وإزالة مخاوفهم من عودة رأس المال إلى التأثير في القرار السياسي .

- الوطن ملك لكل المقيمين على أرضه ، واستقراره وأمنه الاجتماعي والسياسي لا يتحقق إلا بأن يقوم كل فرد بدوره ويتحمل مسئوليته .

دفة القيادة في يد قائد الأمة وزعيمها الرئيس مبارك ونحن نرفض أي دعاوى للالتفاف حول الشرعية الدستورية أو الوصاية على الأمة .

- من قال أن هناك مرشحا غير الرئيس .. الرئيس من حقه أن يتقدم للترشيح فهو زعيمنا ورئيسنا ، وحزبنا متمسك بزعامته (ملحوظة هذه الكلمات كان لها ردود فعل غير معلنه لدي الحرس الجديد في الحزب الذي يفضل اقطابه التمهيد لترشيح أمين السياسات جمال مبارك ، ورغم ذلك لم يحدث أي صدام بينهم وبين الأمين العام صفوت الشريف صاحب ذلك التصريح مما يجسد قدرته على احتواء أية خلافات أو تباينات في المواقف والآراء) .

« البعبع » ... رجل كل العصور !!

[٧٦ عاما !]

استحق لقب « البعبع » عن جداره ، عندما كانت حركة من « رمش عينيه » - كزعيم للأغلبية وأمين للتنظيم بالحزب الوطني - تجاه نواب الحزب تجعلهم يستجيبون فورا لتأييد الرأي الذي اختاره في الموضوع المطروح أمام مجلس الشعب ، لقد كانوا « يعملون له ألف حساب » ، ويحرصون على نيل الرضا منه ، ويا ويله من يتمرد عليه ويخرج عن طاعته ! والمؤكد أنه استحق ذلك اللقب لقوة شخصيته ، وتحكمه لفترة طويلة في اختيار مرشحي الحزب الوطني للانتخابات البرلمانية ، وما يعكسه بنيان جسده الضخم ، وموقعه التنفيذي من مهابة وأيضا طول الفترة التي قضاها تحت قبة البرلمان حتى أنه بحق أقدم البرلمانيين ليس في مصر فقط ، أو في العالم العربي ، بل في العالم كله حيث أنه بدأ مسيرته البرلمانية في عام ١٩٦٤ نائبا عن دائرة الباجور وحتى الآن ، أي أنه يدخل « موسوعة جينس » بهذه الصفة مسجلا رقمه الفريد (بخمسة وأربعين عاما برلمانيا) ، إنه باختصار - كمال الشاذلي - الذي بدأ حياته السياسية بالالتحاق بالاتحاد الاشتراكي الذي نجح من خلاله في انتخابات البرلمان عام ١٩٦٤ ، واللافت للنظر أنه ظل مقربا من النظام ورموزه وقادته باختلاف العصور بمعني أنه صار من رجال عهد الزعيم الراحل عبد الناصر ، ولم يفقد موقعه - بل دعمه أكثر - في عهد الرئيس أنور السادات ، وحافظ على موقعه القيادي بأكبر المناصب في عهد الرئيس حسني مبارك ، ولذلك يطلق عليه البعض صفة رجل كل العصور ، والمؤكد أن ما ساعده في ذلك دهاؤه السياسي ولباقته ، وذاكرته القوية وقدرته على امتصاص وتجاوز أي عقبة تعترض طريقه

بجرأة ومرونـة في نفس الوقـت ، حتى عنـدما تقلـص موقعـه كـوزير شئون مجلس الشعب والشوري في التسعينات بسحب اختصاصات الشـوري منـه في عـام ٢٠٠٤ ليتولاها الدكتور مفيد شهاب ، لم يهتز أو يضعف بل لعله تعمـد أن يسـتعرض قوتـه أمام النـواب والإعلاميـين أكثر مـن مـرة وبطـرق وأسـاليب مختلفـة ثـم عنـدما فقـد المنصب الوزاري نهائيا في عام ٢٠٠٥ ، وفقد موقـع أمـين التنظيم بـالحزب الـوطني تصور البعض أنها البداية لأفول نجمه واحتراق ورقته إلا أنه استغل موقعـه الجديـد كرئيس للمجالس القوميـة المتخصصـة ـ بـالتحرك المكثـف و التصريحـات المختلفـة ـ ليظـل في بـؤرة الضـوء ، ولم يجـد غضاضـة أو يتملكـه الضـيق والأسي والإنفعـال وحافظ علي دوره كعضو مجلس الشعب في الوقت الذي تولي فيه أحمد عـز ـ خلفـا أو بديلا له ـ زعامة الأغلبية وصار الآمر الناهي المحرك لأعضـاء الحـزب الـذين كـانوا يتنافسون علي التقرب إليه واتجه ولاؤهـم بشـكل أو بـآخر لأمـين التنظيـم الجديـد ، ولعله بهذا التوازن والتماسك يـؤكد ما قاله عنه البعض من أنه نموذج يجسـد مفهـوم « البقاء للأقوى » خاصة وهو يعلن مـثلا أنـه يـرأس جهـازا دسـتوريا تابعـا للـرئيس يعاونه في رسم السياسة العامـة للدولـة في جميـع المجـالات بـدءا مـن تنميـة السـاحل الشـمالي وحتـى تطـوير التعليـم وتطـوير الخطـاب الـديني ، والمعـروف أن المجـالس القومية المتخصصة كانت تعمـل في الظـل وبعيـدا عـن الأضـواء رغـم أهميتهـا إلى أن تولي هو رئاستها .

علامات على طريق حياته :

- ولد كمال الشاذلي في ١٦ فبراير من عام ١٩٣٤ .

- حصل عـلى ليسـانس الحقـوق مـن جامعـة القـاهرة في عـام ١٩٧٣ أي وهـو في التاسعة والثلاثين من عمره بـما يؤكـد أنـه رجـل عصـامي امتلـك سـلاحي الإصرار

والمثابرة مما مكنه من الانتقال من عمله كموظف بمكتب القوى العاملة بالمنوفية ، إلى مواقع ومناصب بلغت القمة .

- حصل على دبلوم الدراسات العليا في العلوم السياسية من كلية الحقوق جامعة القاهرة في عام ١٩٧٩ وحالت أعباؤه البرلمانية والسياسية دون استكمال دراساته العليا بعد ذلك .

- بدأ حياته السياسية في شبابه بالالتحاق بالاتحاد الاشتراكي .

- استثمر إلى جانب طاقاته وقدراته صلة القرابة مع البرلمانية الشهيرة نوال عامر نائبة السيدة زينب ، ودخل مجلس الأمة نائبا عن دائرة الباجور في عام ١٩٦٤ وكان عمره وقتئذ ثلاثين عاما .

- تعرض للاتهام في عام ١٩٧١ في قضية « مراكز القوى » الشهيرة لكنه أفلت من الإتهام الذي دفع ثمنه العشرات من الوزراء ورئيس مجلس الأمة لبيب شقير .

- يري البعض أنه احتل « الذروة » في طول العمر السياسي بخمسة وأربعين عاما (منذ دخوله مجلس الأمة) واحتل الذروة في حصد رضا والتزام نواب الحزب الوطني ، لكنه احتل الذروة أيضا في رفض وسخط المعارضة لدفاعه القوي المستميت عن قرارات وقوانين لم تقبلها المعارضة .

- تمتع بذاكرة قوية جعلته ينادي كل نائب باسمه واسم دائرته الانتخابية التي يمثلها ، وقد لاحظت أنا شخصيا ذلك عندما كنت عضوا بمجلس الشعب في دورة (٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٥) كما لاحظت السعادة التي كانت ترتسم على وجه النائب الذي يناديه أو يخاطبه مما يؤكد المكانة القوية .. أو مكانة « البعبع » التي احتلها عبر عشرات السنين في العمل البرلماني والسياسي !

- في عام ٢٠٠٩ افتتح شيخ الأزهر وعدد من الوزراء والمسئولين المسجد الذي

بناه - باسمه - في دائرته الانتخابية بمدينة الباجور بمحافظة المنوفية ، ليحقق إلى جانب الهدف الديني ، هدفا آخر وهو تخليد اسمه ، وهدفا ثالثا وهو أن يستعرض نفوذه وقوته بالرغم من فقدانه لمنصب الوزير ، وموقع أمين التنظيم .

تجسيدا لرغبته في تأكيد استحالة إزاحته من دائرة القوة والنفوذ أعلن أكثر من مرة أن المجالس القومية المتخصصة التي استقر أخيراً رئيسا لها هي جهاز دستوري تابع للرئيس مباشرة ويعاونه في رسم السياسة العامة للدولة في جميع المجالات ، والمعروف أن أحدا لم يكن يري في هذه المجالس ما يجعلها قادرة على التأثير ، بل أن البعض طالبوا بإلغائها إلى أن تولي هو رئاستها ودفعها نحو دائرة الضوء والاهتمام ، وهذا ما فعله زميله وصديقه صفوت الشريف عندما فقد موقعه الأثير الخطير كوزير للإعلام ، وتولي رئاسة مجلس الشوري فأخرجه على الفور إلى دائرة الضوء والفعالية ! وكأن الاثنين (صفوت وكمال) يستعصيان على الإزاحة خارج المشهد والإنطواء داخل دائرة الظل ! .

يعكف الآن على كتابة مذكراته - التي لو جاءت بموضوعية وتجرد - سوف تكون تأريخا حيا للعمل السياسي والبرلماني في العصور الثلاثة (عبد الناصر والسادات ومبارك) ، والمؤكد أنه قد تراكمت لديه رؤي ومعلومات وخبرات عديدة من خلال تعامله مع الرؤساء الثلاثة خاصة وأن أحداثا كبارا وقعت في عهد كل منهم ، سواء على المستوى الوطني أو الإقليمي أو الدولي ، ولعله من واقع هذه الخبرة الطويلة جدا العميقة جدا يري أن ينقلها إلى ابنه معتز الذي دخل بالفعل الحياة السياسية إلى جانب اهتماماته الصحفية والإعلامية ، ويري الكثيرون أنه يتمتع بالصفات القريبة من صفات والده والتي تجعله امتدادا سياسيا وبرلمانيا له .

■ ■ ■

شيخ التناقضات الذى أحبه !

[٨٢ عاما]

من بين ألقاب كثيره أطلقت عليه ، اخترت لقب « شيخ التناقضات » وان كنت أضيف تفسيرا آخر الى المقصود بهذا اللقب ، فالتناقض لديه - فى رأيي - ينبع من درجة القبول الكبيرة التى يتمتع بها شكلا وصوتا وعلما ، وما تثيره فتاواه وتصريحاته من عواصف مؤيدة ومعارضة خاصة مع ما يحظى به منصبه كشيخ الأزهر من اهتمام ومتابعة جماهيرية كبيرة كما أن علاقته بالصحفيين يشوبها فى الغالب التوتر وسوء الفهم ومن ثم فانه يتعرض لحملات صحفية عنيفه ، ويكفى مثلا أن يطلق عليه بعضهم لقب « شيخ النظام » إيحاء لإرتباطه بنظام الحكم رغم الاستقلالية الكاملة والتاريخية لمنصب « شيخ الأزهر » ، كما أطلق عليه آخرون لقب « شيخ الطرق التطبيعية » لقراره الجرىء المفاجىء باستقبال حاخام اسرائيلى، ثم لقائه مع ساركوزى رئيس فرنسا - عندما كان وزيرا للداخلية وهوالذى أصدر قرارا يمنع الحجاب فى بلده ، ولم يتقبل البعض تصريح الامام الأكبر فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوى بالدعوة لمن يرفضن ذلك القرار من المسلمات اللائى يعشن فى فرنسا الى العودة الى بلادهن ، علما بأن بعضهن فرنسيات أسلمن منذ سنوات وهكذا لم يتوقف الجدل والحوار حول الكثير من مواقفه وتصريحاته وفتاواه وأضيف الى رصيد الخلافات والمواقف الصاخبة ما حدث عند زيارته لأحد المعاهد الأزهرية حيث توقف أمام ظاهرة وجود عدد من الطالبات المنقبات وقراره بمنع دخول المنقبات إلى جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية والمدن الجامعية ، وأثار موقفه وقراره ردود فعل غاضبة ، رغم أنه أكد أكثر من مرة أن النقاب عادة وليس عبادة موضحا

أن جمهور الفقهاء يرون أن وجه المرأه ليس بعوره وأنها مادامت تلبس الملابس المحتشمة التى لا تصف شيئا من جسدها سوى وجهها وكفيها فانها فى هذه الحالة يكون لباسها شرعيا كما استشهد بقول الله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) ولكن وكما هى العادة انطلق المعارضون او المتربصون كما يصفهم فضيلة الشيخ طنطاوى ليرددوا ما صدر عنه من مواقف وتصريحات أثارت موجات من الغضب مثل استقباله للحاخام الاسرائيلى المتشدد فى وقت كان الجيش الأسرائيلى يدمر مدينة جنين الفلسطينية ، وما ذكره كفتوى أثارت الجدل والتى تحرم على الاستشهاديين الفلسطينيين « ريح الجنة » لأن قيامهم بتفجير أنفسهم فى تجمعات جنود العدو قد توقع بالمدنيين الاسرائيليين قتلى وكذلك فتواه بأن من لا يذهب من المصريين إلى صناديق الاستفتاء حول تعديل المادة ٧٦ من الدستور فانه يعتبر كاتما للشهادة ومن يكتمها فانه أثم قلبه !

وهكذا لم يتوقف الجدل والحوار حول الكثير من مواقفه وتصريحاته وفتاواه ومقارنته بشيوخ عظام عمالقة أمثال محمود شلتوت ، وعبد الحليم محمود وجاد الحق ولعلنى أعترف بأننى وجدت صعوبة بالغة فى التحدث عن فضيلته فعلاقتى الشخصية به قوية للغاية ويكفى أنه هو الذى عقد قران بناتى الثلاث ، كما أننى ضعيف أمام أحاديثه الدينية التى تصل بصوته الهادىء المؤثر الى القلب والعقل معا، إلا أننى كنت اتمنى ألا تصدر منه بعض التصريحات والمواقف التى فسرها بعضهم بأنها لارضاء السلطة رغم أن سلطته الدينية أكبر وأقوى .

لغة الأرقام :

– فضيلة الأمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوى ولد فى ٢٨ أكتوبر من عام

١٩٢٨ بقرية سليم الشرقيه بمحافظة سوهاج .

- تخرج من كلية أصول الدين في عام ١٩٥٨ .

- حصل على الدكتوراه فى الحديث والتفسير فى عام ١٩٦٦ .

- عين مدرسا بكلية أصول الدين في عام ١٩٦٨ .

- عين عميدا لكلية أصول الدين بأسيوط عام ١٩٧٦ .

- فى عام ١٩٨٦ تولى موقع مفتى الديار المصرية .

- فى عام ١٩٩٦ صار شيخا للأزهر .

من أقواله وتصريحاته وفتاواه :

- أنا لست رجل سياسة وتنحصر مهمتى فى العلوم الاسلامية والدينية

- والتنظيم والترتيب للمؤسسة التعليمية الأزهرية .

- لو كنت أعمل بالسياسة لرشحت متحدثا رسميا لى على الاقل لمواجهة المتربصين بى فى التصريحات والمقابلات والذين يحولونها عن مسارها ويقومون بتفسيرها تفسيرا خاطئا الأمر الذى يحدث الجدل والبلبلة فى كثير من الأحيان .

- المتربصون موجودون منذ قديم الأزل وهم أصحاب الهوى الشخصى ولا يقبلون بالاختلاف فى الرأى وتحركهم مصالحهم وحساباتهم الشخصي .

- أرى ضرورة التقارب بين مصر وايران وأرفض التعنت الايرانى .

- أنا ضد كل من يشارك فى اضراب يؤدى الى أعمال تخريبية أو أضطرابات فى الأمن .

- برغم الاشاعات التى يطلقها البعض عن استقالتى لظروف صحية فأنا باق فى منصبى وسأظل مؤديا لكافة متطلبات المؤسسة الدينية مادمت قادرا على العمل

والعطاء خاصة أن حالتى الصحية والحمد لله بخير وجيدة .

- الحكم القضائى باسقاط الجنسية عمن تزوج من اسرائلية حكم يتوافق مع الشرع الكريم مع أن الشرع يبيح الزواج من الكتابيات لكن من حق الدولة أن تمنع هذا الزواج فى حالة الحرب مع دولة معادية .

- لايتدخل الأزهر أو المؤسسة الأزهرية كلها من قريب أو بعيد فى قضية « التنصير» المثارة ، ولا يتدخل فى شئون من يتنصرون ويخرجون عن العقيدة ، ولا توجد مواعظ او محاولات لإرجاع المسلم الذى يتنصر الى الإسلام فلا سلطة لنا عليه ، لأن سلطتنا إرشادية ونحن نوجه ونعلم المسلمين عامة أما الأمور التى تتعلق بالأديان الأخرى فلا شأن لنا بها .

- أيدت وباركت مبادرة الرئيس الأمريكي « باراك أوباما » عن محاربة التدخين ، وأنا أتحدث برأى شرعى وقد أيدت الرجل لأنه عندما تأتى دولة بحجم أمريكا وتعقد الاتفاقيات التى من شأنها الحد من انتشار عادة التدخين السيئة فالواجب أن نؤيدها فالحكم الشرعى واضح فى التدخين وهو حرام شرعا .

- الحجاب فريضة اسلامية أوجبتها الشريعة وعلى النساء اللاتى يتعرضن للمنع من ارتداء الحجاب فى أى دولة غير إسلامية أن يلجأن الى القضاء ، فاذا أنصفهن القضاء فخير وبركة أما اذا لم ينصفهن فعليهن البحث عن بلد آخر يمكنهن من ارتداء الحجاب .

- نشر الشائعات فى المجتمع حرام شرعا وهذا ينطبق على من يشيع أن رئيس الجمهورية مريض ، فعقابه عند الله شديد .

- قطيعة تقطع بيريز « رئيس أسرائيل » واللى يعرفه واللى كانوا معاه ، وعليه اللعنة الى يوم الدين !

- تتفق الأديان السماوية جميعها على أن الناس كلهم سواسية (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) .

- إننا نؤمن بالأخوة الإنسانية سواء كانوا فى أقصى الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب وسواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهودا .

- الاختلاف فى العقائد لا يمنع من الشعائر لأن كل إنسان له عقيدته والذى يحاسب على العقائد هو الله وليس أنا وليس البابا شنودة !

- إننا فى مصر من مسلمين ومسحيين رابطنا هو الأخوة الأنسانية ، وأى مصيبة تصيب مصر - لاقدر الله - تأتى للمسلم والمسيحى دون تفرقة ، وأى خير تناله مصر يحظى به المسلم والمسيحى

- اتفق المسيحييون والمسلمون على أن الظلم حرام ، والخمر حرام ، والربا حرام .

- نحن فى الأزهر لسنا جهة مصادرة لأى كتاب لكننا نجيب على من يسألنا سواء هيئه قضائية أو وزارة الداخلية او غيرها ، وان كان السؤال عن كتاب ما اذا كان يحتمل الحرام فأنا ملزم أن أجيب حسب، ما يظهر من قراءته ودراسته جيدا .

- الأزهر والأوقاف يعملان سويا من أجل الحفاظ على القرآن الكريم وتكريم حفظته والقائمين على تحفيظه باعتبار ذلك واجبا كلفنا به الله سبحانه وتعالى

■ ■ ■

وزير التراجعات !!

[٧٧ عاما]

لأن عيون السلطة الرابعة (الصحافة) لا تغفل ولا تنام وتظل مفتوحة على الآخر لالتقاط تصريحات الوزراء والمسئولين والتنقيب في خلفياتها وأبعادها وما قد تقع فيه من تناقضات ، فإن وزير الأوقاف الدكتور محمود زقزوق لم يسلم من هذه الرقابة الصحفية المتربصة ، وحدث أن الرجل تراجع عن بعض التصريحات والمواقف بمبررات يراها هو ، إلا أن صحفيا نشطا سرعان ما أطلق عليه لقب «وزير التراجعات » وقام برصد أمثلة لذلك ، وعندما يكون الصحفي من قبيلة المعارضة فإنه يروج فورا لأي لقب يطلقه على مسئول ، وهذا ما حدث أيضا عندما أطلق صحفي آخر لقب (مؤذن السلطة) على وزير الأوقاف عقب قراره بتوحيد الأذان - الذي تراجع عنه بعد ذلك - وكذا لبعض القرارات التي اتخذها ، ورأي فيها ذلك الصحفي استجابة مباشرة للنظام الحاكم !

وفي رصد المواقف والتصريحات التي تراجع فيها وزير الأوقاف الدكتور محمود زقزوق عن مواقف وتصريحات سابقة ، تأتي أمثلة كتراجعه عن قراره بتوحيد خطبة الجمعة التي سبق وأقرها ، وقد علل الوزير هذا التراجع بأن الخطب التي تلقي على رواد مساجد الأحياء الشعبية لا تقال ولا تلائم رواد مساجد الأحياء الراقية ، وثمة مثال آخر يظهر في تصريح سابق للدكتور زقزوق نفي فيه تدخل الأمن في أعمال وزارته ، كما نفي وجود حالات فساد في إدارات وهيئات الوزارة ثم اعترف بعد ذلك بوجود بعض الحالات ، ومثال آخر نراه في تصريحه بضرورة تطبيق حد الردة على المرتدين عن الإسلام ، ثم نفي ذلك التصريح وأكد احترامه لحرية الأديان ،

وكان قراره بتوحيد الأذان في مساجد القاهرة قد أثار اهتماما واسعا ، وبدأ بالفعل البث التجريبي في سبعة عشر مسجدا منها الأزهر والحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة ومسجد النور بالعباسية ، وعمرو بن العاص ثم حدث التراجع عن ذلك القرار خاصة بعد استصدار فتوى تقول « إن المؤذن يجب أن يكون حيا يرزق ! » .

لغة الأرقام :

- ولد الدكتور محمود حمدي زقزوق في ٢٧ ديسمبر من عام ١٩٣٣ بمحافظة الدقهلية .

- حصل على ليسانس في اللغة العربية من جامعة الأزهر .

- نال الدكتوراه من جامعة ميونيخ بألمانيا في عام ١٩٦٨ .

- عين مدرسا بالفلسفة بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر .

- عين رئيسا لقسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر في عام ١٩٧٩ وحتى ١٩٨٩ .

- تولي منصب نائب رئيس جامعة الأزهر في عام ١٩٩٥ .

- تولي وزارة الأوقاف في عام ١٩٩٦ .

تصريحات وقرارات :

- الأمة الإسلامية بلغت مرحلة من الضعف جعلت الأمم تطمع فيها وتتكالب عليها كما سبق وأن أخبرنا الرسول صلي الله عليه وسلم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، حيث وصلت أمتنا إلى مرحلة « غثاء السيل » وتتداعي عليها الأمم مثل « الأكلة على قصعتها » ولن تقوم لها قائمة إلا بالاتحاد والتكاتف وباتخاذ وسائل التكنولوجيا الحديثة التي تجعلها قوية وتحترمها الأمم الآخرى.

- لا بد من وضع حد يوقف مشايخ الفضائيات من الفتوى .

- المصريون في حاجة إلى تعديل سلوكياتهم ، والحد من البذخ والإسراف .

- لا بد من توافر شروط محددة لبناء المساجد بحيث لا تقل مساحة المسجد عن ١٧٥ مترا مربعا ، وأن يودع المتبرع مبلغا لا يقل عن ٥٠ ألف جنيه في أحد المصارف ، وأن تكون المنطقة في حاجة حقيقية للمسجد . وذلك كله للحفاظ على المظهر الحضاري اللائق والحفاظ على هيبة المساجد .

- يمكن للمسلمين أن يشدوا الرحال إلى المسجد الأقصى من أجل تأكيد حق المسلمين فيه ، لأن إحجامهم عن زيارة مقدساتهم في فلسطين لن ينفع القضية بل سيضر بها أبلغ الضرر ، ويجب ألا يحول بينهم وبين ذلك أي شيء حتى الحصول على تأشيرات دخول إسرائيلية.

- الدين لا يتعارض مع العقل وكلاهما وجهان لعملة واحدة .

- ستظل مصر تحمل لواء الاعتدال والوسطية في فهم الدين بعيدا عن التشدد والإنغلاق .

- الإنسان في حاجة إلى العقل لتدبير شئون حياته وبناء حضارته الإنسانية على أساس من العلم ، ولكنه في حاجة أيضا إلى الدين الذي يؤكد صلته بالخالق ، وينمي لديه الجوانب الروحية والأخلاقية التي تساعده في تصحيح مساره .

- ستظل مصر وفية لمسئولياتها في العناية بكتاب الله وحماية تراث الأمة الإسلامية .

- بلاغة القرآن الكريم لم تكن وحدها هي الأمر المعجز في القرآن الكريم الذي يدل على صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد أراد الله لهذا القرآن أن يكون

معجزة عقلية باقية أبد الدهر وتحترم عقل الإنسان وتخاطبه بالحجة والبرهان .

– ستظل مصر معنية كل العناية بكتاب الله ، ونشر تعاليمه في ربوع العالم الإسلامي واحتضان أبناء المسلمين الراغبين في دراسة العلوم الإسلامية من جميع بقاع الأرض .

– ستظل مصر وفية لمسئولياتها ، راعية للقرآن الكريم ، فقد شرفها الله بأن أنزل في شأنها قرآنا يتلي ، وجعل أرضها آمنة تنتح صدرها لكل من يلوذ بها ، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم على لسان سيدنا يوسف عليه السلام حينما استقبل أبويه على مشارف مصر قائلا : « أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين » .

– أدرك المسلمون منذ الصدر الأول للإسلام ما في القرآن الكريم من إشارات ربانيه ، وتوجيهات إلهية تهدف إلى تحقيق الخير للإنسان .

– قام المسلمون بحركة علمية كبري أدت إلى صنع حضارة عريقة كانت من أطول الحضارات عمراً في التاريخ ، وقد استفادت منها البشرية جمعاء أعظم فائدة ، وكانت من أقوى الحوافز لأوروبا في العصر الوسيط لبناء نهضة جديدة مهدت الطريق للحضارة الحديثة الحالية .

– ظل القرآن الكريم بعيدا عن أي تحريف أو تبديل ، فقد تكفل الله بحفظه منذ أنزل وإلى أن تقوم الساعة مصداقا لقوله : « إنا نحن أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقد صدق الله وعده ، فقد بقي القرآن وسيظل دائما الوثيقة الدينية الوحيدة التي لم تتعرض لأي لون من ألوان التحريف أو التبديل على مدي الأزمان .

– باءت جميع محاولات الطعن في القرآن الكريم بالفشل الذريع ، ولم يكن لهذه المحاولات اليائسة ـ قديماً أو حديثاً ـ أي تأثير على القرآن العظيم الذي تكفل الله بحفظه .

- إذا سلك المسلمون الطريق المستقيم الذي دعانا الله إلى إتباعه ، وغيروا ما بأنفسهم من أجل القضاء على أوضاع التشرذم القائم في العالم الإسلامي فإن الله كفيل بأن يكون معهم مصداقاً لقوله تعالي : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

- إذا كان عالمنا المعاصر يتجه إلى التكتلات الكبري القوية في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، فإن المسلمين لن يكون لهم شأن في عالم اليوم إلا إذا ساروا في الطريق نفسه ، وبادروا إلى توحيد جهودهم والتعاون والتنسيق والتكامل فيما بينهم في جميع المجالات ، وبذلك يشاركون بفاعلية في صنع مستقبلهم بأنفسهم ، ويفرضون على الجميع احترامهم واحترام حقوقهم ، ويخلصون المسجد الأقصي من الأسر الذي يعانيه على أيدي المغتصبين المعتدين .

- ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾هكذا وعد الله المسلمين الذين إذا غيروا ما بأنفسهم سيجدون مكانا يتناسب مع قدرهم في عالم اليوم الذي لم يعد فيه مكان للضعفاء أو للكسالي أو المتوكلين.

- لا جدوى من انسحاب الأزهر والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية من المؤتمرات التي تشارك فيها إسرائيل - خارج أراضيها طبعا - لأن الإنسحاب لن يحقق شيئا للقضية الفلسطينية .

■ ■ ■

جنرال التهدئة .. الرجل الأقوى !!

[٧٤ عاما]

لم يكن مفاجئا أن تختاره مجلة « فورين بوليسي » الأمريكية - بمكانتها الصحفية المعروفة - على رأس قائمة أهم خمسة رؤساء مخابرات بالشرق الأوسط ، وجاء بعده في المرتبة الثانية رئيس الاستخبارات الإسرائيلية (جهاز الموساد) « مائير داجان » ، ثم رئيس جهاز الاستخبارات التابعة للحرس الثوري الإيراني ، ثم مدير الاستخبارات العسكرية السورية ، وأخيرا مدير المخابرات السعودية ، وقد أوضحت المجلة حيثيات اختيارها لعمر سليمان ليترأس القائمة فقالت : « إنه واحد من أهم وأكثر رؤساء الاستخبارات نفوذاً ، وقد استطاع في أقل من عقد من الزمان أن يكون أحد ، أقوى المرشحين لرئاسة مصر خلفا للرئيس حسني مبارك ، واستشهدت » مجلة فورين بوليسي « بما ذكرته صحيفة ديلي تليجراف » البريطانية من أنه من أقوى وأهم رؤساء المخابرات في العالم ، وأن لديه قدرة استثنائية في التعامل مع الأزمات السياسية والدبلوماسية ، وأشارت إلى أنه نشأ في مدينة بجنوب مصر كان الإسلاميون المتطرفون قد سيطروا عليها في وقت من الأوقات ، لكنه اختار أن يسلك المسار العسكري ، وتفوق أكاديميا ، ونال العديد من الشهادات في العلوم العسكرية في مصر وفي الخارج أيضا ، وقد وقع عليه الاختيار ليكون مديرا للمخابرات العامة المصرية في عام ١٩٩٣ في وقت كانت مصر ما زالت تعاني فيه من الأصوليين المتطرفين وأعمالهم الإرهابية ضد مواقع سياحية واستراتيجية مهمة .

والمثير للاهتمام أن الوزير عمر سليمان يأتي أيضا على رأس قائمة رجال الرئيس

مبارك ، كما من الممكن أن نقول إنه يأتي كذلك على رأس قائمة الوزراء والمسئولين الذين يحظون بتقدير ورضا المعارضة والشارع المصري ، ومعني ذلك باختصار أنه يملك من الصفات ما أهله ويؤهله لهذه المكانة المتفردة فيقول عنه « جورج تينيت» رئيس المخابرات الأمريكية السابق : « إن عمر سليمان رئيس المخابرات المصرية له شخصية قوية جداً ، وهو ذو مظهر ملوكي ولديه من الصراحة الكثير رغم عالم الظلال الذي يعيش بداخله » .

وتقول عنه صحيفة هآرتس الإسرائيلية :«إنه يبدو للوهلة الأولى ضابط مخابرات تقليديا لكن الذين التقوا به يقولون إن المرء تستهويه عيناه السوداوان ، ونظرته الثاقبة ، وأنه لا يميل إلى الكلام كثيرا ، وعندما يتحدث تكون كلماته متزنة ومنضبطة تأتي إليك عبر صوته الهادىء وهو يتحدث بطلاقة ويعرف كيف يصل إلى النقطة المطلوبة بشكل مباشر ، إنه شخص يترك انطباعا قويا بما يملكه من صفة الوقار والسمو ، لذلك يتمتع بحضور قوى ومصداقية واضحة ، وهو يتصرف بطريقة رئاسية ، والمحيطون به يعرفون ما يريده وما هي حاجته حتى قبل أن ينطق بها ، ولديه من الاعتداد بالنفس ما يفوق ما لدي الكثيرين من المسئولين الكبار ، ولذلك فإنه اعتاد أن يتعامل معه الناس باحترام ووقار ، ووفقا لما ذكره دبلوماسي إسرائيلي فإن مكانة عمر سليمان أعلى بكثير من مكانة رئيس جهاز مخابرات . وهوأيضا متدين وكثيرا مايستأذن في اجتماعاته مع الإسرائيليين لأداء الصلاة في وقتها ، وهم يرون أنه يتمسك بالسلام البارد فقط معهم » .

هذه إذن هي شخصية الوزير عمر سليمان بصفاتها وسماتها التي شهد بتميزها الأعداء قبل الأصدقاء ، ولعلني قد لمست ذلك شخصيا في لقاء سريع معه ترك أثره القوى عندى مباشرة ، وقد لاحظت أنه لا يرحب كثيرا بدعوته للظهور في

التليفزيون ، وإذا ما اضطر إلى ذلك فإن حديثه موجز لا يكشف ما يريد إخفاءه ، ويفضل بصفة عامة أن يتوارى عن الأضواء ربما لصلته الوثيقة جدا بعالم السرية والمخابرات لكنه يظهر بقوة عندما تنقلب الأوضاع وتتعقد الأمور فيتحرك بمنطقه الهادىء ورؤيته العميقة ، حتى أن الكثيرين يلقبونه بجنرال التهدئة خاصة بعد أن أنجز التهدئة بين الفلسطينيين والإسرائيليين مرات عديدة (حتى لو كانت التهدئة لا تستمر طويلا بسبب الممارسات الإسرائيلية) ، كما أنه قام بدور كبير للغاية في محاولة إغلاق ملف الانشقاق بين حركتي فتح وحماس ، وبذلك حمل على عاتقه مهمات دبلوماسية وأمنية بالغة الدقة والحساسية ، وتقول عنه صحيفة « لوس انجيلوس تايمز » الأمريكية : « انه على الرغم من تفضيله البدل الشيك والكرافتات الأنيقة يعد واحدا من الاستراتيجيين العسكريين الموهوبين في العالم كما أنه خبير في العلاقات الدبلوماسية خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل » ، ولذلك فإنه كما قال عنه « روبرت سبرنجبورج » مدير معهد الشرق الأوسط بلندن « يعتبر الجسر بين العسكرية المصرية والأجهزة الأمنية ويسيطر بيديه على السياسة المصرية الخارجية دون أن يشعر به أحد ، ولا يستطيع أي شخص آخر غيره أن يقوم بهذا الدور الذي يمارسه بما يؤمن به من فلسفة براجماتية تتخذ من النتائج العملية قضايا لتحديد قيمة الأفكار وصدقها ».

هذا وقد ولد عمر سليمان في ٢ يوليو ١٩٣٦ بمحافظة قنا التي تركها إلى القاهرة وهو في التاسعة عشرة من عمره ليلتحق بالكلية الحربية ، وبعد تخرجه فيها أوفده جمال عبد الناصر إلى موسكو للحصول على زمالة الكلية الحربية وتدريب متقدم في أكاديمية « فرونز » العسكرية ، وفي منتصف الثمانينات أثبت تفوقه كخبير استراتيجي عسكري وحصل على درجتي البكالوريوس والماجستير في العلوم

السياسية من جامعتى عين شمس والقاهرة ، وقد رقى إلى رتبة لواء في عام ١٩٨٤ ، وقد تعددت المناصب التي تولاها طوال خدمته العسكرية ، وعين نائبا لرئيس جهاز المخابرات إلى ان أصدر الرئيس مبارك قرارا جمهوريا بتعيينه على رأس الجهاز ، والمعروف أنه خاض كل الحروب التي خاضتها مصر مثل حرب اليمن وحرب ١٩٦٧ ، وحرب ١٩٧٣ كما نال وسام الجمهورية من الطبقتين الأولي والثانية والعديد من ميداليات التفوق ، هذا ولم يكن عمر سليمان معروفا حتى عام ٢٠٠٣ سوى في أوساط المخابرات المختلفة وعدد قليل من كبار المسئولين في المنطقة حيث حافظ بشدة على الصورة المعروفة لرجل المخابرات وما تتسم به من غموض وعزوف عن الأضواء .

وقد ظهرت دقته وعمق رؤيته في واقعة بالغة الأهمية والخطورة وكان ذلك في عام ١٩٩٥ عندما أشار على الرئيس حسني مبارك أن يصحب معه في طائرته سيارته الليموزين المصفحة ضد الرصاص والقنابل ، وهو في طريقه إلى العاصمة الإثيوبية لحضور مؤتمر القمة الأفريقية ، ويقال إنه صمم على رأيه عندما لاحظ ترددا في تنفيذه ، ثم ظهرت قوة أعصابه ورباطة جأشه عندما تعرضت السيارة التي كان يجلس فيها إلى جوار الرئيس فعلا للهجوم بالرصاص والقنابل التي أطلقها بكثافة مجموعة إرهابية عقب هبوط الطائرة في مطار أديس أبابا ، وفي تلك اللحظة أمر هو السائق بأن يرتد بسرعة ولا يكمل الطريق الذي اتضح أن ثمة كمينا إرهابيا آخر كان متربصا فيه للسيارة لو أفلتت من الهجوم الأول ، وهكذا فشلت المحاولة لتتأكد قيمة نصيحة عمر سليمان باصطحاب السيارة المصفحة ، كما تأكدت يقظته وبراعته عندما أمر السائق بالارتداد والعودة إلى داخل المطار ، وهكذا اكتسب ثقة مضاعفة من الرئيس الذي أدرك أن أمنه في أيد امينة واعية ، وتجسدت هذه الثقة في

إسناد مهام إضافية إليه ، خاصة بعد نجاحه الكبير في التصدي للجماعات الإرهابية ، وساهمت يده الحديدية في القضاء على الإرهاب في وقت قصير ، وهو عامة ضد المتشددين المتمسحين بالإسلام ، كما أنه لا يحمل أي مشاعر ود مع إسرائيل .

ويقول مصدر وثيق الصلة إن عمر سليمان أحد القلائل المقربين للرئيس مبارك الذي يراه مرتين في اليوم على الأقل في الصباح وفي المساء ، كما أنه يحمل رسائل الرئيس إلى مختلف الزعماء في الأزمات الطارئة ، وبالتالي فإنه في يديه ملفات هامة فإلي جانب ملف أمن الرئيس ، يتولي ملف القضية الفلسطينية ـ الإسرائيلية ، وملف قضية دار فور وموقف السودان وهكذا دخل ـ ربما على غير رغبته ـ دائرة الأضواء وصار معروفا على المستوى الوطني والقومي والدولي مكتسبا صفة جنرال التهدئة والرجل الأقوى ، كما يري البعض أنه في موقع نائب الرئيس حالياً ، ويرشحه البعض الآخر لخلافته ، ويعتمدون في ذلك على أنه يحظي باحترام الجميع كما أنه موضع ثقة الرئيس مبارك ، وينتمي إلى المؤسسة العسكرية وله سجل مشرف كرئيس سابق لفرع التخطيط بهيئة عمليات القوات المسلحة ، ويرأس جهاز المخابرات العامة الذي تتجمع لديه كل الأسرار والمعلومات بتحليلاتها وتمحيصها ، إلى جانب ما تراكم لديه من خبرات سياسية من خلال توليه غالبية ملفات السياسة الخارجية ، والتي أتاحت له الفرصة لمزيد من العلاقات الإقليمية والدولية ، وتجمع الأوساط المختلفة على تقدير هدوئه وتواضعه واستقامته وأمانته وتحكمه في انفعالاته إلى جانب أنه لم تتعرض سيرته لأية إشاعات تلقي بظلالها عليه ، وإذا كانت تلك المقومات تجعل البعض يتوقع أو يرحب بفكرة ترشيحه للرئاسة ، إلا أن البعض الآخر يري أن ثمة أسبابا يمكن أن تمنع الوزير عمر سليمان من قبول فكرة الترشيح ، ومن هذه الأسباب ما تتسم به التركيبة النفسية لرؤساء أجهزة المخابرات

حيث أنهم لا يسعون إلى هذه السلطة ولا يتطلعون إليها ، ويجدون متعتهم وسعادتهم في مجال المخابرات والعمل السري .وينطبق ذلك بطبيعة الحال على الرجل الذي يعتبر أطول من تولي منصب رئيس المخابرات حيث بلغت رئاسته بهذا الجهاز سبعة عشر عاما .

من جهة أخرى يري أصحاب هذا الرأي أنه ليس برجل سياسة ولا ينتمي إلى أي حزب بما في ذلك الحزب الوطني ، ولم يلعب السياسة من قبل رغم إلمامه بكل تفاصيل اللعبة على المستوى الداخلي والمستوى الخارجي ، بل إنه أحد محركي الأحداث في الشرق الأوسط على أقل تقدير بحكم منصبه ، وتكفي الإشارة إلى إدارته بحرفية واضحة للملف الإسرائيلي ـ الفلسطيني والملف الدبلوماسي مع السودان وليبيا والسعودية .

هذا وبغض النظر عن الأحاديث المختلفة حول إمكانية ترشيح عمر سليمان لرئاسة الجمهورية ، فإنها تظل دليلا ناصعا على حجم ومكانة الرجل الذي ـ كما يقول عنه الكاتب الإنجليزي المعروف « ديفيد بيلز » : إن لديه قدرة استثنائية على التعامل مع المواقف والأزمات ـ وقد بزغ نجمه بشكل كبير خلال السنوات الماضية حيث أصبح أحد الشخصيات الأكثر تأثيرا في ملفات الشرق الأوسط خاصة بما يتمتع بع من علاقات الشراكة القوية التي كونها مع الأجهزة الاستخبارية في العالم بالإضافة إلى نجاحه في تطوير المخابرات المصرية صاحبة الحضور القوى والواضح في معظم دول العالم .

■ ■ ■

أمين عام .. جامعة الكلام !!

بين الوزارة والأمانة وبين الشعبية والرئاسة !!

[٧٤ عاما]

في مذكراته التي اختار لها عنوانا (بانتظار بدر البدور) يحكي الدكتور بطرس غالي الأمين العام السابق للأمم المتحدة ووزير الدولة الأسبق للشئون الخارجية أنه في شهر فبراير من عام ٢٠٠١ (أي قبل أقل من شهر واحد على موعد عقد القمة العربية الدورية الأولي في العاصمة الأردنية عمان) التقي مع عمرو موسي وزير الخارجية وقتذاك الذي قال له إنه قد عرض عليه منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية ، وسأله عما إذا كان يقبل المنصب أم يختار البقاء وزيرا ، فرد عليه بطرس غالي بعبارة لها مدلولها الواضح حيث قال له : « إن سؤالك يا عمرو سؤال بلاغي لأن في نظامنا السياسي نحن لا نختار لأن الرئيس هو الذي يختار لنا ، ومع ذلك لو كنت مكانك لرغبت في التجربة الجديدة » .

وبغض النظر عن رغبة عمرو موسي أو عدم رغبته فقد تم اختياره فعلا لمنصب أمين عام جامعة الدول العربية في عام ٢٠٠١ وتساءل الكثيرون هل يظل الرجل محتفظا بالكاريزما السياسية الواضحة والشعبية الواسعة التي جسدتها الأغنية التي انتشرت بسرعة البرق على لسان شعبان عبد الرحيم (أحب عمرو موسي وأكره إسرائيل) أم تأخذه دوامة الخلافات العربية التي حولت جامعة الدول العربية إلى مجرد جامعة للكلام دون فاعلية وبذلك يدفع الثمن من رصيده لما يفرضه عليه الواقع العربي ؟ .. وقبل أن نصل إلى الإجابة نستعرض السيرة الذاتية والوظيفية لعمرو موسي حيث تطل من ثناياها الإجابة المنتظرة .

وتقول سيرته ومسيرته :

ولد عمرو موسي في عام ١٩٣٦ في عزبة أبو رفاعي بالزقازيق التي تعتبره عمدتها بعيدا عن قواعد تعيين العمد والمشايخ ، وقد فقد والده صغيرا ، وتمت تربيته على يد جده لأمه بقرية محلة مرحوم بمحافظة الغربية ، مما أثر في تكوينه الشخصي حيث أن جده هو عثمان الهرميل عضو مجلس شوري القوانين عن مديرية الغربية في أواخر القرن التاسع عشر ومن ثم كانت التنشئة والتربية الأولي في أجواء سياسية وشعبية ، واكتسب صفات هامة منها حبه للقراءة ، وقدرته على ترتيب أفكاره ، وامتلاكه لناصية التأثير في الآخرين ، والجدية البالغة في العمل والإصرار على تحقيق طموحه حتى أنه بعد تخرجه في كلية الحقوق في عام ١٩٥٧ تصادف أن مر مع زميل له أمام مبني وزارة الخارجية فأشار إليها وقال : سوف أكون وزيرا لهذه الوزارة ! ، وبعد أن عمل فترة قصيرة بالمحاماه التحق بوظيفة ملحق دبلوماسي بوزارة الخارجية ، وعمل بالعديد من الإدارات والبعثات المصرية لدي الأمم المتحدة ، وعمل مستشارا لوزير الخارجية من عام ١٩٧٤ وحتى عام ١٩٧٧ ، كما عمل مديرا لإدارة الهيئات الدولية ، ثم مندوبا لمصر لدي الأمم المتحدة ، وسفيرا لمصر في الهند ، ثم مندوبا دائما لمصر بالأمم المتحدة إلى أن تم تعيينه وزيرا للخارجية من عام ١٩٩١ وحتى عام ٢٠٠١ محققا حلمه أو هدفه ليكون واحدا من أذكي وأجرأ وزراء الخارجية وأحد أهم الدبلوماسيين ، ثم عين أمينا عاما لجامعة الدول العربية عام ٢٠٠١ ، كما تم اختياره عضوا في اللجنة رفيعة المستوى التابعة للأمم المتحدة المعنية بالتهديدات والتحديات المتعلقة بالسلم والأمن الدوليين ، إلى جانب موقعه كأمين عام لجامعة الدول العربية .

وقد حصل على وشاح النيل في مايو ٢٠٠١ ووشاح النيلين من السودان في يونيه

٢٠٠١ ، كما حصل على عدة أوسمة رفيعة المستوى من البرازيل والإكوادور والأرجنتين وألمانيا .

- هذا وقد جمعني بعمرو موسي العمل في الهند حيث كنت مستشار مصر الإعلامي بها وكان هو السفير الذي خلف السفير الدكتور نبيل العربي ، وسريعا ما لاحظت الفارق بين المدرستين الدبلوماسيتين ، فكان عمرو موسي يتنقل كثيرا بين أنحاء الهند ويلتقي مع الجماعات المختلفة ، ويستخدم عبارات حاسمة وحادة في حواراته مع الصحفيين الهنود وسفراء ودبلوماسي الدول المختلفة الذين كانوا يرون أحيانا أنه يستخدم لغة دبلوماسية مختلفة وغير متعارف عليها ، وهذا ما ظهر بوضوح أكثر عندما صار وزيرا للخارجية حيث كان يفاجيء الكثيرين بأسلوبه الخاص الذي ظهر في تعليقاته وتصريحاته غير المعهودة كأن يعلق على تصريح لرئيس وزراء إسرائيل بأن مكان هذا التصريح هو « صندوق الزبالة ! » ومع آرائه وتعليقاته ومواقفه وجد الشارع المصري فيه ضالته التي تجسد معني الكرامة والجرأة بدلا من الدبلوماسية الناعمة التي لم تكن ترضي مشاعر المواطنين خاصة مع مواقف وممارسات وتصريحات قادة إسرائيل ، ولذلك اكتسب شعبية جارفة وتغني الشارع باسمه ورشحته الإشاعات لرئاسة الجمهورية ، إلى أن جاء انتقاله إلى منصب أمين عام جامعة الدول العربية ليعمل في ظروف وأجواء لا تساعد على مواصلة أسلوبه الدبلوماسي الخاص ، حيث حاصرته الخلافات والحساسيات العربية ، ولسوء حظه فإن ضغوط وإملاءات أمريكا ودول اوروبا عمقت ورسخت هذه الخلافات العربية حتى كاد الرجل يصاب باليأس والإحباط ، كما أثارت بعض مواقفه وتصريحاته في أزمات عربية ردود فعل غاضبة مثل موقفه في مؤتمر دافوس الذي انسحب خلاله رئيس وزراء تركيا (رجب أوردغان) احتجاجا على كلمات شيمون

بيريز رئيس إسرائيل الذي صفق له المجتمعون رغم دماء الفلسطينيين التي لم تكن قد جفت بعد بسبب حرب الإبادة التي شنتها إسرائيل عليهم في غزة ، وبدا أن عمرو موسي كان سينسحب هو الآخر لكنه تراجع عن ذلك مما أوقعه في متناول المقالات والبرامج الغاضبة ، وقد كنت أنا شخصيا - رغم علاقتي به واعتزازي بشخصيته - أحد الذين أخذوا عليه العجز عن اتخاذ موقف مماثل لرئيس وزراء تركيا ، وقد برر هو بعد ذلك موقفه لكن المشكلة هي أن حجم التوقعات منه كان أكبر بكثير من حجم تبريراته بالرغم من وضوح تأثير الواقع العربي الذي عبر هو عنه قائلا : « إنني غاضب أشد الغضب ، ومحبط كثيرا من الوضع العربي » ، ومع ذلك فإنه لم يفقد حماسه وديناميكيته ، وبذل مجهودا كبيرا في محاولات التوفيق بين وجهات النظر المصرية والسورية والسعودية لاحتواء الأزمة التي اجتاحت العلاقات بينهم بسبب إيران ، ويحسب له تصريحه الذي لم يلق قبولا من بعض القادة العرب عندما قال : « إن العدو الحقيقي لنا نحن العرب هو إسرائيل وليس إيران وإن الخطر الحقيقي في المفاعل النووي الإسرائيلي وليس المفاعل الإيراني » ، ومن الطبيعي أن مثل ذلك التصريح أضاف المزيد من كراهية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية له لأنه يؤكد رؤيتهم له بأنه قومي شعوبي ضد إسرائيل ، ولعل ذلك قد انعكس على ردود فعلهم إزاء ما نشر عن رغبة بعض الجماهير في ترشيحه لرئاسة الجمهورية في ٢٠١١ إلى جانب بعض الأسماء الآخرى مثل الدكتور محمد البرادعي و الدكتور أحمد زويل ، وإن كان عمرو موسي قد تحفظ بشكل أو بآخر في إبداء رأيه وموقفه من قبول الترشيح أو عدم القبول ، ويفسر البعض ذلك بأنه انتظر حتى يعرف الموقف النهائي للدكتور محمد البرادعي الذي تعرض لبعض الحملات الإعلامية المضادة في مواجهة الحملات المؤيدة له سواء في الصحف أو الانترنت ،

وظل فريق من المتحمسين له يثقون في فرص نجاحه لو تقدم للترشيح وذلك لما يتمتع به من كاريزما وما اتخذه من مواقف وطنية وعربية .

من أقواله :

- السياسة والعمل الدبلوماسي هما كل حياتي .

- لست آسفا على أنني توليت منصب الأمين العام ولكنني آسف على الوضع العربي الراهن .

- قلت قبل أن تشن أمريكا وبريطانيا حربهما الظالمة على العراق بدعوى تحقيق الديمقراطية للشعب العراقي .. إن الدبابات لا تحقق الديمقراطية.

- لا أعرف عدد الساعات التي أقضيها في العمل يوميا ولكن كل وقتي وجهدي للعمل علما بأنني أعتدت أن أبدأ يومي في الصباح المبكر .

- الاجتهاد مهم جدا في الحياة حتى ينجح الإنسان وعلى الواحد منا أن يكتشف نقاط الضعف في حياته ومعلوماته ويجتهد حتى يستكملها .

- الدبلوماسية ثقافة وخبرة وعلم وفن .

- الثقافة هي السلاح الأهم في شخصية الإنسان وفي تكوينه .

- لقد أبتلي العرب بتيارات أعادتهم سنوات إلى الوراء .

- مستقبلي لن يحدده موقف في ندوة وأعلم أن خصومي فرحوا بما حدث في دافوس .

- الص ورة سيئة تماما والعالم العربي وصل إلى حالة انفصام خطيرة وإن ظل الإنقسام على ما هو عليه سنقول « والله يا إخواننا متأسفين شوفوا حد غيرنا » .

- اتفاقي مع مواقف السعودية ومصر ليس عيبا ، وإقصاء إيران عن المنطقة

مستحيل ويجب تصحيح مسار العلاقات العربية ـ الإيرانية .

- لست ضحية للإنقسام العربي ، والمصلحة العربية هى ضحية هذا الإنقسام .

- نبذ العنف لا يعني التخلي عن المقاومة .

- لا أحاول أن أرضي أحدا سواء رجل السلطة أو رجل الشارع ومواقفي تخضع لقناعاتي الشخصية .

- من حق جمال مبارك أن يساهم في الحياة السياسية كمواطن ، لكن ظروفه طبعا خاصة واستثنائية .

- هناك قلق على المستقبل لكنه ليس بالضرورة موجها ضد النظام ويجب ألا يكون مدعاة للحساسيات .

- ما أنجزته خلال ٨ سنوات بالجامعة العربية لا يقارب ما كنت أتمناه والواجب يجب أن يؤدي على أكمل وجه .

- كنت وما زلت أقف ضد التوجهات المشبوهة التي تستهدف تصفية القضية الفلسطينية وتقديمها لإسرائيل على طبق من ذهب .

- أسجل بثقة أن جامعة الدول العربية هي التي أثارت بقوة موضوع الإستيطان .

- في التسعينات من القرن الماضي ومع إطلاق مؤتمر مدريد للسلام كانت القضية الفلسطينية تكسب أرضا وتتقدم نحو إمكانية حل متوازن غير أن الأمور تغيرت فجاءت مرحلة الجمود ثم انتقلت القضية من الجمود إلى التراجع .

- أخطأنا بقبول عملية سلام مفتوحة وقد حذرت منها ، والمؤكد أن أي أتفاق للسلام لن يتحقق إلا إذا غيرت إسرائيل جديا من مواقفها .

- العجز الأمريكي عن موقف الإستيطان أصبح أمرا كاشفا عن المدي الضيق

للآفاق المتوقعة من أي جهد دبلوماسي .

- عرض نتنياهو للسلام يتحدث عن جالية فلسطينية على أرض اليهود ، وهذا أمر مرفوض طبعا .

- قواعد الترشح لرئاسة الجمهورية معقدة وقد تصعب الأمور .

- رسالة المواطنين الذين يتحدثون عن ترشحي للرئاسة وصلتني واتخاذ قرار في ذلك يخضع لاعتبارات عديدة .

- لدي طموحي في الإسهام في إيقاظ مشروع نهضة مصر وتحديثه وجعله مصدرا لإشعاع ثقافي واسع ولجامعات تجتذب الصفوة ونظام اجتماعي قادر على احتواء التباين وجعله تنوعا وكذلك لانفراجة اقتصادية قادرة على تلبية متطلبات واحتياجات المواطنين .

- في أكثر من مرة كنت على شفا الاستقالة من الجامعة العربية ولكنني خشيت على كيان الجامعة .

- المجتمع المصري في حالة اضطراب كبير .. والتعليم يخرج لنا سلعة غير مطلوبة لا في الداخل ولا في الخارج .

- كم كنت أتمنى أن نستفيد من زخم وعلم الدكتور أحد زويل وكذلك الدكتور مصطفي السيد ومن هم في مثل علمهما وأمجادهما .

- البرادعي يعبر عن موقفه بالطريقة التي يراها ولكن لا يصح أن يتعرض للهجوم بهذا الأسلوب ، وأقول لمن نجح في إرهابه « لو أرهبت واحد الثاني جاي ، والثالث بعده .. وهكذا » .

- ما دامت الحكومة لا تخضع للمساءلة البرلمانية فأنها تستطيع أن تفعل أو لا تفعل وباتت لنا نظرية « أنت تتكلم إذن أنت أنجزت » .

- لا يجب أن نضع كل من يتحدث عن تعديل الدستور في خانة الأعداء .

- في أي أمة يجب أن نخشي المواطن والقانون ، فإذا كان المواطن ليس له في العير ولا في النفير فلماذا نخشاه ، وإذا كان القانون به دهاليز ومنافذ فلماذا نخشاه (هذا هو لسان الحكومة بالضبط) .

- سأترك جامعة الدول العربية بعد أقل من سنة ونصف السنة وبعدها من حقي أن أكون ممن يستند إليهم المجتمع في مسيرة تطوره .

- الطريق إلى رئاسة الجمهورية مغلق ! .

- المادة « ٧٦ » مقيدة للغاية أمام من يريد أن يترشح ، والمادة « ٧٧ » ضد سنة الحياة فمن المعقول جدا أن يكون هناك إطار زمني محدد لمنصب رئيس الدولة .

- أنا مع الإشراف القضائي على الانتخابات في أسرع صورة ممكنة .

- لا أري عيبا أو نقيصة في الرقابة الدولية للانتخابات .

- ترشحي للرئاسة من خلال أي حزب عملية رخيصة وانتهازية سياسية

- أعتقد أن الرئيس حسني مبارك سيرشح نفسه للرئاسة القادمة ، وفي هذه الحالة سيكون سيناريو الانتخابات والمرشحين مختلفا عن السيناريو في حالة عدم ترشحه.

- إذا ترشح جمال مبارك للرئاسة في عهد والده فلا ينفع أن نكون مجرد مشاهدين ! .

- أنا رجل عملي ولست حالما كما أن السياسة يجب أن تقوم على الجدية وليست مجرد المنظرة ! .

- مصر قادرة مثل دول متوسطة الحجم في المنطقة على تحقيق طفرة في النهضة ، ومثال تركيا وما حققه رجب أردوغان واضح للجميع .

- أرى أن المجتمع المصري مازال يريد البناء فوق ما تم ومازال يريد انجاز المزيد .

- أن يطمح شاب وتكون لديه رغبة في القيام بدور في الحياة العامة قد يكون ذلك مقبولا أما أن يكون راغبا في أن يصبح رئيسا للجمهورية فهذه مسألة تحتاج للمتابعة من الجميع .

■ ■ ■

المشرع .. الدكتور « مفيد » .. جداً !!

[٧٤ عاما]

أطلق عليه والده اسم « مفيد » وكان الإسم يبدو غريبا ، لكنه يعبر عن رغبة والده رجل التعليم في أن يكون ابنه مفيداً لأسرته ولوطنه وأمته ، ويبدو أن الاسم « النبوءة » قد حقق صاحبه معناه بالفعل ، خاصة وأن الوالد لم يبخل عليه بشيء منذ الصغر فأدخله المدارس الفرنسية حيث أتقن الفرنسية والإنجليزية إلى جانب اللغة العربية ، وربما بنفس المنطق اختار الالتحاق بكلية الحقوق حيث اتجه إلى دراسة القانون الدولي ، ومنها إلى الالتحاق بالسوربون في فرنسا حيث حصل على الدكتوراه ، وليعود بعد ذلك ليعمل مدرسا للقانون الدولي بجامعة القاهرة التي صار رئيسا لها بعد ذلك وتحديدا من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٧ ، وهكذا بدأت رحلته في العطاء العلمي ثم السياسي ، وليس من قبيل المبالغة أن نقول انه في كل مراحل حياته كان ومازال « مفيداً » بحق ، على كل المستويات ، فإذا كان قد أفاد نفسه بالعلم والمناصب الأكاديمية ومن ثم أفاد طلبته وزملاءه ، فإنه قد أفاد أيضا نفسه ووطنه وأمته من خلال المواقع السياسية التي شغلها ومازال ، وهذا ما تجسده سيرته الذاتية التي تقول :

الدكتور مفيد محمود شهاب ، وزير الشئون القانونية والمجالس النيابية حاليا - وزير شئون مجلس الشورى سابقا - وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي الأسبق - رئيس جامعة القاهرة الأسبق .

النشأة :

- ولد في يناير ١٩٣٦ بالإسكندرية .

– حصل على ليسانس الحقوق من جامعة الاسكندرية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف في يوليه ١٩٥٦ وكان ترتيبه الأول على دفعته .

– حصل على الدكتوراه في القانون الدولي من جامعة السوربون في عام ١٩٦٤ .

– صار أمين منظمة الشباب من عام ١٩٦٨ حتى ١٩٧١ .

– تم اختياره مستشارا قانونيا للصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي التابع لجامعة الدول العربية من عام ١٩٧٨ وحتى عام ١٩٩٧ .

– اشتغل بالمحاماه والاستشارات القانونية من عام ١٩٨٤ وحتى عام ١٩٩٧ .

– انتخب رئيسا لاتحاد الحقوقيين المصريين في عام ١٩٩٤ .

– قام بدور كبير في مفاوضات طابا ، وكان عضو فريق الدفاع المصري بمحكمة التحكيم الدولي بجنيف حيث تأكد حق مصر في « طابا » .

– تم اختياره قاضيا بالمحكمة الدولية الدائمة للتحكيم في لاهاى منذ عام ١٩٨٨.

– رأس جامعة القاهرة في الفترة من عام ١٩٩٣ إلى عام ١٩٩٧ .

– تولي رئاسة جمعية الصداقة المصرية ـ الفرنسيه منذ عام ٢٠٠٣ .

– مثل مصر في عدة لقاءات دولية على مستوى الأمم المتحدة والجامعة العربية ومنظمة الفرانكوفونيه .

– رأس لجنة التحقيق في أسباب النتائج الهزيلة للبعثة المصرية الرياضية في الدورة الأولمبية في الصين .

– اشترك في الإشراف على أكثر من ٤٠ رسالة دكتوراه في القانون الدولي في مصر وتونس والمغرب وسوريا وفرنسا وبلجيكا .

– له ست مؤلفات حول القانون الدولي ، وجامعة الدول العربية والكويت ، والمنظمات الدولية ، إلى جانب أبحاثه ومقالاته التي نشرت وتنشر في الصحف والمجلات المصرية والعربية .

– نال وسام الفاتح من سبتمبر من رئيس الجماهيرية الليبية عام ١٩٩١ .

– نال وسام ضابط جوقة الشرف من الحكومة الفرنسية بدرجة فارس في عام ١٩٩٥ .

– نال وسام الاستحقاق من الرئيس الإيطالي عام ١٩٩٨ .

– نال وسام البحرين من الدرجة الأولى عام ٢٠٠١ .

– نال وسام جامعة بودابست بالمجر .

– نال الوسام الأكبر للاستحقاق من الجامعة الفرانكفونية عام ٢٠٠١ .

– نال ثلاث دكتوراه فخرية (من جامعة لوران أو دفوس بالمجر ـ وجامعة السوربون الجديدة ـ وجامعة طشقند بجمهورية أوزبكستان)

– وهكذا أفاد الدكتور « مفيد » نفسه ووطنه وأمته بما توفر له من علم غزير ، وكذلك بما حصله من خبرة وحنكة سياسية عاليا ظهرت بوضوح في مختلف المواقع التي شغلها مع اختلاف العصور والظروف والتوجهات ، كذلك كان وما زال نموذجا لمن يعشق عمله ودوره حتى انه مثلا يقضي معظم وقته في عمله .

من أقواله :

– إنني أدير حياتي بأسلوب تنظيمي ومنطقي تعودت عليه منذ نشأتي الأولى .

– « منظمة الشباب » تجربة ثرية أفادتني كما خلقت كوادر واعية ويجب تقييمها في ظل ظروف وجودها .

- علاقاتي الطيبة مع رئيسي مجلس الشعب ومجلس الشوري تتيح لي التنسيق ونجاح العمل البرلماني .

- ثقة الحكومة وزملائي الوزراء تمنحني حرية التصرف ومعالجة موضوعات كثيرة دون الرجوع إليهم .

- علاقتي بالنواب طيبة و الاحترام متبادل رغم عنف نواب المعارضة احيانا .

- أصلي الفجر وأنام وأبدأ يومي في العاشرة صباحا .

- إذا كانت مهمتي كوزير للشئون القانونية والمجالس النيابية هي الدفاع عن الحكومة أمام البرلمان فإن هذا لا يمنع قبول الآراء والاقتراحات من المعارضة من آجل دعم مسيرة التطور والتنمية .

- الأحزاب تتحمل مسئولية دعم المرأة في الشارع السياسي في مواجهة الموروث الثقافي الذي يعوقها في بعض قطاعات المجتمع .

- التدرج في تطبيق اللامركزية بالمحليات يتفق مع طبيعة الحياة السياسية المصرية منذ فجر التاريخ في حماية تماسك المجتمع .

- مصر لن تفرط في حقها التاريخي والقانوني في مياه النيل لأنها قضية حياة أو موت ونرفض الإضرار بحق أي طرف من الأطراف المعنية .

- نحذر من خطورة قيام شركات ودول أجنبية بشراء أراضي زراعية في منابع النيل .

- ما يتردد عن استبعاد الحرس القديم في الحزب الوطني مجرد شائعات.

- على الحكومة أن تبذل جهدا لتسويق سياساتها للجماهير حتى يتعاطفوا معها .

- مصر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية بحكم الدستور المصري .

- مصر تكن تقديرا كبيرا لكل الدول العربية وتتعاون معها وفي نفس الوقت لا تقبل التجاوز في حقها .

- إصلاح وتفعيل دور الأمم المتحدة من أهم القضايا التي تتبناها مصر وسوف تطرحها حركة عدم الانحياز .

- لا يجب أن يكفر الشباب بالوطن حتى لو كان فيه أخطاء وفساد فلا بد من الانتماء مهما كانت دوافع السخط على أوضاع قائمة .

- بعض النواب يحتاجون إلى تدريب وتثقيف ومعظم الاستجوابات عبارة عن استفسارات من الحكومة .

- لا أتدخل في أية مشاحنات أو اعتداءات بين النواب لكنني كمواطن أري محاسبة النائب المتجاوز بشدة .

- التدريس عشقي الأول وأكبر خطأ أنني تركته .

- تعودت على أسلوب الحوار ، لذلك نادرا ما أنفعل أو أهين الآخرين .

■ ■ ■

المناور : ذراع الرئيس اليمنى !

[٧٢عاما]

لم تكن صفة « المناور » هى وحدها التى أطلقها عليه بعضهم ، ولم تكن صفته «كذراع الرئيس اليمنى» هى أيضا وحدها التى يطلقها عليه الكثيرون فهو أيضا لدى البعض «الرجل الغامض» ، وهو أيضا لدى أبناء دائرته دائرة الزيتون بالقاهرة ! «العمدة » ، ولعل هناك صفات أخرى تلقى أضواء أخرى على شخصيته : فهو «الدكتور زكريا عزمى » رئيس ديوان رئيس الجمهوريه ، وهو الموقع الذى أهله ليكون ذراع الرئيس اليمنى خاصة وأنه لديه من الإمكانيات والمقومات ما جعله جديرا بالفعل بهذا اللقب والمعروف أن علاقته بالقصر الجمهورى بدأت منذ أكثر من أربعة وأربعين عاما ، وتدرج فى المناصب حتى بلغ ذروتها كرئيس للديوان ، ويذكر أنه من القلائل - أو ربما الوحيد - الذى لم تتناوله فى أى وقت إشاعة الخروج من اطار القصر الجمهورى طوال تلك السنوات مما يؤكد قدرته على اكتساب ثقة الرئيس وتجاوز أية مخطط لإبعاده عن موقعه الأثير لديه ، والمعروف أن الدكتور زكريا عزمى الذى ولد فى٢٦/ ٦/ ١٩٣٨ بدأت مسيرته فى مقر الرئاسه عام ١٩٦٥ بالحرس الجمهورى بعد خمس سنوات من تخرجه فى الكليه الحربية وحصوله على بكالوريوس العلوم العسكرية وفى العام الذى حصل خلاله على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة انتقل الى الحرس الجمهورى ، ثم تمت ترقيته ليصبح قائدا لإحدى الكتائب المدرعة بالحرس فى عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وعقب ترقيته حصل على دبلوم العلوم الجنائية فى عام ١٩٧٠ ، ثم نال دبلوم القانون الدولى فى عام ١٩٧٢ والدكتوراه فى القانون الدولى العام ، حول

موضوع « حماية المدنيين فى النزاع المسلح » حتى أن زملاءه قالوا : أنه كلما تمت ترقيته كان يدعمها بالحصول على مؤهل علمى جديد، بعد ذلك بدأت مرحلة أخرى فى حياته عندما تولى منصب رئيس الشئون السياسية بمكتب الرئيس أنور السادات فى عام ١٩٧٣، ثم عمل بسكرتارية الرئيس للمعلومات فى العام ذاته ، الى أن تم انتدابه مديرا لمكتب رئيس ديوان رئيس الجمهورية بعد عام واحد أى فى عام ١٩٧٤ ، وبعد تولى الرئيس حسنى مبارك بأربع سنوات أى فى عام ١٩٨٥ تولى الدكتور زكريا منصبه كرئيس للديوان وسرعان مانال الثقة الكاملة من الرئيس حتى أنه عندما اقترب من سن المعاش والخروج من الخدمة استصدر الرئيس من مجلس الشعب قانونا جديدا يسمح له بالبقاء فى منصبه ، وصار راتبه يتعلق برئاسة الجمهورية ، وبذلك كان أول من يصدر له خصيصا هذا القانون مما يؤكد جدارته بأن يكون « الذراع اليمنى للرئيس » على مدى عشرات السنين التى كان خلالها - ومازال - أقرب ما يكون للرئيس ، وكاتم أسراره والمدرك لطباعه وعاداته الخاصة والعامة وحامل ختم الرئاسة ، وختم الرئيس ومن ثم لم يعد مجرد أحد رجال الرئيس العاديين لما اكتسبه من قوة ونفوذ يفوق ما لدى الوزراء وحتى رؤساء الوزارات . أما لماذا أطلقوا عليه صفة «المناور» وصاحب الأقنعة الأربعة فذلك لأنه يلعب دور المعارض القوى في جلسات مجلس الشعب ومن خلال تصريحاته ويكفي مثلا الإشارة إلى مقولته المشهورة « الفساد في المحليات وصل للركب » ، وما يثير دهشة البعض أن الرجل الذي يطلق هذه العبارة له صلته الوثيقة بالحكومة وما تضمه من « محليات » وبالحزب الوطني الذي تمثله الحكومة وينتمي هو إليه في أكبر المواقع ، وهكذا يكون معارضا شرسا إذا أراد ، وموظفا تقليديا أمام الرئيس في الوقت المناسب وحزبيا ملتزما في كل المواقع التي تنقل فيها داخل الحزب الوطني الذي بدأ صعوده السياسي من خلاله في عام ١٩٧٨ عندما تولي منصب أمين الحزب

بمنطقة الزيتون التي يمثلها في مجلس الشعب ، ثم صار أمينا مساعدا للحزب في العاصمة في ١٩٨٧ ، وتم اختياره عضوا بالأمانة العامة في عام ١٩٩٣ إلى أن صار الأمين المساعد للحزب لشئون التنظيم والعضوية والمالية والإدارية والرجل الثاني فيه بعد صفوت الشريف الأمين العام.

وهكذا مع اختلاف الأدوار والأقنعة استحق أيضا صفة « المناور » وصفة الرجل « الغامض » الذي يغيب عن البعض ما يتمتع به من نفوذ واسع وقدرة على لعب الأدوار المختلفة والمتناقضة أما صفة (العمدة) فهي التي يطلقها عليه أبناء «دائرة الزيتون » حتى أن البعض يطلق على الزيتون لقب « دائرة العمدة » ، ويكفي أن الدكتور زكريا يمثل هذه الدائرة في مجلس الشعب منذ عام ١٩٨٧ وينجح دائما في الانتخابات مكتسحا منافسيه حتى أنه ينجح أكثر من مرة بالتزكية لتراجع الآخرين عن منافسته لما يعلمونه جيدا عن حجم الخدمات التي يقدمها للدائرة وارتباطه بأهلها حيث أنه يحرص على عقد اجتماع أسبوعي معهم يستمع إليهم ويتفهم مطالبهم وشكاواهم ، كما أنهم ينبهرون بأدائه تحت قبة البرلمان وجرأته في انتقاد الحكومة ومعرفته الوثيقة لخبايا المحليات وغيرها خاصة وأنه كان وكيلا للمجلس المحلي للقاهرة لعدة سنوات مما اتاح له فرصا عديدة للتعرف على الأداء الحكومي وروافده المختلفة ، وإذا كان حديثه عن « الفساد الذي وصل إلى الركب» يرتبط بالعمل المحلي فإنه صال وجال تحت قبة البرلمان معارضا لبعض القرارات كموقفه المفاجيء أثناء الاجتماع الساخن الذي شهدته اللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب حيث ناقشت اللجنة صفقة بيع بنك القاهرة ، وإذا به يشن هجوما حادا على تفاصيل تلك الصفقة ، ويتهم الحكومة بعدم احترام الرأي العام ، بل انه وصل في هجومه اللاذع إلى أن يتساءل عما إذا كان بيع بنك القاهرة يمثل اختراقا أجنبيا

للقطاع المصرفي ؟! ، كما أنه وجه انتقاده الصارخ لرئيس الوزراء نفسه قائلا : إن مصداقيته كرئيس للوزراء تتراجع وتقل عندما يصرح بأنه لا توجد أي نية لبيع البنك الأهلي أو بنك مصر ثم يترك المجال لسيطرة الأجانب على البنك « مين يضمن غير ربنا ؟! » .

ويواصل د. زكريا انتقاداته للحكومة حتى أن البعض يتصور أنه يمهد بذلك لتغيير وزاري ، خاصة بعد انتقاده العنيف لوزير النقل في جلسة برلمانية صاخبة ، بعدها استقال الوزير .

وإذا عدنا إلى دوره الغامض والخفي فإننا نتوقف فورا أمام إنشاء حزب الأمة في عام ١٩٨٠ برئاسة خاله « أحمد الصباحي » بهدف العمل لصالح الرئيس ، وهذا ما ظهر بوضوح عندما دخل رئيس الحزب انتخابات رئاسة الجمهورية عام ٢٠٠٥ لدعم الرئيس مبارك علنا ويكفي أنه عندما سأله صحفي عن برنامجه إذا نجح في الانتخابات ، رد على الفور قائلا : « لا قدر الله .. لا قدر الله .. إنني لو فزت سأتنازل فورا للرئيس مبارك » بل أنه أعلن أنه أعطي صوته فعلا للرئيس ولم يعطه لنفسه !! .

من جهة أخرى تعرض الدكتور زكريا أحيانا لبعض الغمز واللمز من صحف المعارضة بدعوى مساندته لبعض رجال الأعمال مثل صاحب قضية العبارة ، لكنه سريعا ما يتجاوز تلك المواقف ، ويزول الغبار الذي اعتقد البعض أنه لحق بشخصية الدكتور زكريا ، والمؤكد أنه بلباقته وذكائه وعلاقاته الطيبة بالكثيرين حتى من أقطاب المعارضة ، والمهارات التي اكتسبها من العمل الشعبي والبرلماني والسياسي ينجح في ذلك .

هذا ... ولعلها بخبرة العمل البرلماني والسياسي أيضا يتصف الدكتور زكريا

عزمي بالتواضع والمرونة والاستعداد للحوار مع الآخرين حتى لو اختلفوا معه ، وقد لمست أنا شخصيا هذه الصفات فيه عندما جمعتنا عضوية مجلس الشعب في دورة ٢٠٠٠ ، كما كنت ألاحظ حرصه على الإلمام بتفاصيل أي موضوع قبل أن يرفع يده طالبا الكلمة من رئيس المجلس الدكتور فتحي سرور ولا يفوتني أن أشير إلى أن طلبه للكلمة من المنصة كان يستجاب له فورا .

هذا وقد حصل الدكتور زكريا عزمي على نوط الشجاعة العسكرى ، ووسام الاستحقاق في عام ١٩٨٢ ، ووسام الجمهورية في عام ١٩٨٣ من الرئيس حسني مبارك .

■ ■ ■

الذكي : وزير الحرائق والقضايا الشائكة

[٧٢ عاما]

من بين الألقاب التي أطلقت عليه ، اخترت عنوانا لحديثي عنه لقب « وزير الحرائق » ، ولقب « وزير القضايا الشائكة » لأنه ارتبط بالموضوعين أكثر من مرة رغم أن لديه من الألقاب ما كان يسعده أكثر لو جاء على رأس هذا الحديث عنه ، فمثلا أطلق عليه بعضهم لقب وزير الحرائق لأن في عهده حدث حريقان كبيران اكتسبا أهميتها الإعلامية لمكانة وظروف كل حريق فحريق قصر ثقافة بني سويف وموت عدد من الفنانين أثار ضجة كبرى ، ثم جاء حريق المسرح القومي ليشعل نار الغضب والاحتجاج ، إلا أن حريقا ثالثا هو الذي جعلني أفضل ذلك اللقب ، وأعني به حديثه عن الكتب العبرية الموجودة بالمكتبات المصرية ثم اعتذاره في مقال نشر بجريدة لوموند الفرنسية عن ذلك واعتباره مجرد زلة لسان ، وجاء الاعتذار عقب تحركه لينال الترشيح لموقع مدير اليونسكو وتربص إسرائيل وحلفائها له ، حتى أن نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل وصفه بأنه متطرف ! .

أما لقب وزير القضايا الشائكة فذلك لاتباطه بعدة قضايا كان لها تلك الصفة ، وأثارت آراؤه عواصف وزوابع مثل موضوع حرق الكتب العبرية ، ودعوته إلى قبول الديانات الأرضية ووصفه لمن لا يقبلها بالمتخلف مما أثار ردود فعل عنيفة خاصة من قبل نواب الإخوان المسلمين ، واضطراره إلى الاعتذار بشكل أو بآخر موضحا أن ما كان يقصده هو ضرورة قبول الديانات الأخرى ، كذلك ارتبط بقضية شائكة أخرى عندما قال ان الحجاب زي طائفي وتخلفي ويهدد سلامة الوحدة الوطنية وأنه ليس مفروضا في الإسلام وهو مجرد عادة من عادات الماضي ،

ثم عاد ليقول أنه كان يعبر فقط عن رأيه الشخصي ولا يدعو لاعتناقه لأنه لا يرتدي عباءة الفقيه ولا يملك بالتالي إطلاق الفتاوى ! ولا ينسى معارضوه دعوته في عام ١٩٩٨ إلى الاحتفال بمناسبة مرور ٢٠٠ عام على العلاقات المصرية ـ الفرنسية ، رغم أن تلك الذكرى ترتبط بالحملة الفرنسية على مصر واقتحام خيول نابليون للأزهر الشريف .

هكذا خلق الوزير الفنان فاروق حسني الأجواء التي تنطلق منها مثل تلك الألقاب ، رغم إنجازاته ونشاطاته التي لا ينكرها أحد خاصة في مجال الآثار ويفخر كثيرا بما حققه في مصر الفاطمية .

والطريف أن أحلامه الأولي في مرحلة الصبا والطفولة انحصرت في أن يكون طبيبا ، أو محاميا ، أو قائد أوركسترا ، أو قائد غرفة عمليات حربية ، أو يكون رساما ، وذلك هو الحلم الذي تحقق فعلا وساعده في تحقيقه دخول كلية الفنون الجميلة ، لكنه ـ كما يقول ـ لم يحلم أبدا بأن يكون وزيرا ، بل إنه ـ على حد قوله ـ رفض في البداية منصب الوزير حين عرضه عليه د. عاطف صدقي ، والمثير أنه عندما دخل فعلا التشكيل الوزراي قابلته عاصفة من الاحتجاجات التي قادها مثقفون كبار كعبد الرحمن الشرقاوي وثروت أباظة ، لكنه بمقدرة خاصة تجاوز تلك المشكلة بل احتفظ بمقعد الوزير لأكثر من ٢٣ عاما ، وقد تجلت تلك المقدرة الخاصة في ذكائه وهدوئه وسيطرته على انفعالاته حتى مع الذين لم يتوقفوا عن توجيه سهام النقد إليه طوال تلك السنوات وهو يري أن المعارك يكسبها الأقوياء مهما بلغت ضراوتها ، ولعلني كنت شاهدا على ذلك عندما كنت عضوا في مجلس الشعب (٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٥) ولاحظت هدوءه وذكاءه في الرد على الاستجوابات وطلبات الإحاطة ، حتى أنه في بعض الحوارات الصحفية قال : « أنا في جميع

الأحوال مشتوم ! » ومعني ذلك أنه متيقظ ومتقبل لأي رأي كان من الممكن أن يفجر غضب أي مسئول آخر ، ثم انه كثيرا ما ردد أنه لو خير بين الفن والوزارة لاختار الفن ، وقد تقدم فعلا باستقالته بعد حريق قصر ثقافة بني سويف لكنها لم تقبل ، كما كان يتأهب مع كل تغيير وزاري لترك موقعه إلا أنه يحظي بمساندة معروفة .. والطريف أنه يجيد استخدام التعبيرات التي يوحي من خلالها بأنه لا يتمسك بأي منصب حتى لو كان منصب الوزير مثلما أشار إلى أنه يختار الفن قبل الوزارة ، وكما قال عقب ضياع فرصته في اليونسكو : « أنا لم أذهب لليونسكو بحثا عن الجاه والمال ، وأنا بداخلي عفريت يجعلني استغني عن كل المناصب » ، ثم يقول في موضع آخر : « حياة الوزير تختلف عن حياة الفنان ، يجوز أنا مسجون داخل الوظيفة والمسئولية بمعنى إنني من البيت إلى المكتب وهذه حياتي للأسف وبعد أن كنت حرا طليقا أصبح هناك قيد الوظيفة ، وفي حقيقة الأمر هو إشكال كبير لأن السياسي دائما متهم بأنه سياسي ، وعندما يصبح الفنان مسئولا سياسيا يتضاعف الهجوم عليه ، والذي يفهم هذا النوع من الفن ويدركه ويقدره سوف يقدر الكم الكبير من المعاناة ، ورغم ذلك فإنني في عملي بالوزارة متفائل بالمستقبل وسعيد بهذا التفاؤل ، وفي ظروف الظلام أجد طاقة نور جديدة وهذا ما يعطيني الفرصة للإنتاج وتنفيذ الأعمال والأفكار » .

لغة الأرقام والحقائق :

- ولد فاروق حسني في عام ١٩٣٨ بمدينة الإسكندرية التي لم يتوقف عشقه لها .
- تخرج في قسم الديكور بكلية الفنون الجميلة في عام ١٩٦٤ .
- أغلي لوحة باعها من أعماله ثمنها ٨٠ ألف دولار .

- عمل مديرا لقصر ثقافة الأنفوشي .

- تولي منصب مدير المركز الثقافي المصري بباريس عام ١٩٧٢ .

- ثم مدير الأكاديمية المصرية في روما من ١٩٨٢ حتى ١٩٨٦ .

- عين وزيرا للثقافة في عام ١٩٨٧ .

- قام بعمل وزير الإعلام إلى جانب وزارة الثقافة في عام ٢٠٠٤ ولمدة شهور فقط .

- أعلن في عام ٢٠٠٧ ترشيحه لمنصب مدير عام اليونسكو وشهد عام ٢٠٠٩ ضياع الفرصة منه رغم أنه كان قريبا للحصول عليها ، حيث خسر في الجولة الخامسة من التصويت أمام المرشحة البلغارية ، وقيل أن أمريكا وأوروبا كانت وراء مؤامرة حرمانه من المنصب ، وعلى أي حال يحسب له تقدمه في الجولات الأولي ، كما أنه صار شخصية دولية بما أثير حوله وما قام به لنيل أصوات الدول المختلفة في الترشيح للمنصب الدولي ، كما أنه أكتسب أرضا جديدة له كوزير للثقافة بما ناله من تعاطف الرئيس مبارك وعدد كبير من المثقفين ، هذا وقد كان فاروق حسني من بين عدة مسئولين ضمتهم قائمة من يمكن ترشيحهم من مصر لمنصب مدير اليونسكو وشملت القائمة أسماء الوزراء مفيد شهاب وهاني هلال وفاروق حسني وإسماعيل سراج الدين رئيس مكتبة الإسكندرية ، وقد وقع اختيار الرئيس مبارك على فاروق حسني الذي فاجأته في بداية نشاطه لحصد الأصوات إتهامات يهودية بأنه ضد التطبيع وأنه صرح ذات مرة بأنه يفضل -حرق الكتب العبرية ، والمؤكد أن تلك الإتهامات لاحقته حتى نجحت في إبعاده في الجولة الأخيرة .

من أقواله :

- قضيت أكثر من ٢٢ عاما وزيرا للثقافة ، وكنت أقول كفاية منذ ١٠ سنوات .

- أنجزت الكثير ومن يأتي بعدي سيكون سعيدا .

- د. ثروت عكاشة بني وزارة الثقافة ، ويوسف السباعي اهتم بالإعلام أكثر .

- اليونسكو منظمة أساسها إقامة السلام ، والنظرة للقدس يجب أن تكون موضوعية جدا بالنقاش مع كل الدول وهي ٥٨ دولة بالمجلس التنفيذي و١٩٤ دولة في المؤتمر العام حيث يناقش الموضوع وكل دولة تدافع عن رأيها وفي النهاية يكون القرار نتيجة لمحصلة الآراء .

- إدارة الرئيس الأمريكي السابق بوش وضعت ألغاما إسرائيلية أمام ترشيحي لليونسكو مما جعلني أبذل جهودا خارقة وأواصل تحركاتي واتصالاتي ليل نهار .

- اللوبي اليهودي كان ضدي بسبب القدس ، والحل تقسيمها إلى شرقية وغربية .

- المشروعات التي أنجزناها في الوزارة مشروعات عملاقة وفي مقدمتها المتحف الكبير ، وقصور الثقافة .

- جاء الوقت الذي كنت فيه أقدم وزير ، لكنني لم أشعر بمرور الزمن لأنني كنت مسروقا في العمل المتواصل .

- أنا فنان قبل أن أكون وزيرا .

- أي فنان لديه حلم لا يتحقق ولو شعر أنه حقق كل أحلامه يكون قد مات وحلم الفنان هو مرسمه وتلاميذه وتأثيره في العالم بفنه وحضوره ونفوذه .

- في بيتي تمثال نصفي لعبد الناصر .

- عشت الحياة كما يجب « اتحبيت وحبيت » ولم ينقصني شيء سوى الارتباط بزوجة وأولاد ، وعلى أي حال الزواج قسمة ونصيب ، فأنا خرجت من مصر صغيرا وعشت ٩ سنوات في باريس ومثلها في إيطاليا وعندما عدت لمصر كانت النظرة للزواج قد تغيرت .

- أدفع أحيانا ثمن ثقتي الزائدة في المعاونين والمساعدين .

- أكره صديقي لو عمل معي وفشل .

- أعتقد أن وزارة الثقافة اكتسبت شعبية كبيرة وأصبحت تلقي تأييدا كبيرا جدا من قطاعات مختلفة من الشعب .

- هناك من لهم رؤية محددة ومعينة في العمل الثقافي « محفوظة » ولا مشكلة في ذلك ، ولكن دائما لا بد أن يكون للود وصل لا ينقطع سواء مع من يتفقون أو يختلفون معك ! .

- كنت أتصرف أحيانا كوزير ثقافة فرنسا ، ومصر وثقافتها لا تقل حجما أو أهمية .

- أعتز بالتعاون والصداقة مع عدد ليس بالقليل من المثقفين مهما قيل إنني أدخلتهم حظيرة الوزارة .

- أنا عقلاني جدا رغم أنني رومانتيكي النزعة والحس ، إذ أن الجانب العقلاني عندي قوى للغاية .

- لا يهمني التغيير فأنا على استعداد للتعاون مع الشيطان لو سار ورائي.

- أنا من أشد المؤمنين بأن وزارة الثقافة لا بد أن يديرها المثقفون والفنانون .

- ليس معني الفشل في الترشيح لمنصب مدير اليونسكو أنني سأستقيل من منصبي كوزير للثقافة ، والرئيس مبارك وحده من يحدد بقائي من عدمه .

- دائما أحلم بالمهمة الصعبة وهي غسيل الأعماق من الإحساس بالعجز لأن العجز يولد عدم الثقة .

- عدت إلى الرسم لأجد لوحات جديدة تطل من ذاتي لتكشف لي اتجاها جديدا .

- يستطيع الإنسان أن يري بوضوح السنين التي مرت من عمره ، لكنه لا يستطيع حساب ما هو قادم من أيام ، ولعله سبب إحساسي بالحزن مع نهاية كل عام لأن بداية

سنة جديدة تعني انتهاء سنة من حياتي ، والمجهول قادم بكل ما يحمل من مفاجآت ومنحنيات .

– في رأيي أن الرسم كالإنسان يمكن أن يبرد أو يسخن بمعني أنه يحمل صفات الإنسان في لحظة فرحه ولحظة جفائه ، ولذلك شعرت أحيانا بأن الرسم بارد جدا وفي رأيي أن الفنان عندما يعمل في مرسمه يشعر بأن الحياة تدب في أوصاله وأن الحوائط والألوان والأقلام والأثاث تدب فيها الحياة .

– عندما قرأت خبر اختيار مجلة « الفنون الجميلة » الفرنسية لي كواحد من سبعين فنانا عالميا يقودون الحركة التشكيلية في العالم ، لم أصدق ما قرأته وأسبابي في ذلك تتحدد في سؤال روادني وهو : « هل من المعقول أن هذه المجلة استطاعت الوصول إلى كل فناني العالم ؟ أم أن الاختيار تم بشكل عشوائي ؟ » إنني أعتقد أن الفنانين الذين يقودون الحركة التشكيلية في العالم لا يقل عددهم عن مائتي فنان وليس سبعين فنانا فقط .

– كنت عازفا لآلة الفلوت ، وأحب الاستماع لكل أنواع الموسيقي منذ سنوات عديدة .

– أحب الاستماع لتلاوة الشيخ محمد رفعت وقد حفظت أجزاء من القرآن الكريم خلال استماعي لصوته ، أري أن الشيخ رفعت لديه إبانة رائعة جدا للألفاظ ومخارجها ولديه قدرة مدهشة على تلحين صوته وأري أن نسيج صوته لا مثيل له وهو من أرهف الأصوات وفيه زئير الأسد وهمس السحب ، أما الشيخ مصطفي إسماعيل فصوته مثل الكروان ولديه تنوع رهيب في طبقات صوته .

– الثقافة هي التي تؤثر في سياسة الشعوب أما السياسة فهي لغة الحكومات والمصالح ، ويمكن القول أن السياسة تفرق بين الدول ولكن الثقافة تجمع الشعوب

من خلال الإبداع الإنساني فكرا وخيالا .

– في مرحلة العمل الطويلة كان هناك كثيرون يقفون على الضفة الآخرى مني ويمتنعون عن التعاون والعمل ، ولم أجد بدا من أن أذهب إليهم وأعود بهم إلى أرض العطاء .

– انني في النهاية أمثل المفكرين والمثقفين والفنانين لدي الحكومة ، وأنا أمتاز بأن بداخلي نوع من التواؤم الشديد مع كل التيارات وطوائف الفكر والسياسة ومن ثم لا أصطدم بشيء واحد ، إنها صيغة رائعة جدا للحرية وقبول الآخر .

– المرأة لعبت دورا كبيرا جدا في حياتي كلها ، سواء وأنا في الإسكندرية أو باريس أو روما ، وقد عشت فترة طويلة في أوروبا والعلاقات الإنسانية هناك سهلة للغاية فلا تحكمها العقد الاجتماعية ، وعلاقاتي الخاصة الحميمة لا زالت في ذاكرتي ، وأحب الاحتفاظ بها .

– لم يسعدني الحظ بالزواج لكن المرأة لها تأثير كبير في حياتي ، وعلاقتي معها علاقة جميلة جدا ليس فقط كرجل وامرأة ولكن كفكر مقابل فكر .. فكر مغاير لفكر الرجل ، وهذا كان يكمل كثيرا من رؤيتي للعالم .

– هناك تأثير كبير في حياتي من أمي وأخي الأكبر ، وكان تشجيعهما لي بالغ الأهمية منذ الطفولة وبالمناسبة مرحلة الطفولة لم أشعر بها مثل الأطفال لعبا وعبثا وضحكا ، إذ من البداية كنت طفلا رساما ، ولدى وقت فراغ أقضيه في الرسم ، وكنت أبيع لوحاتي وأنا لم أتجاوز ١٣ سنة ، كما كنت طفلا محبا للموسيقي جدا ، وكان لدينا في بيتنا مكتبة كبيرة للموسيقي والكتب ، وقد احتفظت بهذه المكتبة وأضفت لها الكثير حتى أصبحت الآن مكتبة موسيقية نادرة .

– أمي كانت امرأة جادة ، ومدركة لمعني التربية لأن الوالد توفي ونحن أطفال

ومن ثم كان لابد لها أن تكون الأم والأب في نفس الوقت ، وكانت تحمل كل صفات الأمومة والجدية والحدة إذا تطلب الأمر ذلك ، كما أنها كانت تتمتع بأفق واسع ولذلك أدركت مواهبي الفنية منذ الصغر وشجعتني على ذلك حتى أنها أصرت على أن أدخل كلية الفنون الجميلة .

– ليس لي موعد محدد لممارسة الرسم ، لكن في الغالب أرسم بعد الظهر أثناء الغروب وبعد الغروب بقليل وفي الصباح أحيانا قبل ذهابي إلى مكتبي ، والتأمل هو أساس الموضوع ، ودائما أحب الهدوء والوحدة ، علما بان الوحدة تجعلني أتأمل وكثيرا ما أتأمل البحر والصحراء ، وفي رأيي أن البحر يثري الحالة النفسية والخيال وكذلك الصحراء بلونها الأصفر ، والنيل بسريانه الجميل يجعلني أتلامسه . كل هذا هو أساس إدراكي الفني وتعميق الرؤي بداخلي .

– الطاقة الفنية أقوى من أي شيء ، وقد قسمت طاقتي التي أستشعرها من فني إلى ابداع شخصي وإبداع للمجتمع ، وأنا سعيد جدا بوزارة الثقافة التي أبدع فيه للمجتمع ، والسلطة بعيدة جدا عن تفكيري .

– لم أدر ظهري لوزارة الثقافة ، ولكن ما حدث لي في ترشيحات اليونسكو شطرني لنصفين .

– المتحف الكبير الذي نواصل إنشاءه سيكون متحف القرن للإنسانية كلها وليس لمصر فقط .

– مؤتمر المثقفين يرسم سياسة مصر الثقافية لعشرين عاما قادمة .

– أتعجب للمثقفين الذين يتغيبون عن الأنشطة الثقافية ثم يشتكون ! .

– نحن دائما نبحث عن رؤي جديدة ونسعي كوزارة لتطوير أنشطتنا ومؤسساتنا . ولدينا مشاريع عملاقة .

المشير .. العازف عن الأضواء !!

[٧٥ عاما]

التقيت به في عام ١٩٩٨ عندما كنت أستعد لإجراء حوار مطول معه في ذكرى حرب أكتوبر ، كما التقيت به عدة مرات في الفترة من عام ٢٠٠٠ حتى عام ٢٠٠٥ وأنا عضو مجلس الشعب ، وفي كل مرة كانت تتأكد لدى صفاته التي تتسم بالتواضع والجدية والصرامة والدقة ثم العزوف عن الأضواء رغم أن موقعه كوزير للدفاع والإنتاج الحربي والقائد العام للقوات المسلحة يستنفر حماس الإعلام والإعلاميين للالتقاء به وإلقاء الضوء على أفكاره وتاريخه وإنجازاته ، وهذا ما حدث قبل ذلك مع المشير محمد عبد الحليم أبو غزاله الذي كان يتمتع أساسا بكاريزما هائلة تستقطب وحدها أضواء عديدة ، لكن المشير محمد حسين طنطاوي كان - ومازال - له رأي آخر ، وأذكر مثلا أنه أثناء لقائي به في مكتبه وجدته يتحدث بلهجة حادة مع أحد مساعديه حول تصريح نسبه إليه ، وكان رأيه أن موضوع التصريح لم يكن يستحق نشره وإذاعته ، ومن ثم فقد صار من الأمور العادية ألا تظهر صورته أو ينقل عنه تصريح ما إلا في المناسبات الهامة جداً مثل ذكرى حرب أكتوبر أو حفل تخريج طلبة الكليات العسكرية أو إجراء مشروع تدريبي كبير .

وقد انعكس ذلك - بصورة أو بأخرى - على قلة المصادر التي تتحدث عنه والتي كان من الممكن أن تضاعف من عدد الصفحات التي أفردها له في كتابي هذا ، ومن هذه المصادر القليلة عنه ما ذكره مثلا الدكتور عاطف عبيد رئيس الوزراء السابق الذي قال : « إنني زاملت المشير طنطاوي ، وهو من أفضل رجالات مصر ، وهو يملك رؤية خاصة بأن تحديث القوات المسلحة يجب أن يكون شاملا بمعنى أن يتم

الاهتمام بالمكون البشري مسكناً وإعاشةً وتدريباً بحيث تكون الرعاية الاجتماعية والصحية مواكبة للتدريبات ، وكذلك لاحظت أنه من المتابعين بدقة لما يجري في العالم ، وفي مجلس الوزراء يحضر الاجتماعات بملفات كاملة في جميع الموضوعات المدرجة على جدول الأعمال بحيث يكون كل موضوع قد تم إعداد دراسة كاملة عنه من الألف إلى الياء ، ولذلك فإنه في المناقشات يتكلم عن معرفة بما يثري الحوار ، وهو أيضا إنسان مهذب ولا يصدر عنه لفظ أو حركة تقلل من شأن الآخرين » .

ولعل ما ذكره الدكتور عاطف عبيد عن المشير محمد حسين طنطاوي - من واقع تجربته المباشرة معه في مجلس الوزراء - يؤكد ويضيف إلى الصفات التي تتسم بها شخصيته التي تكتمل صورتها من خلال النقاط والمعلومات التالية :

ولد محمد حسين طنطاوي سليمان بالقاهرة في عام ١٩٣٥ .

حصل على بكالوريوس العلوم العسكرية من الكلية الحربية في عام ١٩٥٦ .

اجتاز دورة كلية القيادة والأركان في عام ١٩٧١ .

اجتاز دورة كلية الحرب العليا في عام ١٩٨٢ ليحصل على الماجستير وزمالة كلية الحرب العليا .

خدم كضابط في جيش التحرير الفلسطيني بقطاع غزة .

صار عضوا بهيئة التدريس بالكلية الحربية .

صار عضوا بالبعثة العسكرية إلى أكاديمية شرشال بالجزائر .

خاض حروب ١٩٥٦ ، و١٩٦٧ ، و١٩٧٣ وحرب الخليج الأولى .

في حرب أكتوبر ٧٣ كان قائد الكتيبة السادسة عشرة التي سطرت ملحمة خالدة في هذه الحرب وتحديدا في معارك المزرعة الصينية وهي منطقة مشروع زراعي شرق

الدفرسوار على مساحة ٢٠٠٠ فدان ، وأقيمت هذه المزرعة قبل عام ١٩٦٧ وشملت قرية الجلاء ، وقد أطلق عليها اسم « المزرعة الصينية » بسبب وجود كلمات بالحروف اليابانية على بعض المباني حيث أن اليابان كانت تتعاون مع مصر في هذا المشروع ، ورغم أن الكلمات باللغة اليابانية إلا أن الإسرائيليين فسروها على أنها كلمات صينية ، وبالتالي اشتهرت المزرعة باسم « المزرعة الصينية » التي شهدت ملحمة بطولية في حرب أكتوبر كان المقدم محمد حسين طنطاوي من أبرز أبطالها حيث شهدت أيام الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر من شهر أكتوبر معارك طاحنة في هذه المزرعة التي كانت ضمن الخطة الإسرائيلية لمحاولة العبور إلى غرب قناة السويس وبهدف إقامة رأس كوبري على ضفتي القناة من أجل حصار الجيش الثاني والثالث ، ولكي تتم هذه الخطة كان من الحتمي أن تكون منطقة شمال نقطة الدفرسوار خالية من أية قوات مصرية إلى مسافة لا تقل عن خمسة كيلومترات شمالا لتأمين معبر الدفرسوار الذي يخططون لإنشائه وحتى لا تتعرض القوة الإسرائيلية لنيران الأسلحة الصغيرة والهاونات والصواريخ المضادة للدبابات وقد قررت القيادة الجنوبية الإسرائيلية تخصيص لواء مظلات بأكمله مدعم بكتيبة دبابات ومساندة جوية لتطهير الطريق من القوات المصرية ، وتحركت هذه القوات لكي تشن هجوما ليليا على الكتيبة ١٦ مشاه لهذا الهدف ، وهنا أصدر المقدم محمد حسين طنطاوي أوامره بحبس نيران قواته لحين وصول القوات الإسرائيلية ، وفي المساء تحركت فعلا كتيبة المقدم الإسرائيلي « إيزاك » حتى قطعت ثلث الطريق ، وبإشارة ضوئية من المقدم محمد حسين طنطاوي تم فتح نيران جميع أسلحة الكتيبة ١٦ مشاه ، واستمرت المعركة لمدة ساعتين ونصف الساعة حتى قبيل الفجر ، لتنتهز القوة الإسرائيلية المنهارة فرصة النهار ، وتسحب خسائرها من القتلي والجرحي ، ولكنها لم تستطع أن تسحب دباباتها المدمرة والتي

ظلت سحب الدخان تنبعث منها ، وجدير بالذكر أن صائدى الدبابات من جنود الكتيبة ١٦ أمثال إبراهيم عبد العال الذي دمر وحده ١٨ دبابة أثاروا الرعب والفزع في قلوب أطقم الدبابات الإسرائيلية ، وعندما تم توقيع اتفاقية السلام قام « موشيه دايان » وزير الدفاع الإسرائيلي الذي سقطت أسطورته هو الآخر في حرب أكتوبر وإنهار تماما ، بزيارة موقع المزرعة الصينية وقال بالحرف الواحد : (لم أستطع إخفاء مشاعري عند مشاهدتي لمئات الدبابات والعربات والمدرعات الإسرائيلية المدمرة والمحترقة والتي تناثرت أجزاؤها في كل مكان) ، وبعد ثلاثين عاما من الحرب وبعد زيارة قام بها لمصر « إسحق موردخاي » قال للمرافقين له : « لقد فوجئت بأن المشير محمد حسين طنطاوي وزير الدفاع المصري هو نفسه قائد كتيبة المزرعة الصينية » .

وبهذا الرصيد الكبير تقلد المشير محمد حسين طنطاوي مناصب قيادية هامة فتولي رئاسة عمليات فرقة مشاه آلية ، ثم تم اختياره ملحقا حربيا في سفارتنا بباكستان وأفغانستان ، وعاد ليتولي رئاسة فرع التخطيط في هيئة عمليات القوات المسلحة ، ثم صار رئيس أركان الجيش الثاني الميداني ، وصار قائد الجيش الثاني في يونيه ١٩٨٧ ، ومن هذا الموقع انتقل بعد عام إلى موقع قائد قوات الحرس الجمهوري ، ثم رئيس هيئة العلميات إلى أن تم تعيينه وزيرا للدفاع والإنتاج الحربي في ٢٠/ ٥/ ١٩٩١ ، وتجدد تعيينه وزيرا للدفاع والإنتاج الحربي وقائدا عاما للقوات المسلحة في ٤/ ١٠/ ١٩٩٣ .

وكان من الطبيعي أن يتقلد العديد من الأوسمة والأنواط مثل : « وسام التحرير ، وسام ذكرى قيام الجمهورية العربية المتحدة ، نوط الجلاء العسكري ، نوط الاستقلال العسكري ، نوط النصر ، نوط الشجاعة العسكرية ، نوط الواجب

العسكري ، نوط الخدمة الممتازة ، ميدالية جرحي أكتوبر ، ميدالية السادس من أكتوبر ، ميدالية تحرير الكويت ، ميدالية يوم الجيش ، وسام الجمهورية التونسية ، وسام الامتياز من باكستان ، وسام تحرير الكويت ، نوط المعركة من السعودية » .

هذا وقد اجتاز المشير طنطاوي أزمة صحية معروفة بما تمتع به من ثبات وما وفرته له « السلطة » من رعاية ودعم معنوي .

من جهة أخرى - ولأنه رياضي بمعني الكلمة - اهتم برفع مستوى الرياضة في القوات المسلحة ، حتى صعد إلى الدوري الممتاز لكرة القدم فريق حرس الحدود والذي فاز بكأس مصر ، وفريق طلائع الجيش الذي ينافس هو الآخر على المراكز المتقدمة في جدول الدوري العام ، كذلك أضافت القوات المسلحة الكثير والمتميز لرصيد مصر الرياضي من منشآت حازت على إعجاب الكثيرين في مصر والخارج ، ومثل استاد الجيش الذي أقيم بالسويس ، واستاد برج العرب اللذين يمثلان إضافة رائعة لمنظومة الرياضة في مصر حتى أن الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) أشاد بالاستادين ، كما أشادت الفرق الرياضية التي شاركت في بطولة كأس العالم للشباب بهذين الصرحين الرياضيين ، وكذلك قامت القوات المسلحة بتطوير حديقة مبارك بالسويس كمتنفس ثقافي واجتماعي ورياضي لأبناء المحافظة بما تضمه من ألعاب ترفيهية وقاعات أفراح وملاعب رياضية ، وقد بدأت القوات المسلحة في إقامة استاد رياضي عالمي آخر بمدينة الإسماعيلية ليكون صرحا جديدا لخدمة شباب المحافظة ومدن القناة ، وكعادته تابع ويتابع المشير محمد حسين طنطاوي خطوات مراحل تنفيذ هذه المنشآت الرياضية والاجتماعية التي تجسد العلاقة الوثيقة بين الشعب والقوات المسلحة سلما وحربا .

■ ■ ■

الوزير التاسع عشر للوزارة المكروهة !!

[٧٢ عاما]

في الدول التي لا تتمتع بالديمقراطية الكاملة أو التي تتعرض لمخططات داخلية أو خارجية لضرب استقرارها تتحمل وزارة الداخلية عبئا كبيرا يجعلها عادة مكروهة من الكثيرين الأبرياء والمذنبين ، وبالتالي يصبح قدر أي وزير للداخلية أن تنهال عليه الانتقادات والاتهامات وهذا هو بالضبط الحال مع اللواء حبيب العادلي الذي سبقه إلى منصب وزير الداخلية منذ قامت ثورة يوليه عام ١٩٥٢ ثمانية عشر وزيرا خرج منهم ثمانية من الوزارة نتيجة أزمات طاحنة ، مثل شعراوي جمعه الذي أقاله الرئيس أنور السادات في إطار تصفية مراكز القوى يوم ١٤ مايو ١٩٧١ ، ثم اللواء السيد فهمي الذي فشل في السيطرة على أحداث ١٧ ، ١٨ يناير ١٩٧٧ ، وفي عهد الرئيس حسني مبارك تمت استقالة اللواء أحمد رشدي في أعقاب أحداث الأمن المركزي ، ثم أقيل اللواء زكي بدر بسبب أزمته الشهيرة مع رجال النظام والمسئولين والأحزاب السياسية ، وبعده أقيل اللواء محمد عبد الحليم موسي بسبب قيامه بتشكيل لجنة مصالحة من علماء الأزهر والشخصيات الدينية للتفاوض مع قيادات الجماعات الإسلامية داخل السجون بعد أن عجز عن السيطرة على موجة العنف وقد اعتبرت الحكومة تشكيل اللجنة مساسا بهيبتها ، ثم تمت إقالة اللواء حسن الألفي بعد فشل وزارته الذي تجلي في مذبحة الأقصر ، وجاء بعده اللواء حبيب العادلي الذي حطم الرقم القياسي في البقاء في المنصب فإذا كان حسن الألفي - مثلا - خرج بعد ١٦٦٦ يوما لفشله في تأييد المنشأت السياحية ، فإن الوزير حبيب العادلي يشغل منصبه الوزارية لأكثر من ١٠ سنوات والمتوقع أن تزيد حيث أنه منذ

تعيينه وزيرا للداخلية في عام ١٩٩٩ يتم تجديد الثقة فيه مع أي تغيير أو تعديل وزاري ، وجدير بالذكر أن اختيار اللواء حبيب العادلي وزيرا للداخلية كان خروجا عن المبدأ الذي اتبعه الرئيس حسني مبارك في اختيار وزراء الداخلية حيث كان يفضل دائما تعيين وزراء ممن عملوا ضد الإرهاب في معقله بالصعيد ولذلك جاء بوزراء ثلاثة كانوا يتولون موقع محافظ أسيوط وهم زكي بدر ومحمد عبد الحليم موسي وحسن الألفي .

لكن مذبحة الأقصر التي أطاحت بحسن الألفي جعلت الرئيس مبارك يعدل عن طريقته الأولي في اختيار وزير الداخلية حيث أسند المهمة لمسئول له دراية كبيرة ويملك معلومات كثيرة عن العناصر والجماعات الإرهابية بهدف تنشيط عمليات التأمين والإرتقاء بها على أعلي مستوى ، وهذا ما توفر فعلا في شخصية حبيب العادلي الذي كان رئيسا لمباحث أمن الدولة ، وكما أنه حصل على نوط الامتياز من الرئيس مبارك مرتين في عام ١٩٨٦ وعام ١٩٩٧ وتولي الوزارة في ١٠/ ١٠/ ١٩٩٩ ، ولأن أسلوبه مختلف باختلاف سمات شخصيته فهو شخصية صارمة جداً رغم هدوئه وابتسامته التي يجيد رسمها على وجهه حتى أنه يقال أن نظرة عين واحدة منه لأحد مساعديه تقلب الدنيا رأسا على عقب ، وبهذا الأسلوب العقلاني المجرد تم ترشيحه للعمل في جهاز أمن الدولة حتى تولي رئاسته ومنه إلى الوزارة رأسا وبهذا الأسلوب اكتسب ثقة الرئيس حسني مبارك ، وان كان لم يكتسب حب الجماهير لطبيعة مسئولياته خاصة مع ما تثيره صحف المعارضة أحياناً عن التزايد الكبير في أعداد المعتقلين من الإخوان المسلمين وأحزاب وتنظيمات المعارضة وكذلك ما حدث في الانتخابات من عمليات تزوير لصالح الحزب الحاكم ، وان كان هو يرد على بعض ما يتعرض له من انتقاد بأن الإخوان المسلمين

يضخمون الحديث حول الاعتقالات وجرائم التعذيب في أقسام الشرطة لتحقيق مكاسب سياسية .

ومع ذلك فإن اللواء حبيب العادلي هو أكثر وزير تقام ضده دعاوى قضائية أمام مجلس الدولة بلغ عددها سبعة عشر ألف وسبعمائة وست وتسعين دعوى أغلبها من المعتقلين السياسيين ، ويقول أحد أصدقائه إن الرجل يفعل ما يطلبه النظام خاصة بعد أن توفرت لوزارته أكبر ميزانية في تاريخها وتوفرت لها بالتالي أسلحة ومعدات وسيارات عادية ومصفحة غير مسبوقة .

هذا وقد ولد اللواء حبيب العادلي في أول مارس عام ١٩٣٨ ، وحصل على ليسانس الحقوق ودبلوم المواد الشرطية من كلية الشرطة في عام ١٩٦١ وتلقي دورات تدريبية مختلفة ففي عام ١٩٦٣ تلقي دورة فرقة البحث الجنائي ، وفي عام ١٩٦٦ فرقة البحث عن الجريمة بالمركز القومي للبحوث الجنائية ، وفي عام ١٩٦٦ أيضا فرقة تخصصية في مجال مباحث أمن الدولة ، وفي عام ١٩٨٥ فرقة إدارة الأزمات بالولايات المتحدة الأمريكية ، وقد عمل أولا بالأمن العام ثم بإدارة مكافحة المخدرات ، وفي عام ١٩٦٥ عمل بجهاز أمن الدولة وتدرج حتى عين نائبا لرئيس الجهاز ، وفي عام ١٩٨٢ وحتى عام ١٩٨٤ انتدب للعمل بوزارة الخارجية ، ثم عاد إلى وزارته (الداخلية) حيث تمت ترقيته في عام ١٩٩٣ إلى رتبة مساعد وزير الداخلية ، ثم مساعد أول الوزير لمنطقة القناة وسيناء ، ثم مساعد اول الوزير مديرا للأمن والمنطقة المركزية وفي ٥/ ٢/ ١٩٩٦ ، وعين مساعد أول الوزير لجهاز مباحث أمن الدولة في ١٨/ ١١/ ١٩٩٧ إلى أن عين وزيرا للداخلية في ١٠/ ١٠/ ١٩٩٩ .

من أقواله وتصريحاته :

- إذا كان الإخوان المسلمين يستعدون للإنتخابات البرلمانية القادمة فليستعدوا

ونحن نتابعهم طبعاً .

- المواطن المصري أصبحت لديه مناعة واضحة ضد الممارسات والإدعاءات الكاذبة ، وبالتالي ضد كل ما يشاع عن محاربة أجهزة الدولة للإسلاميين .

- وزارة الداخلية تلقي القبض فقط على المخالفين أو الذين يرتكبون الجرائم وعلى من يريد معرفة عدد المعتقلين الفلسطينيين مراجعة من خالف منهم القانون ودخل إلى مصر متسللا أو ارتكب جريمة فيها .

- الصحافة تشهد حرية كاملة والإعلام بصفة عامة يحظي بكل حرية حتى أن البرامج الفضائية لم تترك شيئا دون أن تتحدث عنه .

- بعض الإعلاميين يخلطون بين ما هو حقيقي وما هو مخالف للواقع ، وعلى أي حال الناس لديها الآن الوعي الكافي للتفريق بين البرامج الصادقة والبرامج الكاذبة .

- وزارة الداخلية لا تتعامل إلا مع المنظمات الجادة ، ونحن نعلم أن بعض المنظمات تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان لكنها في الحقيقة لها أغراض أخرى لا تخفي علينا .

- مادة حقوق الإنسان يتم تدريسها للطلبة في كليات الشرطة ، وأكثر الفئات حاجة للرعاية الإنسانية هم السجناء الذين نحرص على رعاية شئونهم كاملة وتوفير الظروف الآدمية والإنسانية لهم طول مدة سجنهم.

- تم استرجاع عدد من المصريين الهاربين إلى الخارج بشكل قانوني ، ويتم فحص كل حالة منهم على حدة وهناك من يحاكم ومن يفرج عنه .

- ملف مكافحة الإرهاب لم ولن يغلق وأي دولة في العالم تغلق ملف الإرهاب سوف تعاني من ويلاته لأنه لم يتوقف بل تتطور أساليب عناصره يوما بعد يوم خاصة في ظل التطور التكنولوجي الكبير وكذا تطور الثقافة الإجرامية .

- مواجهة الإرهاب تحتاج إلى تعاون بين جميع القوي الإقليمية والدولية خاصة بعد أن تأكد عدم ارتباط الإرهاب بدين أو طائفة أو عرق أو دولة مما يؤكد أهمية التعاون حتى مع تلك الدول التي لم تعان بعد من ويلاته.

- العمل الأمني لمواجهة الإرهاب يقتضي بذل جهد مستمر ويحتاج لطول النفس والاستعداد الدائم للمواجهة في أي وقت .

- المشكلة الأمنية العراقية تكمن بشكل أساسي في حدوده المترامية الأطراف والتي تتسم بالإتساع الشديد مع دول الجوار وكذلك بسبب عدم الاستقرار على مدى تبعية تلك الحدود سواء للجيش العراقي الذي تم حله بعد الغزو وسقوط النظام السابق أو للشرطة العراقية .

- هناك تعاون أمني على أعلى مستوى بين القاهرة والرياض في المجالات المختلفة ، ويرجع ذلك إلى العلاقات التاريخية التي تربط بين مصر والمملكة العربية السعودية سواء على المستوى الرسمي أو غير الرسمي .

■ ■ ■

وزير سيء الحظ

[٦٨ عاما]

لم يصل إلى مقعد « وزير الخارجية » رجل داهمته ظروف معقدة جعلته لسوء حظه يفقد عناصر هامة من خبرته الدبلوماسية ، ومساحة الحركة التي تتاح له كي يظهر ما جعله جديرا بتولي الوزارة الهامة ، فقد جاء الوزير أحمد أبو الغيط في فترة تراجع فيها الدور السياسي لمصر لأسباب إقليمية ودولية ، كما تم إسناد ملفات سياسية دبلوماسية هامة لرئيس جهاز المخابرات العامة الوزير عمر سليمان ، ثم انه لسوء حظه أيضا جاء بعد وزير محنك هو أحمد ماهر وقبله وزير ديناميكي بالغ الجرأة والحيوية وأضفي على شخصيته بعضا من شموخ الوطن وكبريائه حتى اكتسب موقع وزير الخارجية أهمية ومكانة خاصة ، ونال هو شخصيا شعبية هائلة وهو عمرو موسي الذي انتقل إلى منصب أمين عام جامعة الدول العربية حيث حالة الفرقة والتشرذم والخلافات والاختلافات التي أضعفت الأمة العربية ومعها بالتالي جامعة الدول العربية ، إلا أنه رغم هذا الواقع العربي المتردي فرض نفسه واحتفظ بقدر كبير من بريقه ومكانته . ولأن الوزير أحمد أبو الغيط ليس عمرو موسي ، فقد حاصرته الظروف التي أحاطت به منذ توليه الوزارة فارتبك أداؤه أحيانا ، وكادت وزارة الخارجية تصبح وزارة « خارج الخدمة » ! ، وتعرض لإشاعات الرحيل من موقعه أكثر من مرة ، خاصة بعد أن صار فريسة لأقلام وأصوات المعارضة التي تجاهل بعضها حجم الظروف التي أحاطت به حتى أن هناك من أخذ عليه أنه لم يدخل إلى الدبلوماسية من بابها التقليدي المعروف وهو كلية الحقوق أو الاقتصاد والعلوم السياسية ، حيث أنه خريج كلية التجارة - جامعة

عين شمس - في عام ١٩٦٤ ومن ثم كانت دراسته الجامعية بعيدة عن المواد والمناهج التي تؤهل أكثر للعمل الدبلوماسي .

من جهة أخرى لم تتح له سلسلة التدرج الوظيفي إمكانية الانطلاق الحقيقي بشخصية مستقلة تماما فقد عمل سكرتير أول لمكتب الوزير في أعوام ١٩٧٧ و١٩٧٨ و١٩٧٩ ، ثم عمل مستشارا خاصا للوزير من عام ١٩٨٢ حتى ١٩٨٤ ، ثم عمل سكرتيرا خاصا للوزير في عم ١٩٨٩ وحتى عام ١٩٩١، وتمت ترقيته بعد ذلك مديرا لمكتب الوزير ، ثم مساعدا للوزير رئيسا لمكتبه ، وفي مجال العمل الدبلوماسي في الخارج عين سفيرا لمصر في كل من مقدونيا ، وسان مارينو ، وإيطاليا فيما بين عام ١٩٩٢ وعام ١٩٩٦ ، ثم عمل مديرا لإدارة إسرائيل بالوزارة من ١٩٩٦ حتى ١٩٩٩ إلى أن مثل مصر في منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) والمندوبية الدائمة في الأمم المتحدة منذ عام ١٩٩٩ وحتى اختياره وزيرا في عام ٢٠٠٤ وتحقق حلمه بهذا المنصب وان اصطدم بالظروف والمواقف التي جعلته يفقد أحيانا حسه الدبلوماسي ويقع في تصريحات تثير ردود فعل مناوئة إعلاميا بل وداخل البرلمان ذاته مثل تصريحه في مارس ٢٠٠٧ عن عدم وجود ما يستدعي قطع العلاقات بين مصر وإسرائيل في أعقاب عرض التليفزيون الإسرائيلي للفيلم الوثائقي « روح شاكيد » الذي كشف تعرض الأسري المصريين في حرب ١٩٦٧ لجرائم قتل وحشية على أيدي جنود الاحتلال الإسرائيلي في سيناء ، وقد أثار تصريحه ذلك موجة من الغضب والاستياء حتى أن الدكتور فتحي سرور رئيس مجلس الشعب طالبه بالمثول أمام المجلس لتوضيح الموقف الرسمي تجاه هذه القضية مشددا على أن قتل الأسري جريمة حرب تدين إسرائيل ويجب أن تظل شوكة في ظهرها ، كما سارع الدكتور مفيد شهاب وزير الشئون القانونية وممثل الحكومة في

تلك الجلسة الغاضبة (١١ مارس ٢٠٠٧) إلى إعلان انضمام الحكومة إلى مشاعر النواب حول هذه الجريمة البشعة ، بل انه قال بالحرف الواحد : « إن تصريحات وزير الخارجية التي أطلقها لا يعول عليها !! » .

كذلك أسقطه سوء حظه في موقف آخر لا يقل استفزازا وإثارة عندما ظهر على شاشة التليفزيون ممسكا بيد نظيرته الإسرائيلية « تسيبي ليفني » وهي تخطو إلى جواره عقب محادثات مطولة بينهما ، وما أن غادرت الوزيرة مصر حتى كانت إسرائيل تشن حرب الإبادة على الشعب الفلسطيني في غزة مما جعل البعض يتكهن بأن « تسيبي ليفني » كانت قد جاءت لمصر لتخطرها بخطة الحرب، وبدلا من أن ينتهز الفرصة ويطلق تصريحا قويا رافضا لما ترتكبه إسرائيل في غزة تحدث عن رفض « حماس » السماح للمصابين بالعبور إلى مصر من معبر رفح ، وجاء الرد المحرج من المتحدث باسم « حماس » سامي أبو زهرى الذي تساءل : « هل يريد وزير خارجية مصر معبر رفح بوابة للموتي لا للأحياء ؟ » .

من جهة أخرى يسجل المنتقدون للوزير أحمد أبو الغيط ضعف وهزال الدور الدبلماسي المصري في إفريقيا حتى حلت مكانه تقريبا الدبلوماسية الإيرنية والليبية والصينية وطبعا الإسرائيلية ، والأمثلة على ذلك عديدة يكفي الإشارة إلى ما تعرض ويتعرض له السودان الشقيق في الجنوب، وفي دار فور ، وما جري في الصومال وغيرها من الدول الإفريقية التي كان رصيد مصر فيها أكبر وأقوى من رصيد أية دولة أخرى . وإذا كان دور مصر الإقليمي قد تقلص في عهده بهذه الصورة ، مما أتاح للمعارضة فرصا أخرى لتوجيه سهام النقد له إلا أن الكثيرين امتدحوا موقفه عندما صرح بأنه «لا يوافق شخصيا على حبس أي صحفي لأي سبب ويكفي أن توقع غرامات مالية كبيرة على من يسعي لتلويث سمعة اشخاص آخرين مستخدما

قدرته على النشر » .

ويبقي أن وزير الخارجية أحمد أبو الغيط الذي ولد في ١٢ يونيه ١٩٤٢ هو فعلا الوزير سيء الحظ ، سيء التوفيق ، بالرغم من ابتسامته الدبلوماسية التي لا تفارق وجهه ! ، ولعل دوره في حرب أكتوبر قد فاق بكثير دوره كوزير للخارجية ، حيث عمل في مكتب مستشار الأمن القومي الدكتور حافظ إسماعيل ، وعاش أهم الأيام والأحداث في تاريخ مصر من خلال ما كلف به من اعمال كانت جزءا من الإعداد لحرب أكتوبر وتحديدا في الأيام القليلة جدا التي سبقت إندلاع شرارة الحرب ، وقد سجل ذكرياته عن تلك الأيام التي يلخصها في أقواله أنها أيام وساعات حاسمة في حياته .

من أقواله وتصريحاته :

- أكدت حرب أكتوبر المقولة القائلة إن الحرب هي مجرد امتداد للسياسة ولكن بأساليب أخرى .

- لا بديل عن إخلاء الشرق الأوسط من الأسلحة النووية بما فيها إخضاع المنشآت الإسرائيلية للضمانات الدولية .

- سبعون في المائة (٧٠٪) من حجم القضايا المعروضة على مجلس الأمن تمس إفريقيا ، والمطلوب تفعيل مبادرة لتوثيق العلاقة بين الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي .

- المفروض أن توفر الدول المتقدمة تمويلا دوليا للدول النامية لمواجهة الآثار السلبية لتغير المناخ .

- مصر ترحب بمساعي الأمم المتحدة الرامية لدعم الجهود الإقليمية لحفظ السلام خاصة في السودان والصومال ومنطقة البحيرات العظمي .

- رئاسة مصر لحركة عدم الانحياز تعظم دورها في الأمم المتحدة وتساعدها في التعبير عن مواقف وآراء دول الحركة .

- موقفنا ثابت من قضايا حقوق الإنسان القائمة على الحوار البناء واحترام قيم المجتمعات وعقائدها والبعد عن المواجهات السياسية .

- ندعو إلى ممارسة حرية التعبير بما لا يمس حقوق وحريات الآخرين واحترام مقدسات الأقليات المسلمة في أوروبا .

- الحوار بين الأديان يجب أن يدار باعتباره حوارا أخلاقيا لإبراز المساحات الواسعة المشتركة بينها .

- مبادرة حوار الحضارات تمثل أهمية خاصة لمصر في ظل تركيبتها التاريخية الفريدة .

- جهود السلام لن تثمر إذا لم تقدم إسرائيل خطوات جادة وملموسة .

- الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية به عناصر إيجابية لكنه يشهد تراجعا في الفترة الأخيرة .

■ ■ ■

الملك الشمس !!!

[أكثر من مائة عام]

فرض أسمه علينا لنضمه بين دفتي هذا الكتاب لعدة أسباب أولها : أنه عاش لمدة مائة عام وأكثر !! ، وثانيها : لأنه كان محور جدل ومناقشات متباينة في السنوات الأخيرة خاصة في العام الماضي عندما أفرد له الداعية الإسلامي الشاب عمرو خالد عدة حلقات من برنامجه مؤكدا بشكل أو بآخر بأنه ليس مجرد رمسيس الثاني الفرعون العظيم الذي فاقت انجازاته من سبقوه ومن جاءوا بعده ، ولكن لأنه «فرعون موسي » الذي تحدث عنه القرآن الكريم مرتبطا بقصة سيدنا موسي عليه السلام ، ورغم أن تلك الصفة أكدها من قبل بعض الباحثين والمؤرخين إلا أن أصواتا عديدة أنطلقت رافضة ذلك بقوة وحسم ، أما ثالث الأسباب التي جعلته يفرض نفسه على هذا الكتاب : فهي الضجة الإعلامية الهائلة التي صاحبت نقل تمثاله الضخم من « ميدان باب الحديد » الذي فرض أسمه عليه هو الآخر ليصبح «ميدان رمسيس » وكان من الضروري أن ينقل تمثاله بعد ضيافة زادت على نصف قرن أمام محطة السكك الحديدية بباب الحديد ، ورأى رجال الآثار أنه قد آن الأوان لنقله إلى مكان آخر أكثر هدوءا وأقل صخبا خاصة وأنه ربما أرهقه طول الوقوف على قدميه يستقبل الخارجين من محطة العاصمة ، ويودع المغادرين منها إلى محافظات مصر ، وكان عليه أن يتنفس عوادم السيارات الكثيرة حتى ضاق صدره كما قال الكاتب والمؤرخ الكبير جمال بدوي « رحمه الله » .

هكذا كان من الضروري أن يتواجد في كتابنا ملك الشمس فرعون المعجزات رمسيس الثاني إلى جانب غيره من الملوك والرؤساء والوزراء وكبار الشخصيات

الذين جاءوا بعده بآلاف السنين ، لكنهم مارسوا السلطة العليا مثله ، وحظوا بطول العمر مثله بصورة أو بأخرى ، وقبل أن أتحدث عنه بتفاصيل أكثر ، ارى أن من حقه أن أسجل له أيضا العوامل التي جعلته يفرض شهرته المدوية على التاريخ وليس على مجرد صفحات كتاب ! ، وهذه العوامل هي :

مشاركته لوالده « ستي الأول » في الحكم ، قبل أن يخلفه .

تولي الحكم وهو في ريعان الشباب ممتلئا بالحماس وتحدوه آمال وطموحات هائلة .

طول مدة حكمه التي بلغت سبعة وستين عاما حفلت بالكثير والكثير .

ورث عن أبيه دولة قوية تمتعت بثراء عريض .

وجد من رجاله المدنيين والعسكريين تأييدا وحماسا لكل أعماله .

تصديه الظافر للحيثيين الذين كانوا أضخم قوة عسكرية في عصره .

لأنه كان شغوفا بتخليد ذكراه ، وتمجيد نفسه ولذلك بني عددا كبيرا من المعابد والقصور والمسلات والتماثيل أكثر مما بناه أي حاكم سبقه أو ربما جاء بعده .

في عهده تكونت لمصر عاصمة جديدة سميت باسمه وهي (بررعمسيس) أي « بيت رمسيس » ، وأصبحت واحدة من أهم العواصم في الشرق الأدنى القديم .

لذلك أكد المؤرخون والدارسون وعلماء الآثار على أنه ليس بين ملوك مصر أجمعين من يضاهي « رمسيس الثاني » في جلاله وهيبته فهو بلا أية مبالغة أعظم ملوك مصر القديمة (وطبعا الجديدة !) ومن ثم فهو أشهر فراعنة مصر ، ورمز حضارتها ، شأنه شأن الأهرامات حيث بلغت أمجاده - مثل أمجادها - عنان السماء ، فهو شخصية لا تتكرر في العالم القديم أو الحديث ، فاقت عبقريته كل الحدود ، ملك ومحارب وقائد شجاع وسياسي محنك ، ومبدع مباني ليس له نظير ، ورب أسرة فاقت مشاعره الرقيقة الأسرية الحدود المعتادة (رغم صلابته كمحارب ومقاتل

جسور) فهو ابن بار ، وزوج حبيب ، وأب حنون ، أما انجازاته العسكرية والسياسية فإنها تؤكد كيف كان بارعا في خططه التي جعلته يبهر العالم القديم بانتصاراته العديدة التي يكفي أن يكون من بينها انتصاره على قوات الحيثيين في معركة « قادش » الشهيرة ، ولأنه سياسي داهية وبارع حول انتصاره المبهر عليهم إلى اتفاق سلام عندما طلب منه عدوه ملك الحيثيين ذلك ، ثم قوى دعائم هذا السلام بالمصاهرة الذكية التي كانت تتويجا جميلا وهاما لأول معاهدة سلام في العصر القديم .

وتفرغ بعدها لإدارة مصر التي حولها إلى إمبراطورية عظمى مترامية الأطراف بفضل فتوحاته وانتصاراته التي امتدت إلى سوريا وفلسطين وليبيا على سبيل المثال والتي جعلته جديرا بألقاب مثل « الملك الشمس » ، و « ملك الملوك » ، و « فرعون المعجزات » ، هذا ومن المؤكد أنه إلى جانب صفاته الشخصية ورث عن أبيه « سيتي الأول » ، وجده « رمسيس الأول » الكثير من الوصايا والتقاليد التي انطلقت بها الأسرة التاسعة عشر ، والتي كان هو ثالث ملوكها ، والتي جعلت من مصر دولة بل إمبراطورية كبيرة بعد أن عانت قبل ذلك من الفوضى التي عمت البلاد أثناء «فتنة أخناتون » وما نجم عنها من صراعات دينية بين كهنة « أتون » وكهنة « آمون» الذين استردوا نفوذهم بعد موت « اخناتون » ، واستخدموا نفس العنف الذي عوملوا به أثناء سيادة الدولة « الاخناتونية » ، ولكن الأخطر من ذلك كان تفكك عري الإمبراطورية المصرية التي كان قد أنشأها « تحتمس الثالث » ، حيث تمردت الممالك الأسيوية على نفوذ مصر ، وتحولت البلاد إلى ساحة للصراعات والفتنة ، إلى أن ظهر الضابط المصري الشجاع « حور محب » فأمسك بيده زمام الأمور ، ولقن العابثين درسا قاسيا واستطاع أن يعيد إلى مصر أملاكها الضائعة ، وعندما جاءه الموت خلفه على العرش وزيره وولي عهده « رعمسيس الأول »

مؤسس عصر « الرعامسة العظام » ومن عاصمة ملكه في شمال الدلتا ، سار على نهج سلفه « حور محب» فأكد عودة مصر إلى سابق مجدها وسار بالبلاد على طريق الإصلاح غير أن القدر لم يمهله طويلا ، وخلفه ابنه « سيتي الأول » الذي أكمل رسالته في تنظيم البلاد وعادت لمصر هيبتها واعتبارها في الخارج .

ويحسب له أنه أشرك ابنه رمسيس الثاني معه في شئونه وهو لم يزل في سن العاشرة ، ثم أعلنه وليا للعهد في سن الثالثة عشرة ، ثم جعله شريكا له في الملك بعد ذلك بسنوات قليلة ، وعلى إثر ذلك كلفه ببعض المسئوليات الخاصة بالدولة كإقامة المباني ، وقد تم تتويجه على يد الإله « أمون » في حضرة الفرعون والده « سيتي الأول » ، كما تم تتويجه مرة أخرى في مدينة « هليوبوليس » على يد الإله « آتوم » ، وفي معرض فخره وتباهيه البالغ بنفسه يقول رمسيس الثاني : [رفع من شأني رب الكون « رع » منذ كنت طفلا حتى أصبحت حاكما ، فمنحني الأرض وأنا في البيضة ، وقام العظماء بتقبيل التراب أمام وجهي ، ثم عينت بوصفي الابن الأكبر أميرا وراثيا على العرش ، وكنت أقدم التقارير عن حالة الأرضين بوصفي قائدا للمشاة والعجلات ، ثم قال أبي سيتي الأول للقوم : « توجوه ملكا حتى أشهد بهاءه وأنا على قيد الحياة » ، وهكذا صعدت إلى سدة الحكم وأنا في أوائل العشرينات من عمري] .

والمؤكد أن أباه سيتي الأول (ثاني فراعنة الأسرة التاسعة عشر) عندما حضرته الوفاة ، مضي إلى عالم الخلود مطمئنا لأنه ترك خلفه شبلا كان يجمع بين الجندية والسياسة والتدين وعمق الرؤية في تسيير البلاد ، شبلا كان يعلم ما ينتظره من المهام والأعمال الجسام التي أطلقها أبوه .

وهذا ما حدث فعلا فقد تحرك رمسيس الثاني على الفور بروحه الوثابة والخبرة

التي اكتسبها واستهل حكمه بإظهار صور الفراعنة السابقين الذين عبث اخناتون بآثارهم ، وكان أبوه قد بدأ فعلا في رد الاعتبار لأولئك الملوك فأقام لهم المعابد والتماثيل وأصلح ما كان قد تم هدمه من آثارهم التي دمرها اخناتون أو إدعي لنفسه ما حافظ عليه منها ، ولم يترك رمسيس الثاني مبني صغيرا أو كبيرا مما خربه اخناتون حتى أصلحه ، ورأى ان ينقذ البلاد من الفتنة الدينية فقلد لنفسه رئاسة كهانة الإله « أمون » الذي يحظي بحب الشعب ، ثم اتجه إلى إقامة العمائر الدينية التي أصبحت فيها بعد مضرب الأمثال في العظمة والضخامة والأبهة ، وأقام لنفسه وللإله « آمون » معبدا يحتوى على قصر فاخر يطلق عليه العلماء اسم « الرمسيوم » وبات هذا القصر من عجائب الدنيا التي تحدث عنها مؤرخو الإغريق ، وما تزال بعض بقاياه الضخمة تنطق بما كان عليه من بهاء وجمال وعظمة ، واللافت للنظر أنه بالرغم من كثرة التماثيل والمعابد التي أقامها رمسيس الثاني فإنه لم يبرأ من داء السطو على آثار أسلافه من ملوك مصر الأقدمين ، كما لم يبرأ من داء محو أسمائهم ليضع اسمه مكانها ، الأمر الذي جعل المؤرخين ينتقصون من مكانته رغم إعجابهم به وإن كان مؤرخون وعلماء آثار آخرون مثل الدكتور سليم حسن يقللون من وقع هذه السرقات مؤكدين أنها لا تعد شيئا بالنسبة لما أنجزه من أعمال معمارية ضخمة تعتبر من مفاخر الزمان ، وأرى أنا أنه كان يمارس عادة مصرية أصيلة ـ للأسف ـ وهي حرص كل ملك وحاكم على أن يمحو آثار من سبقه ليظل هو وحده في الصورة ! ومع ذلك فلا يمكن أن ننسي أنه لم يتبع أسلوب غيره من الملوك السابقين واللاحقين باستغلال سلطاته في تسخير العمال في بناء منشآته الضخمة فيعملون بنظام السخرة التي ظهرت مثلا في عهد خوفو وخفرع ومنقرع عندما أنشأوا الأهرامات كما ظهرت في عهد الخديوى إسماعيل عند حفر قناة السويس ، حيث

كان يسقط قتلي كثيرون بسبب الإرهاق أو الجوع ، فعلي العكس من ذلك تقول الوثائق التي تركها رمسيس الثاني أنه كان يحقق للعمال معاملة كريمة حتى أنه يقول في إحدى البرديات مخاطبا العمال :

« أنتم أيها الرجال الطيبون يا من لا يعرفون التعب ، أنتم يا من تقولون اننا نعمل بعد التروى فنقوم بهذه الخدمات في الجبال المقدسة ، لقد سمعت ما يقوله بعضكم لبعض ، وإن فيكم لبركة ، وانني « رعمسيس » الذي ينشيء الشباب بإطعامهم ، والأغذية أمامكم وفيرة ، والطعام غزير حولكم ، ولقد كفيت حوائجكم حتى تعملوا بقلوب محبة ، وان المؤن أصبحت لديكم أكثر من العمل نفسه ، لأنني أعلم علم اليقين قيمة عملكم الذي ينشرح له صدر كل من يعمل فيه عندما تكون البطن ممتلئة ، فالمخازن أمامكم مكدسة بالغلال وفيها الخبز واللحم والفطائر ، وفيها الملابس والنعال ، وكذلك العطور لتعطير رؤوسكم كل اسبوع ، ولأجل أن تكون أخمص أقدامكم صلبة دائما ، ولقد هيأت خلقا كثيرا لتموينكم ، وخصصت سماكين يحضرون لكم السمك ، وزراعا لكي ينبتوا لكم الكروم ، وصنعت لكم أواني واسعة ، وأوعية لتبريد الماء لكم في فصل الصيف ، والوجه القبلي يحمل حباً للوجه البحري ، والوجه البحري يحمل للوجه القبلي غلالا وفولا بكميات وفيرة ، ولقد قمت بعم كل ذلك لأجل أن تسعدوا وأنتم تعملون بقلب واحد » .

ولعل الإشارة إلى وفرة الغذاء والطعام بكل أصنافه تؤكد حالة الإزدهار الاقتصادي الذي عرفته مصر في فترة حكم رمسيس الثاني الذي استثمر معرفته لقيمة التبادل التجاري فأقام وأنشأ الموانى التجارية لتيسير التبادل مع الدول الأخرى ، واشتهرت الإسكندرية بموانئها التجارية لتشتهر بعد ذلك بالعجيبة السابعة وهي « منارة الإسكندرية » إلى جانب المعالم الكبيرة التي بنيت في عهده مثل

« قاعة الأعمدة » بالكرنك و « معبد أبو سمبل » الشهير الذي حفر في جبال النوبة وعلى ضفة النيل بحيث تشرق الشمس على طلعته يومين في السنة : يوم ميلاده ، ويوم توليه العرش !! ، مما جعله مقصدا للزائرين والسياح الذين ما زالوا يتوافدون لمشاهدة إشراقة الشمس في تلك المناسبتين داخل المعبد .

الحياة الخاصة لرمسيس الثاني :

كان في صباه أجمل وأكثر فتيان عصره رشاقة ، وتقول صوره والمومياء الخاصة به إنه كان طويل القامة ، ممشوق القوام ، عريض المنكبين ، مفتول الساعدين قويهما ، ممتلىء الساقين بالعضلات ، مستدير المحيا ، ارتسم على فمه الثبات والحزم ، وبدت على شفتيه ابتسامة ساحرة ، وهو أقني الأنف واسع العينين ، ويقال إنه لا الشيخوخة ولا الموت قد أفلحا في تشويه تلك التقاسيم الفاتنة الخلابة في وجهه وجسده حتى أنها عمرت قرابة قرن.

ويبدو أنه منذ صغره كان له مكانة خاصة عند والده الملك « ستي الأول » ، ودليل ذلك أنه كان من المعتاد إذا تقرر عمل تمثال لأحد الفراعين ، ورؤى أن يصور أبناؤه معه يراعي أن يكونوا بحجم صغير بحيث يقفون بموازاة وارتفاع ساقي الوالد فقط إلا أنه لم يظهر أي تمثال لرمسيس الثاني إلى جانب والده « سيتي الأول » بذلك الوضع الضئيل ، ويؤكد ذلك ما ذكرناه عن إشراك والده له في الحكم وهو في سن العاشرة ، ويري من قاموا بالتحليل النفسي لشخصية رمسيس الثاني أن دخوله مجال السلطة في السن الصغيرة ، وانتسابه منذ الطفولة إلى ملك له مكانته جعل الذين يحيطون به يكيلون له المديح بلا حساب ، وفي كل وقت مما خلق في نفسه شعورا بالتفرد وما يقرب من جنون العظمة الذي ساهم بعد ذلك في تأليه نفسه .

وقد تزوج ستين زوجة أنجب منهن مائة ابن وابنه ، ومن أشهر زوجاته «

نفرتاري » ، و « إيزيس نوفرت » ، والمؤكد أن حبه الحقيقي وغرامه الأوحد كان لنفرتاري حتى أن صورها وتماثيلها تواجدت في كل المعالم التي شيدت في عصره وكان يقيم معها في قصر على ربوة عالية يشرف منه على رعاياه وقد عرف المصريون القدماء قصره هذا باسم (برر عمسيس) أى البيت العالي ، ومن المرجح أن لفظ « فرعون » ومعناه « صاحب البيت العالي » مشتق من ذلك الاسم كما كان يطلق على السلاطين العثمانيين « الباب العالي » ، وكما يذكر حاليا في الولايات المتحدة الأمريكية « البيت الأبيض » المقر الدائم للرؤساء .

وكان رمسيس الثاني يضيف إلى نفسه ألقابا ونعوتا خاصة مثل : (محبوب «رع » ، وصورة « رع » ووارث « رع »ومختار رع) .

رمسيس الثاني إلهاً !! :

تقول إحدى البرديات إن الإله « بتاح » أكد لرمسيس الثاني أنه قد تنبأ له بالأعمال العظيمة التي سيحققها له هذا الملك ، وقال « بتاح » إنني قد تقمصت صورة « تيس منتيس » واضطجعت إلى جانب أمك الجميلة لكي تلدك ، فأصبحت أعضاؤك كلها إلهية هذا وقد دونت هذه القصة فوق جدران معبد « أبو سمبل » وما دام الملك قد ولد كإبن للإله ، فمن اليسير أن يطلق هو على نفسه اسم « الإله » ، وأقام معابد جعل إهداءها لنفسه والقرابين تقدم فيها لشخصه باعتباره أحد الألهة وليس مجرد بشر من نسل الألهة ، بل أنه زعم أنه من كبار الألهة ! .

ويقول الباحث والكاتب الإسلامي رشدي البدراوي إن رمسيس الثاني إدعي أنه إله ، وفي محاولة لتكذيب رسالة موسي عليه السلام ، طلب من وزيره أن يبني له برجا مرتفعا ليصعد عليه في السماء ليري إله موسي ، وقال فرعون (يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ، فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي

أطلع إلى إله موسي وإني لأظنه من الكاذبين !) والمعروف أنه في أواخر عهد رمسيس الثاني تم اكتشاف أن حرق الطوب اللبن يجعله أكثر صلابة ولا توجد آثار بنيت بالطوب الأحمر قبل عصر رمسيس الثاني ، ولعل السرد القرآني لبناء الصرح (العالي) في سورة القصص، والنص على طريقة صنع الآجر بحرق الطين فيه إشارة إلى أن الفرعون الذي عاصر موسي عليه السلام هو أول من اكتشف هذه الطريقة ويكون ذلك دليلا آخر على أن رمسيس الثاني هو فرعون موسي وإذا كان تأليه الفراعين أمرا مكررا إلا أن تأليه رمسيس الثاني كان له وضع آخر ، حيث تم التأكيد عليه في المنحوتات الجدارية مثل :

في أحد المنحوتات نرى قارع الطبل وهو يتعبد لرمسيس الثاني .

في أحد المنحوتات نراه وقد صور نفسه واضعا على رأسه الرمز الإلهي ، ويجلس بين الإله « آمون » و الإلهة « موت » ويداه متشابكتان معهما .

في معبد (أبو سمبل) تظهر صورة رمسيس الثاني كإله برأس صقر أي أنه في هذه الحالة يمثل إله الشمس ، وقد كتب إلى جانبها (رمسيس الإله الأكبر) ، ويظهر في رسم آخر في صورة إنسان ولكن على رأسه قرص الشمس وقد كتب أسفل الصورة (رمسيس الإله الأكبر .. رب السماء) .

في معبد « أكشه » في النوبة يظهر في صورة إنسان ، وتقول الكتابة بجانبها (الإله الأعظم رب النوبة) .

لوحة للوزير (رع حتب) محفوظة الآن في متحف « ميونيخ » تمثل الوزير وهو يتجه نحو تمثال رمسيس الثاني ، ويقول : « الصلاة للإله الأكبر الذي يسمع الرجال ، ليته يعطي الحياة والصحة والفطنة إلى المير الوراثي (أحد ألقاب الوزير رع حتب) ».

وتلك بعض الأمثلة التي توضح تأليه رمسيس الثاني لنفسه ، ونحن لسنا بصدد

ترجيح كفة ما قيل عنه كفرعون موسي ، أو رفضها فليس هنا مجال ذلك ، ويبقي أن نشير إلى أن رمسيس الثاني - ثالث فراعنة الأسرة التاسعة عشر حكم مصر لمدة ٦٦ عاما (من ١٢٧٩ ق . م حتى ١٢١٢ ق . م) أو من (١٢٩٠ ق. م حتى ١٢١٤ ق . م) . وقد تمتع بالسلطة طوال هذه السنين وطوال عمره الذي تجاوز المائة عام .

■ ■ ■

المصادر

- Socioeconomic Stutus & Health (Nancy E. Alder).
- Unequal Lives (Hilary Graham).
- The social Gradiant in life Expectancy (William Cockerham).
- Social Gauses Of Health & Disease (William c. Cockerham)- Status Syndrome Dr. Michael Marmot).
- The social Pattern oF Health and Disease (Dr. Michael Marmot).
- A cultural Account oF Health (Robert Crawford).

- فيدل كاسترو (عادل الجوهري).
- ونستون تشرشل (شريف عبده عبد الرشيد).
- مبارك الذي أعرفه (جلال السيد).
- رؤساء مصر الثلاثة (محمود فوزي).
- كلمة للتاريخ (حوار عماد أديب مع الرئيس مبارك).
- الرئيس وأنا (حمدي الكنيسي).
- أعلام ماسبيرو (جمعه قابيل).
- محاضر مجلس الشعب ، مجلة المجلس.
- إصدارات وزارة الإعلام.
- إصدارات وزارة الثقافة.
- الصحف والمجلات المصرية.
- الصحف والمجلات العربية.
- الصحف والمجلات الأجنبية .

صدر للمؤلف

- حينما يتوقف اللعب « مجموعة قصصية » (طبعتان).
- عاشر العشرة « رواية قصيرة للأطفال» (ثلاث طبعات).
- العودة من الأسر « رواية قصيرة للأطفال » (ثلاث طبعات).
- قالوا في عبد الناصر (سبع طبعات).
- اليوم السابع «يوميات مذيع في جبهة القتال » (طبعتان).
- البطولة السمراء « عن الرياضة في إفريقيا » (طبعة واحدة).
- روما ٩٠ « عن كأس العالم » (طبعتان).
- الطوفان « عن حرب أكتوبر » (ثلاث طبعات).
- الحرب طريق السلام « عن حرب أكتوبر » (فاز بجائزة أحسن كتاب في الدراسات الاستراتيجية) .
- الرئيس وأنا (طبعتان).
- الأخبار .. مرآة المجتمع (طبعتان).

تحت الطبع

- كلام من لهب (مجموعة مقالات المؤلف بالصحف والمجلات المصرية والعربية).
- شعراء لكن ظرفاء.
- محطات في حياتي.
- الشهرة وطول العمر.

■ ■ ■

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
المقدمة	٧
ما هي السلطة ؟	١١
الصلة بين السلطة وطول العمر	١٥
لم يسع إليها .. فسعت إليه	٢٤
سادس الملوك .. رجل المواقف	٤٧
الأقدم .. المثير للجدل	٥٢
المشير علي عبد الله	٦٢
الذي نجا من ٦٣٨ محاولة لاغتياله	٧٧
بائع الفول السوداني الذي صار رئيس لأمريكا	٨٧
بالنسبة لشعبه هو الأعظم .. وبالنسبة لنا هو الأسوأ	٩٢
الفارس .. عاشق السلطة والنساء	١٠٠
الشاعر .. السياسي .. الضاحك	١٠٦
قبطي من دولة مسلمة ـ أبيض من قارة سمراء	١١٦
الوزير .. المفكر .. الفقيه الدستوري	١٢٢
الدكتور عاطف .. المتفائل دائما	١٢٩
رجل المهمات الصعبة	١٣٤
الثعلب	١٣٩
الداهية .. أكبر دماغ	١٤٨
البعبع .. رجل كل العصور	١٥٤

الموضوع	الصفحة

شيخ التناقضات .. الذي أحبه ١٥٨
وزير التراجعات ١٦٣
جنرال التهدئة .. الرجل الأقوى ١٦٨
أمين عام جامعة الكلام ١٧٤
المُشرع .. الدكتور مفيد جداً ١٨٣
المناور .. الذراع اليمنى للرئيس ١٨٨
الذكي .. وزير الحرائق والقضايا الشائكة ١٩٣
العازف عن الأضواء ٢٠٢
الوزير التاسع عشر للوزارة المكروهة ٢٠٧
وزير سيء الحظ ٢١٢
الملك الشمس ٢١٧
المصادر ٢٢٧
صدر للمؤلف ٢٢٨
الفهرس ٢٢٩

■ ■ ■